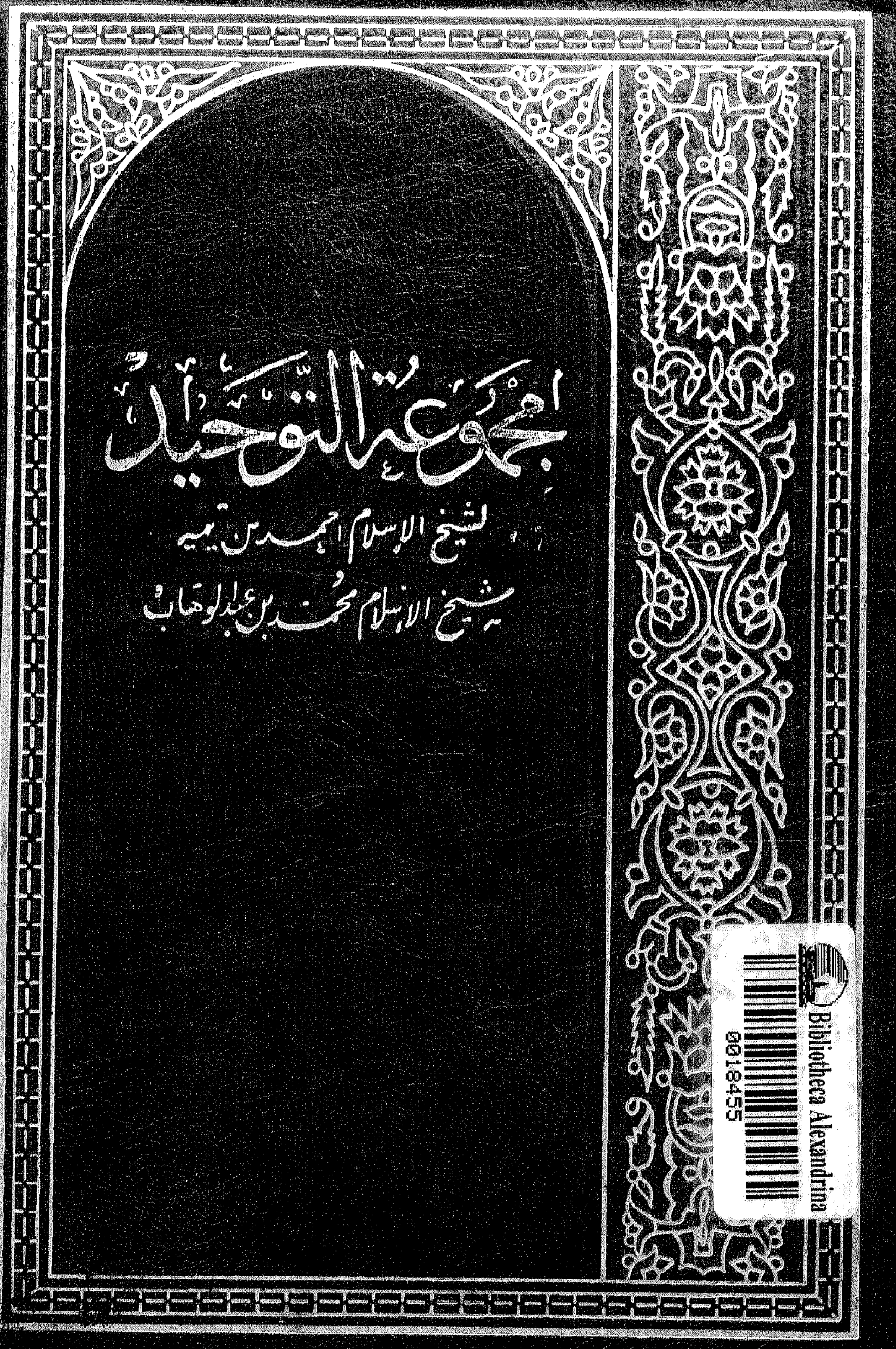

مجموعة التوحيد

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

Bibliotheca Alexandrina
0018455

مجموعة التوحيد

لشيخ الاسلام أحمد بن تيميه
وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب

طبعة منقحة مصححة

دار إحياء التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخ الاسلام احمد بن تيمية

(٦٦١ - ٧٣٨ هـ)

نسبه :

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى الحرانى الدمشقى الحنبلى ، أبو العباس تقى الدين ابن تيمية .

مولده :

ولد بحران (من أعمال دمشق) فى العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هجرية الموافق سنة ١٣٦٣ ميلادية ، وكانت ولادته فى فترة تعتبر من أشد الفترات ابتلاء للمسلمين .

حياته :

رافق والده مهاجرا الى دمشق سنة ٦٦٧ وكانت حافلة بالعلماء والمدارس . وبدأ تلقى علم التفسير والحديث والفقه ، والخط والحساب . وساعده فى ذلك ذكاؤه الخارق وقوة حفظه . وقد نشأ من صغره ميالا للمعرفة شغوفا بالعلم والتحصيل حتى فاق كل أقرانه . وناظر العلماء . وأفتى ودرس وهو دون العشرين وتولى بعض المناصب وله احدى وعشرون سنة . وانتشر صيته فى تفسير القرآن . وانتهت اليه الامامة فى العلم والعمل والزهد والورع حتى سمى محيى السنة وآخر المجتهدين ولم يتجاوز الثلاثين ، واتسعت شهرته وكثر حساده وفازوا بالكيد له وحوكم فى مصر وسجن سنة ونصف سنة وبعد خروجه من السجن عقدوا مناظرة وفاز بها على خصومه . وبالافتاء أيضا ثم غضب عليه السلطان ونفاه الى بلاد الشام .

وعاد ، وثارت ثائرة خصومه ، وأوغروا صدر سلطانه وحجروا عليه فى القلعة ، فاتخذها فرصة طيبة للتفرغ للعلم والعبادة وقال فى ذلك ، قد فتح الله على فى هذا الحصن فى هذه المدة من معانى القرآن ، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتى فى غير معانى القرآن ».

لقد بلغت مصنفات الامام ابن تيمية ثلاثمائة مجلد ، فى التفسير ، والفقه ، والأصول ، والفتاوى ، والقواعد الدينية ، والرد على الفلاسفة ولمواضع أخرى ..

وفــاته :

توفاه الله ليلة اثنتين والعشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هجرية فى سجنه بقلعة دمشق . وكان مشهد تشييعه الى مقره الأخير أمرا عظيما ، فقد تزاحم الناس وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والثناء عليه والدعاء له ، قال ابن كثير : « انه لم يتخلف عن الحضور الا من لم يستطع الى ذلك سبيلا » .. رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته .

الناشر

* * *

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
(١١١٥ – ١٢٠٩ هـ)

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد ابن راشد التميمى الحنبلى . ولد فى بلدة (العيينة) الواقعة شمالى الرياض سنة ١١١٥ هجرية (١٧٠٣ ميلادية) .

استظهر القرآن قبل بلوغه العاشرة ، درس على والده الفقه الحنبلى والتفسير والحديث . واعتنى بدراسة كتب شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية ، وابن القيم رحمهما الله .

حج مكة وزار المدينة وأخذ العلم بها عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم وتعرف بالمحدث الشيخ محمد حياة سندى .

زار البصرة والتبريز والشام وأخذ العلم عن كبار علمائها . وقلت نفقته فقفل راجعا الى (الأحساء) حيث نزل بها الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف الشافعى وتوجه بعد ذلك الى (حريملا) من قرى نجد لاحقا بوالده الشيخ عبد الوهاب الذى حل بها . ولازم أباه يستزيد من معين علمه .

رأى الشيخ بما وهبه الله من فكر واع ونظر ثاقب ما بالبلاد التى رحل اليها من العقائد والعادات الفاسدة والبدع الضالة . فعزم على القيام بدعوته .

ونادى بالرجوع الى تعاليم الدين وتعاليم الرسول وحارب البدع ، غير مقيم وزنا الا لما نص عليه القرآن صراحة أو ما عرف عن رسول الله سنة مؤكدة وحارب بعنف وصلابة تقديس الأولياء وجعلهم واسطة بين الخلق والخالق ، ونادى بهدم الأضرحة والمزارات وازالة معالمها اقتداء بما كانت عليه أيام رسول الله .

ولاقى الكثير من الأذى حتى قيض الله له الغلبة على أهل الضلالة، ونشر دعوة الاصلاح والتجديد . وسمى بحق المجدد والمصلح.

ولا يفوتنا في هذه العجالة من ذكر ما كان للأمير محمد بن سعود (أمير الدرعية) وآله من أياد بيضاء ناصعة في تدعيم وتثبيت هذه الدعوة الكريمة حتى علا صوت الحق على الباطل .

انتقل الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب الى جوار ربه في شهر ذي القعدة سنة ١٢٠٦ هجرية ، مخلفا وراءه العمل الصالح والذكر الطيب ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

* * *

الرسالة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : اعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . قال تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** »(١) .

والعبادة : هى التوحيد ، لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه ، كما قال تعالى : « **ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** »(٢) .

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

أما توحيد الربوبية ، فهو الذى أقر به الكفار على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدخلهم فى الاسلام ، وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم ، وهو توحيد بفعله تعالى . والدليل قوله تعالى : « **قل من يرزقكم من السماء والأرض امن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون** »(٣) « **قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله ، قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فانى تسحرون** »(٤) والآيات على هذا كثيرة جدا ، أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر .

الأصل الثانى : هو توحيد الألوهية ، فهو الذى وقع فيه النزاع

---

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) النحل : ٣٦ .

(٣) يونس : ٣١ .

(٤) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ .

فى قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله بأفعال العباد ، كالدعاء ، والنذر ، والنحر ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والانابة.

ودليل الدعاء قوله تعالى : **((وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين))**(١) وكل نوع من هذه الأنواع عليها دليل من القرآن .

وأصل العبادة : تجريد الاخلاص لله تعالى وحده ، وتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : **((وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا))**(٢) وقال تعالى : **((وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون))**(٣) . وقال تعالى : **((له دعوة الحق))** الى قوله تعالى : **((وما دعاء الكافرين الا فى ضلال))**(٤) وقال تعالى : **((ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير))**(٥) والآيات معلومات . وقال تعالى : **((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))**(٦) . وقال تعالى : **((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم))**(٧) .

الأصل الثالث : فهو توحيد الذات والأسماء والصفات . وقال تعالى : **((قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد))**(٨) . وقال تعالى **((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون))**(٩) . وقال تعالى : **((ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير))**(١٠) .

ثم اعلم أن ضد التوحيد الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفى .

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى **((ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا**

---

(١) غافر : ٦٠

(٢) الجن : ١٨

(٣) الأنبياء : ٢٥

(٤) الرعد : ١٤

(٥) الحج : ٦٢

(٦) الحشر : ٧ .

(٧) آل عمران : ٣١

(٨) سورة الاخلاص

(٩) الأعراف : ١٨٠

(١٠) الشورى : ١١

بعيدا))(١) ((وقال المسيح : يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من انصار))(٢) .

وهو أربعة أنواع :

النوع الأول : شرك الدعوة . والدليل قوله تعالى : **((فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون))(٣) .**

النوع الثانى : شرك النية والارادة والقصد ، والدليل قوله تعالى: **((من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون))(٤) .**

النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : **((اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون))(٥) .**

وتفسيرها الذى لا اشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية ، لادعاؤهم اياهم ، كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لما سأله ، فقال : لسنا نعبدهم ، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم فى المعصية(٦) .

النوع الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : **((ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله))(٧) .**

والنوع الثانى(٨) : شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: **((فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا))(٩) .**

---

(١) النساء : ١١٦ (٢) المائدة : ٧٢

(٣) العنكبوت : ٦٥ (٤) هود : ١٥ ، ١٦

(٥) التوبة : ٣١ (٦) رواه الترمذى

(٧) البقرة : ١٦٥

(٨) اى من انواع الشرك الثلاثة (شرك اكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفى) .

(٩) الكهف : ١١٠ .

والنوع الثالث : شرك خفى ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء » .

وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى اعوذ بك ان اشرك بك شيئا وانا اعلم ، واستغفرك من الذنب الذى لا أعلم »(١) .

فالكفر كفران : كفر يخرج من الملة ، وهو خمسة أنواع :

النوع الأول : كفر التكذيب ، والدليل قوله تعالى : **« ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه ، اليس فى جهنم مثوى للكافرين »(٢) .**

النوع الثانى : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق ، والدليل قوله تعالى : **« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين »(٣) .**

النوع الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن ، والدليل قوله تعالى: **« ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا . وما اظن الساعة قائمة ، ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره : آكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا »(٤) .**

النوع الرابع : كفر الاعراض ، والدليل قوله تعالى : **« والذين كفروا عما انذروا معرضون »(٥) .**

النوع الخامس : كفر النفاق ، والدليل قوله تعالى : **« ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون »(٦) .**

وكفر أصغر لا يخرج من الملة ، وهو كفر النعمة ، والدليل قوله تعالى : **« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من**

---

(١) رواه الحاكم وأبو نعيم عن عائشة .

(٢) العنكبوت : ٦٨ (٣) البقرة : ٣٤

(٤) الكهف : ٣٥ — ٣٨ (٥) الأحقاف : ٣ .

(٦) المنافقون : ٣

كل مكان ، فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »(١)

وأما النفاق فنوعان : اعتقادى ، وعملى .

فأما الاعتقادى ، فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول .

واما العملى : فهو خمسة أنواع ، والدليل قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم **« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذن اؤتمن خان » وفى حديث آخر « واذا خاصم فجر ، واذا عاهد غدر »**(٢) .

فهذه الأنواع الخمسة(٣) وصاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار . نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب ، والله أعلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى : (أنه من) الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاث مسائل :

الأولى : أن الله خلقنا ، ولم يخلقنا عبثا ، ولم يتركنا هملا ، بل أرسل الينا رسولا ، وعنده كتاب ، من أطاعه فهو فى الجنة ، ومن عصاه فهو فى النار . والدليل قوله تعالى : **« انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا »**(٤) .

المسألة الثانية : أن أعظم ما جاء به هذا الرسول أن لا يشرك مع الله فى عبادته احد ، والدليل قوله : **« وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »**(٥) .

---

(١) النحل : ١١٢ (٢) صحيح مسلم وغيره

(٣) اى أنواع الكفر المخرج من الملة .

(٤) المزمل : ١٥ ، ١٦ (٥) الجن : ١٨

المسألة الثالثة : أن من وحد الله وعبد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، والدليل قوله تعالى : ((**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون**))(١) .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، والدليل قوله تعالى : ((**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**))(٢) .

فأما صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها ، وتكفر أهلها وتعاديهم .

وأما معنى الايمان بالله ، أن تعتقد أن الله هو الاله المعبود وحده دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الاخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ، وهذه ملة ابراهيم التى سفه من رغب عنها .

وهذه هى الأسوة التى أخبر الله بها فى قوله تعالى : ((**قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده**))(٣) .

والطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة فهو طاغوت ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع فى غير طاعة الله ورسوله ، فهو طاغوت ، والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة .

---

(١) المجادلة : ٢٢ (٢) النحل : ٣٦ (٣) الممتحنة : ٤

الأول : الشيطان الداعى الى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى : **((الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين))**(١) .

الثانى : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ، والدليل قوله تعالى : **((الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا))**(٢) .

الثالث : الذى يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : **((ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون))**(٣) .

الرابع : الذى يدعى علم الغيب من دون الله ، والدليل قوله تعالى: **((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا))** (٤) . وقال تعالى **((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البحر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين))**(٥) .

الخامس : الذى يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، والدليل قوله تعالى : **((ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين))**(٦) .

واعلم ان الانسان ما يصير مؤمنا بالله الا بالكفر بالطاغوت ، والدليل قوله تعالى : **((فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم))**(٧) .

الرشد : دين محمد صلى الله عليه وسلم ، والغى : دين أبى جهل. والعروة الوثقى : شهادة أن لا اله الا الله ، وهى متضمنة للنفى والاثبات، تنفى جميع أنواع العبادة عن غير الله ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له .

* * *

---

(١) يس : ٦٠

(٢) النساء : ٦٠

(٣) المائدة : ٤٤

(٤) الجن : ٢٦ ، ٢٧

(٥) الأنعام : ٥٩

(٦) الأنبياء : ٢٩

(٧) البقرة : ٢٥٦ واولها : **((لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن ...))** .

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول : وهى معرفة ربه ، ودينه ونبيه .

الأصل الأول : اذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربى الله الذى ربانى بنعمته ، وخلقنى من عدم الى وجود ، والدليل قوله تعالى : **« ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »**(١) .

واذا قيل لك : بأى شيء عرفت بك ؟ فقل : عرفته بآياته ومخلوقاته ، فأما الدليل على آياته فقوله تعالى : **« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ، ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »**(٢) .

ودليل مخلوقاته قوله تعالى : **« ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين »**(٣) .

واذا قيل لك : لأى شيء خلقك الله ؟ فقل : خلقنى لعبادته وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه ، ودليل العبادة قوله تعالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »**(٤) . ودليل الطاعة قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول »**(٥) .

يعنى كتاب الله وسنة نبيه .

واذا قيل لك : أى شيء أمرك الله به وأى شيء نهاك عنه ؟ فقل : أمرنى بالتوحيد ونهانى عن الشرك .

---

(١) آل عمران : ٥١
(٢) فصلت : ٣٧
(٣) الأعراف : ٥٤
(٤) الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨
(٥) النساء : ٥٩ .

ودليل الأمر قوله تعالى : **« ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »**(١) . ودليل النهى عن الشرك قوله تعالى : **« ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**(٢) و **« انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار »**(٣) .

الأصل الثانى : اذا قيل لك : ما دينك ؟ فقل : دينى الاسلام ، وهو الاستسلام والاذعان والانقياد الى الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : **« ان الدين عند الله الاسلام »** (٤) ، **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »**(٥) .

وهو مبنى على خمسة أركان : أولها شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .

فأما دليل الشهادة فقوله تعالى : **« شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم »**(٦) .

ودليل ان محمدا رسول الله قوله تعالى : **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »**(٧) .

ودليل الزكاة قوله تعالى : **« خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم »**(٨) .

ودليل الصوم قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »**(٩) .

واذا قيل لك : الصيام شهر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : **« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه »**(١٠) .

---

(١) النحل : ٩٠ .

(٢) النساء : ١١٦ وتمامها : **« ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا »** .

(٣) المائدة : ٧٢

(٤) آل عمران : ١٩

(٥) آل عمران : ٨٥

(٦) آل عمران : ١٨

(٧) الأحزاب : ٤٠

(٨) البقرة : ١٨٥

(٩) البقرة : ١٨٣

(١٠) البقرة : ١٨٥ .

واذا قيل لك : الصيام فى الليل أو فى النهار ؟ فقل : فى النهار ، والدليل قوله تعالى : « **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم اتموا الصيام الى الليل** »(١) .

وذليل الحج قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** »(٢) .

واذا قيل لك : وما الايمان ؟ فقل : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : « **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير** »(٣) .

ودليل القدر قوله تعالى : « **انا كل شىء خلقناه بقدر** »(٤) .

واذا قيل لك : وما الاحسان ؟ فقل : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، والدليل قوله تعالى : « **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** »(٥) .

واذا قيل لك : منكر البعث كافر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى: « **زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتهم وذلك على الله يسير** »(٦) .

الأصل الثالث : اذا قيل لك : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من كنانة ، وكنانة من العرب ، والعرب من ذرية اسماعيل ، واسماعيل من ابراهيم ، وابراهيم من نوح ، ونوح من آدم ، وآدم من تراب . والدليل قوله تعالى : « **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** »(٧) .

واذا قيل لك : من أول الرسل ؟ فقل : أولهم نوح وآخرهم ع

---

(١) البقرة : ١٨٧
(٢) آل عمران : ٩٧
(٣) البقرة : ٢٨٥
(٤) القمر : ٤٩
(٥) النحل : ١٢٨
(٦) التغابن : ٧
(٧) آل عمران : ٥٩ .

وافضلهم محمد صلى الله عليه وسلم والدليل قوله تعالى : **« انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده »**(١) .

واذا قيل لك : بينهم رسل ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : **« ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »**(٢) .

واذا قيل لك : محمد بشرا ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : **« قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا »**(٣) .

واذا قيل لك : محمد عبد ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله »**(٤) .

واذا قيل لك : كم عمره ؟ فقل : ثلاث وستون سنة ، أربعون منها قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا ورسولا ، نبىء بـ « اقرأ » ، وأرسل بـ « المدثر » ، وخرج على الناس فقال : **« يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا »**(٥) .

فكذبوه وآذوه وطردوه وقالوا : ساحر كذاب ، فأنزل الله عليه : **« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين »**(٦) .

بلده مكة ، وولد فيه ، وهاجر الى المدينة وبها توفى ، ودفن جسمه ، وبقى علمه ، نبى لا يعبد ، ورسول لا يكذب ، بل يطاع ويتبع ، صلوات الله وسلامه عليه .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

وبعد .. فهذه أربع قواعد من قواعد الدين ، يميز بهن المسلم دينه من دين المشركين .

---

(١) النساء : ١٦٣
(٢) النحل : ٣٦
(٣) الكهف : ١١٠
(٤) الاسراء : ١
(٥) الأعراف : ١٥٨
(٦) البقرة : ٢٣

القاعدة الأولى : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية ، يشهدون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيى المميت ، المدبر لجميع الأمور ، ولم يدخلهم ذلك فى الاسلام ، والدليل قوله تعالى : « **قل من يرزقكم من السماء والأرض امن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون** »(١) .

القاعدة الثانية : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرادوا ممن قصدوا الا قربة وشفاعة . والقربة : قوله تعالى : « **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار** »(٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : « **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون** »(٣) .

القاعدة الثالثة : بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى أهل الأرض وهم على أديان مختلفة . وعبادات متفرقة ، منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النبيين والصالحين ، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم ، والدليل قوله تعالى : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** »(٤) .

ودليل الملائكة قوله تعالى :

« **ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون** »(٥) .

ودليل النبيين قوله تعالى :

« **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق** ،

---

(١) يونس : ٣١
(٢) الزمر : ٣
(٣) يونس : ١٨
(٤) الأنفال : ٣٩
(٥) سبأ : ٤٠ ، ٤١.

ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب • ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شىء شهيد • ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم »(١) •

ودليل الصالحين قوله تعالى : « **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا • اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا »(٢) •**

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى : « **افرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى »(٣) •**

القاعدة الرابعة : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخلصون فى الشدة ، ويشركون فى الرخاء •

والدليل قوله تعالى : « **فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون »(٤) •**

وأهل زماننا هذا يشركون فى الشدة ، وفى الرخاء كذلك • والله أعلم(٥) •

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله ؟

---

(١) المائدة : ١١٦ ــ ١١٨ (٢) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

(٣) النجم : ١٩ ، ٢٠ (٤) العنكبوت : ٦٥

(٥) منهم : عباد القبور الآن الذين يعتقدون شركهم وجهلهم وضلالهم قربة تقربهم الى الله ، وعلماء الضلال ودعاة البدعة يحرفون الكلم عن مواضعه ، فالشرك الأكبر جعلوه توسلا وطاعة ، ومع ذلك يضللون من دان الله بالتوحيد الخالص وأفرده بالعبادة .

وما أحسن ما قال ابن القيم :

هربوا من الرق الذى خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان

وقوله ايضا :

وخصومنا قد كفرونا بالذى هو غاية التوحيد والأيمان

قلت : طاعته : بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه •

فان قيل : فما أنواع العبادة التى لا تصلح الا لله ؟ قلت : من أنواعها الدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وذبح القربان ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والانابة ، والمحبة . والخشية ، والرغبة ، والرهبة ، والتأله ، والركوع ، والسجود ، والخشوع ، والتذلل ، والتعظيم الذى هو من خصائص الألوهية •

ودليل الدعاء قوله تعالى : ((**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا**))(١) •

الى قوله تعالى : ((**وما دعاء الكافرين الا فى ضلال**))(٢) •

وقوله تعالى : ((**له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء**))(٣) •

ودليل الاستعانة قوله تعالى : ((**اياك نعبد واياك نستعين**))(٤) •

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ((**اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**))(٥) •

ودليل الذبح قوله تعالى : ((**قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له ، وبذلك امرت وانا اول المسلمين**))(٦) •

ودليل النذر قوله تعالى : ((**يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا**))(٧) •

ودليل الخوف قوله تعالى : ((**انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين**))(٨) •

ودليل الرجاء قوله تعالى : ((**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه احدا**))(٩) •

ودليل التوكل قوله تعالى : ((**وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين**))(١٠) •

---

(١) الجن : ١٨
(٢) الرعد : ١٤
(٣) الرعد : ١٤
(٤) الفاتحة : ٥
(٥) الأنفال : ٩
(٦) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣
(٧) الانسان : ٧
(٨) آل عمران : ١٧٥
(٩) الكهف : ١١٠
(١٠) المائدة : ٢٣

ودليل الانابة قوله تعالى : **((وانيبوا الى ربكم واسلموا له))**(١) .

ودليل المحبة قوله تعالى : **((ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله))**(٢) .

ودليل الخشية قوله تعالى : **((فلا تخشوا الناس واخشون))**(٣) .

ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى : **((انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين))**(٤) .

ودليل التاله قوله تعالى : **((والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم))**(٥) .

ودليل الركوع والسجود قوله تعالى : **((يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون))**(٦) .

ودليل الخشوع قوله تعالى : **((وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله ، لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا))**(٧) . الآية ونحوها ، فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله فقد أشرك بالله غيره .

فان قيل : فما أجل أمر أمر الله به عباده ؟ فقل : توحيده بالعبادة . وقد تقدم بيانه ، وأعظم نهي نهى الله عنه الشرك به ، وهو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله ، فقد اتخذه ربا والها ، وأشرك مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه ، وأنكره على المشركين .

وقد قال تعالى : **((ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا))**(٨) .

وقال تعالى : **((ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار))**(٩) .

* * *

---

(١) الزمر : ٥٤
(٢) البقرة : ١٦٥
(٣) المائدة : ٤٤
(٤) الأنبياء : ٩٠
(٥) البقرة : ١٦٣
(٦) الحج : ٧٧
(٧) آل عمران : ١٩٩
(٨) النساء : ١١٦
(٩) المائدة : ٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » •

قال الشيخ رحمه الله تعالى : تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل :
الآية الأولى : فيها المحبة : ان الله منعم ، والمنعم يحب على قدر انعامه • والمحبة تنقسم على أربعة أنواع :

محبة شركية وهم الذين قال الله فيهم : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله »** الى قوله : **« وما هم بخارجين من النار »**(١) •

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله ، وهذه صفة المنافقين •

المحبة الثالثة : طبعية ، وهى محبة المال والولد ، اذا لم تشغل عن طاعة الله ولا تعين على محارم الله ، فهى مباحة •

والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد ، وبغض أهل الشرك ، وهى أوثق عرى الايمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه •

الآية الثانية : فيها الرجاء •

والآية الثالثة : فيها الخوف **« اياك نعبد »** ، اى اعبدك يا رب بما مضى بهذه الثلاث : بمحبتك ورجائك ، وخوفك ، فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير الله شرك • وفى هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منهن ، كمن تعلق بالمحبة وحدها ، أو تعلق بالرجاء وحده ، أو تعلق بالخوف وحده • فمن صرف واحدة منهن لغير الله فقد أشرك • وفيها من الفوائد الرد على الثلاث الطوائف التى كل طائفة تتعلق بواحدة منها ، كمن عبد الله بالمحبة وحدها • وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده ، كالمرجئة ، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده ، كالخوارج • **« اياك نعبد واياك نستعين »** فيها توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية **« اياك نعبد »** فيها توحيد الألوهية ، **« واياك نستعين »** فيها توحيد الربوبية **« اهدنا الصراط المستقيم »** ، فيها الرد على المبتدعين •

---

(١) البقرة : ١٦٥ — ١٦٧

وأما الآيتان الأخيرتان ، ففيهما من الفوائد ذكر أحوال الناس ، قسمهم الله ثلاثة أصناف : منعم عليه ، ومغضوب عليه ، وضال .

فـ **« المغضوب عليهم »** : أهل علم ليس معه عمل . و **« الضالين »** : أهل عبادة ليس معها علم وان (كان) سبب النزول فى اليهود والنصارى ؛ فهى لكل من اتصف بذلك .

الثالث : من اتصف بالعلم والعمل ، وهو المنعم عليهم ، وفيها من الفوائد التبرى من الحول والقوة ، لأنه منعم عليه . وكذلك فيها معرفة الله على التمام ، ونفى النقائص عنه تبارك وتعالى . وفيها معرفة الانسان ربه ، ومعرفة نفسه ، فانه اذا كان رب ، فلابد من مربوب ، واذا كان هناك راحم ، فلابد من مرحوم ، واذا كان هنا مالك ، فلابد من مملوك ، واذا كان هنا عبد ، فلابد من معبود ، واذا كان هنا هاد ، فلابد من مهدى ، واذا كان هنا منعم عليه ، فلابد من منعم ، واذا كان هنا مغضوب عليه ؛ فلابد من غاضب .

فهذه السورة تضمنت الألوهية ، والربوبية ، ونفى النقائص عن الله عز وجل ، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها ، والله أعلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه بمنه وكرمه آمين :

تأمل رحمك الله ستة مواضع من السيرة ، وافهمها فهما حسنا ، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ، ودين المشركين لتتركه ، فان أكثر من يدعى الدين ، ويدعى أنه من الموحدين لا يفهم السنة كما ينبغى .

الأولى : قصة نزول الوحى ، وفيها أن أول ما أرسله الله به :

« يا أيها المدثر . قم فأنذر »(١) فاذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة ، ويعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا ، وعرفت أيضا أنهم

---

(١) المدثر : ١ ، ٢

يفعلون شيئا من العبادة ، ويتقربون بها الى الله ، مثل الحج ، والعمرة ، والصدقة على المساكين ، وغير ذلك وأجلها عندهم الشرك . فهو أجل ما يتقربون به الى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم انهم قالوا : **((ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى))**(١) .

وقال تعالى : **((انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون))**(٢) .

فأول ما أمر به الانذار عنه ، قبل الانذار عن الزنا وغيره ، وعرفت أن منهم من تعلق على الاصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ، ويقولون : ما نريد منهم الا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه فى أول آية أرسل بها ، فان احكمت هذه المسألة ، فيابشراك ، خصوصا اذا عرفت أن ما بعدها أعظم من صلاة الخمس ، ولم تفرض الا فى ليلة الاسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبى طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين .

فاذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة ، والعداوة البالغة لكل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة .

الموضع الثانى : أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا ، واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، الى أن صرح بسب دينهم ، وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا .

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ولا الصالحين لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتما .

فاذا عرفت هذه عرفت أن الانسان لا يستقيم له اسلام ولو وحد الله وترك الشرك ، الا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض ، كما قال تعالى : **((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله))**(٣) .

---

(١) الزمر : ٣

(٢) الأعراف : ٣٠

(٣) المجادلة : ٢٢

فاذا فهمت هذا فهما جيدا ، عرفت أن كثيرا من الذين يدعون الدين لا يعرفونها ، والا فما الذى حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب ، والأسر ، والضرب ، والهجرة الى الحبشة ، مع أنه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله : « **ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** »(١) .

فاذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه ، فكيف بغير ذلك .

الموضع الثالث : قصة قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم بحضرتهم ، فلما بلغ « **افرأيتم اللات والعزى** »(٢) القى الشيطان فى تلاوته : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، ففرحوا بذلك وقالوا كلاما معناه : هذا الذى نريد ، ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده . فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه . فشاع الخبر أنهم صادقوه(٣) . وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عادوا الى أشر ما كانوا عليه ، ولما قالوا له : انك قلت ذلك ، خاف من الله خوفا عظيما ، حتى انزل الله عليه « **وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته** »(٤) الآية ، فمن فهم هذه القصة ثم شك بعدها فى دين النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين ، فأبعده ، خصوصا ان عرف أن قولهم تلك الغرانيق(٥) ، الملائكة .

الموضع الرابع : قصة أبى طالب فمن فهمها فهما حسنا ، وتأمل اقراره بالتوحيد ، وحث الناس عليه ، وتسفيه عقول المشركين ، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته فى نصرة

---

(١) العنكبوت : ١٠ (٢) النجم : ١٩

(٣) أى تابعوا النبى وآمنوا به . (٤) الحج : ٥٢

(٥) مسألة الغرانيق كثر فيها القال والقيل ، فمنهم من انكرها بعقله ، الخ . كما فى « فتح البارى » لابن حجر ، و « فتح القدير » للشوكانى . وحكى فى « جمع البيان » للصفوى انها من وضع الزنادقة . والله اعلم بحقيقة الحال . وقال ناصر الدين الألبانى : هذه باطلة لا تصح ، وليس لها أسناد تقوم به الحجة ، وعامة طرقها مراسيل لا تصلح للتقوية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن مات ، ثم صبره على المشقة العظيمة ، لكن (لما) لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلما ، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم ، ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه « **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى** »(١) الآية . والذى يبين هذا أنه اذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء يحب الدين ويحب المسلمين ، مع أنه لم ينصر الدين بيد ولا مال ، ولا له من الأعذار مثل ما لأبى طالب ، وفهم الواقع من أكثر من يدعى الدين ، تبين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الأفهام ، والله المستعان .

الموضع الخامس : قصة الهجرة ، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها ، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها ، وهى أن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهاجر ، من غير شك فى الدين ، وفى تزيين دين المشركين ، ولكن محبة الأهل والمال ، والوطن فلما خرجوا الى بدر خرجوا مع المشركين كارهين ، فقتل بعضهم بالرمى ، والرامى لا يعرفه ، فلما سمع الصحابة : أن صح من القتلى فلان أو فلان ، شق عليهم وقالوا : قتلنا اخواننا ، فأنزل الله : « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم** » الى قوله : « **وكان الله عفوا غفورا** »(٢) .

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة : قتلنا اخواننا أنه لو يبلغ عنه كلاما فى الدين أو كلاما فى تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا اخواننا ، فان الله قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الايمان بقوله تعالى : « **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** »(٣) .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله عليهم ، فان الملائكة تقول : « **فيم كنتم** » ولم يقولوا : كيف تصديقكم ؟ « **قالوا كنا مستضعفين فى الأرض** »(٤) لم يقولوا : كذبتم مثل ما يقول الله للمجاهد الذى يقول : جاهدت فى سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة :

---

(١) التوبة : ١١٣
(٢) النساء : ٩٧ — ٩٩
(٣) النحل : ١٠٦
(٤) النساء : ٩٧

كذبت ، بل قاتلت ليقال : جرىء ، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق : كذبت بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد وأما هؤلاء فلم يكذبوهم ، بل اجابوهم بقولهم : **« الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها »** ويزيد ذلك ايضاحا للعارف والجاهل الآية التى بعدها ، وهى قوله تعالى : **« الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا »**(١) .

فهذا أوضح جدا أن هؤلاء خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكن لمن طلب العلم ، بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيهم : **« صم بكم عمى فهم لا يرجعون »**(٢) .

ومن فهم هذا الموضع والذى قبله ، فهم كلام الحسن البصرى قال : ليس الايمان بالتحلى ، ولا بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال ، وذلك ان الله تعالى يقول : **« اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »**(٣) .

الموضع السادس : قصة الردة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن سمعها ثم بقى فى قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء ، وهى قولهم : هذا هو الشرك . لكن يقولون لا اله الا الله ، ومن قالها لا يكفر بشىء . وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادى ليس(٤) معهم من الاسلام شعرة ، ولكن يقولون : لا اله الا الله ، وهم بهذه اللفظة اسلام ، وحرم الاسلام مالهم ودمهم مع اقرارهم أنهم تركوا الاسلام كله(٥) ومع علمهم بانكارهم البعث ، واستهزائهم بمن أقر به ، وتفضيلهم دين آبائهم مخالفا لدين النبى (ﷺ) ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا ، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولونها وأيضا كفر هؤلاء أغلظ

---

(١) النساء : ٩٨ (٢) البقرة : ١٨

(٣) فاطر : ١٠ (٤) فى الأصل : ليسوا .

(٥) يزعم بعض الناس : ان من قال : لا اله الا الله دخل الجنة ، ولو لم يأت بشىء من اركان الاسلام . ولا شك أن هذا مما طغى به القلم وزل به القدم ، فان النبى صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة والنجاة من النار على القيام بأركان الاسلام ، كما فى حديث معاذ وغيره ، والانسان يدخل فى الاسلام بكلمة التوحيد حكما ، فان أتى بأركان الاسلام ، صار مسلما حقيقة يستحق دخول الجنة والنجاة من النار . وتأمل ما ذكره الشيخ هنا ، فهو فصل الخطاب .

من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعنى البوادى المتصفين بما ذكرنا •

والذى يبين ذلك من قصة الردة أن المرتدين افترقوا فى ردتهم ، فمنهم من كذب النبى ﷺ ، ورجعوا الى عبادة الأوثان وقالوا : او كان نبيا ما مات ، ومنهم من ثبت على الشهادتين • ولكن اقر بنبوة مسيلمة ظنا أن النبى ﷺ أشركه فى النبوة ، لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك • ومن شك فى ردتهم فهو كافر ، فاذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوهم ، ورجعوا الى عبادة الأوثان ، وشتموا رسول الله ﷺ • ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة فى حال واحدة ولو ثبت على الاسلام كله • ومنهم من أقر بالشهادتين ، وصدق طليحة فى دعواه النبوة • ومنهم من صدق المنسى صاحب صنعاء • كل هؤلاء اجمع العلماء أنهم سواء • ومنهم من كذب النبى ﷺ ورجع الى عبادة الأوثان على حال واحدة • ومنهم أنواع ، آخرهم الفجاءة السلمى لما وفد على أبى بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبى بكر أن يمده ، فأعطاه سلاحا ورواحل ، فاستعرض السلمى المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر جيشا لقتاله ، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم : أنت أمير أبى بكر ، وأنا أميره ولم أكفر • فقال : ان كنت صادقا فألق السلاح ، فالقاه ، فبعث به الى أبى بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حى ، فاذا كان هذا حكم الصحابة فى هذا الرجل مع اقراره بأركان الاسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يقر من الاسلام بكلمة واحدة ؟ الا أن يقول : لا اله الا الله بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ، ومن كتاب الله ، ويقولون : هذا دين الحضر ، وديننا دين آبائنا ، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله اذا قالوا : لا اله الا الله • سبحانك هذا بهتان عظيم •

وما أحسن ما قال واحد من البوادى لما قدم علينا وسمع شيئا من الاسلام • قال : أشهد أننا كفار ، يعنى هو وجميع البوادى ، وأشهد أن المطوع الذى يسمينا أهل اسلام أنه كافر ، آخره والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم •

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اعلم أن نواقض الاسلام عشرة نواقض[١] :

الأول : الشرك فى عبادة الله . وقال الله تعالى : **« ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**(٢) و **« انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار »**(٣) .

ومنه الذبح لغير الله ، كمن يذبح للجن أو للقبر .

الثانى : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ، كفر اجماعا .

الثالث : من لم يكفر المشركين ، أو يشك فى كفرهم ، أو صحح مذهبهم ، كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو عمل به ، كفر .

السادس : من استهزأ بشىء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه ، كفر . والدليل قوله تعالى : **« قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » . لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم »**(٤) .

السابع : السحر ، ومنه الصرف ، والعطف ، فمن فعله أو رضى به كفر ، والدليل قوله تعالى : **« وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر »**(٥) .

---

[١] من اهم ما يجب على المسلم الموحد الحريص على دينه ، أن يعرف نواقض الاسلام ، فان أكثر الناس يجهلها ولا يعرفها ، فلهذا وقعوا فى الشرك الأكبر وهم يحسبون انهم مهتدون .

(٢) النساء : ٤٨

(٣) المائدة : ٧٢

(٤) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

(٥) البقرة : ١٠٢

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : **« ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين »**(١) .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر (الخروج) عن شريعة موسى عليه السلام ، فهو كافر .

العاشر : الاعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : **« ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون »**(٢) .

ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، الا المكره ، كلها من أعظم ما يكون خطرا ، وأكثر ما يكون وقوعا ، فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه وسلم .

وبعد .. فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فى قوله : **« وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا »**(٣) .

فهذا كلام وجيز يبين غربة الدين لمن تدبره ، وهو عشر درجات :

الأولى : تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة وقد خالف فيها من خالف(٤) .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ، وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة ، وقد خالف فيها من خالف .

---

(١) المائدة : ٥١ (٢) السجدة : ٢٢

(٣) الجن : ١٨

(٤) أى لأنها شرك ، وصرف للعبادة لمن لا يستحقها ، والمشركون خالفوا فى ذلك فاعتقدوا جواز الشرك وصرف العبادة لغير الله ، والدعاء مخ العبادة ، فخالفوا الحق الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم واعتقدوا الباطل وعملوا به .

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذى لا يغفره ، وقد خالف فيها من خالف .

الخامسة : أن المسلم اذا اعتقده أو دان به كفر ، وقد خالف فيها من خالف .

السادسة : أن المسلم الصادق اذا تكلم به هازلا أو خائفا أو طامعا ، كفر بذلك لعلمه ، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقه بها ؟ وقد خالف فيها من خالف .

السابعة : انك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك ، وقد خالف فيها من خالف .

الثامنة : أن هذا معنى لا اله الا الله . والاله . هو المألوه . والأله : عمل من الأعمال ، وكونه منفيا عن غير الله ترك من التروك .

التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

العاشرة : أن الداعى لغير الله لا يقبل منه الجزية(١) كما يقبل من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغلظ كفرا . وكل درجة من هذه الدرجات اذا علمت بها تخلف عنك بعض من كان معك ، والله أعلم .

قوله : عند كل درجة . وقد خالف فيها من خالف ناس يعتقدون أن دعوة غير الله جائزة ، والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ، وناس ما يكفرون بالطاغوت ، ولا يبغضونه ، والرسول وأتباعه مخالفون لهم بل ملة ابراهيم هى الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، وهكذا سائر الدرجات ، والله أعلم .

قوله تعالى : **((قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم ، وامرت أن اكون من المؤمنين . وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين))(٢)** .

---

(١) لأن الجزية لا تؤخذ الا من اليهود والنصارى والمجوس على القول الصحيح الراجح من حيث الدليل ، والخلاف مشهور .

(٢) يونس : ١٠٤ — ١٠٦

وقوله تعالى : « **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** »[١] •

فيه سبع حالات :

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقا ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل ، كما جرى لسعد مع أمه •

الحالة الثانية : ان كثيرا من الناس اذا عرف الشرك وأبغضه وتركه ، لا يفطن بما يريد الله من اجلاله ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله : « **ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم** »[٢] •

الحالة الثالثة : ان قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل ، فلابد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولو لم يفض هذا الغرض الا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت[٣] الذين لا يبلغون الغاية فى العداوة ، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم •

الحالة الرابعة : ان قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ؛ فقد لا يبلغ الجد فى العمل بالدين • والجد والصدق هو اقامة الوجه للدين •

الحالة الخامسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع ، فلابد من مذهب ينتسب اليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحا ، ففى الحنيفية عنه غنية •

الحالة السادسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبيا ، أو غير شيء من مقاصده ، ولو كان دينا يظن أنه ان نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا ، خصوصا عند الخوف ، أنه لا يدخل فى هذا •

الحالة السابعة : أنه ظن سلامته من ذلك ، لكن غيره من أخوانه فعله خوفا ، أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف يكفر ؟ فهو يحب الدين ويبغض الشرك ، وما أعز من يتخلص من هذا ، بل ما أعز من يفهمه وان لم يعمل به ، بل ما أعز من لا يظنه جنونا ، والله أعلم •

---

(١) الروم : ٣٠ (٢) يونس : ١٠٤

(٣) الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ، من الجن والانس والاصنام ، وفى التنزيل : « **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** » (البقرة : ٢٥٦) •

باب

شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ، والعقل ، والتمييز ، والطهارة ، وستر العورة ، واجتناب النجاسة ، والعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية بالقصد .

باب

أركان الصلاة أربعة عشر ركنا :

القيام مع القدرة ، وتكبيرة الاحرام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع ، والرفع منه ، والاعتدال ، والسجود ، والرفع منه ، والجلوس بين السجدتين ، والطمأنينة فى الجميع ، والتشهد الأخير ، والجلوس له ، والتسليمة الأولى(١) ، وترتيب الأركان .

باب

مبطلات الصلاة ثمانية :

الكلام العمد ، والضحك ، والأكل ، والشرب ، وكشف العورة ، والانحراف عن جهة القبلة ، والعبث الكثير ، وحدوث النجاسة .

باب

موجبات الصلاة ثمانية :

التكبيرات غير تكبيرة الاحرام . الثانى : قول سمع الله لمن حمده لامام ومنفرد . الثالث : قول ربنا ولك الحمد . الرابع تسبيح الركوع . الخامس : تسبيح السجود . السادس : قول رب اغفر لى بين السجدتين، والواجب مرة . السابع : التشهد الأول لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به ، وسجد للسهو حين نسيه . الثامن : الجلوس له .

باب

فرائض الوضوء ستة أشياء :

غسل الوجه ، وغسل اليدين الى المرفقين ، ومسح جميع الرأس ، وغسل الرجلين الى الكعبين ، والترتيب ، والموالاة .

---

(١) الثانية سنة أو واجبة ، والصحيح ان التسليمتين ركن من أركان الصلاة .

بـــــاب

شروط الوضوء خمسة :

ماء طهور ، وكون الرجل مسلما مميزا[1] ، وعدم المانع ، ووصول الماء الى البشرة ، ودخول الوقت فى دائم الحدث •

بـــــاب

نواقض الوضوء ثمانية :

الخارج من السبيلين ، والخارج الفاحش من البدن ، وزوال العقل بنوم أو غيره ، ولمس المرأة بشهوة ، ومس الفرجين لآدمى ، وغسل الميت ، وأكل لحم الجزور ، والردة عن الاسلام أعاذنا الله منها •

والله أعلم •

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قوله رحمه الله تعالى : أصل دين الاسلام وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه •

قلت : وأدلة هذا فى القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعالى : **« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله »**[2] الآية •• أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب الى معنى لا الا الا الله الذى دعا اليه العرب وغيرهم • والكلمة : هى لا اله الا الله ، فسرها بقوله : أن لا نعبد الا الله •

فقوله : « أن لا نعبد » فيه معنى لا اله ، وهو نفى العبادة عما سوى الله •

قوله : « الا الله » هو المستثنى فى كلمة الاخلاص ، فأمره تعالى أن يدعوهم الى قصر العبادة عليه وحده ، ونفيها عن سواه • ومثل هذه الآية كثير يبين أن الالهية هى العبادة ، وأنها لا يصلح منها شىء لغير الله ، كما قال تعالى : **« وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه »**[3] •

---

[1] المميز : العاقل الذى يستطيع فرز الشىء عن غيره وتفضيله على سواه .

[2] آل عمران : ٦٤

[3] الاسراء : ٢٣

معنى « **قضى** » : أمر ووصى ، قولان ، ومعناهما واحد .

وقوله : « **الا تعبدوا** » فيه معنى لا اله .

وقوله : « **الا اياه** » فيه معنى الا الله ، وهذا هو توحيد العبادة هو دعوة الرسل اذ قالوا لقومهم : ان « **اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** »(١)

فلابد من نفى الشرك فى العبادة رأسا ، والبراءة منه وممن فعله ، كما قال تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام : « **واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى** »(٢) .

فلابد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله . وقال عنه عليه السلام : « **واعتزلكم وما تدعون من دون الله** »(٣) .

فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به فى قوله تعالى : « **قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده** »(٤) .

والذين معهم من الرسل ، كما ذكره ابن جرير . وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا(٥) رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، ونفى الشرك ، والموالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافى له ، فان من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فانهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد . وقد قال تعالى فى حق من أشرك : « **وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار** »(٦) .

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء فى العبادة ، وأمثال هذه الآيات كثير ، فلا يكون المرأ موحدا الا بنفى الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله .

---

(١) الاعراف : ٥٩ (٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٣) مريم : ٤٨ (٤) الممتحنة : ٤

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

(٦) الزمر : ٨

ثم قال رحمه الله تعالى :

الثانى : الانذار عن الشرك فى عبادة الله ، والتغليظ فى ذلك والمعادة فيه ، وتكفير من فعله ، فلا يتم مقام التوحيد الا بهذا ، وهو دين الرسل انذروا قومهم عن الشرك ، كما قال تعالى : **« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »**(١) .

وقال تعالى : **« وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون »**(٢) .

وقال تعالى : **« واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله »**(٣) .

قوله فى عبادة الله .

العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة .

قوله : « والتغليظ فى ذلك » .

وهذا موجود فى الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : **« ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين . ولا تجعلوا مع الله الها آخر ، انى لكم منه نذير مبين »**(٤) .

ولولا التغليظ لما جرى على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم ، كما هو مذكور فى السيرة مفصلا ، فانه يؤذيهم بسب دينهم ، وعيب آلهتهم .

قوله رحمه الله تعالى : والمعاداة فيه ، كما قال تعالى : **« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد »**(٥) .

والآيات فى هذا كثيرة جدا ، كقوله تعالى : **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »**(٦) .

---

(١) النحل : ٣٦ (٢) الأنبياء : ٢٥
(٣) الأحقاف : ٢٠ (٤) الذاريات : ٥٠ ، ٥١
(٥) التوبة : ٥ (٦) الانفال : ٣٩

والفتنة : الشرك . ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات ، فلابد من تكفيرهم أيضا .

هذا هو مقتضى « لا اله الا الله » كلمة الاخلاص ، فلا يتم معناها الا بتكفير من جعل لله شريكا فى عبادته ، كما فى الحديث الصحيح . « من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » .

فقوله : « وكفر بما يعبدون من دون الله » تأكيدا للنفى ، فلا يكون معصوم الدم والمال الا بذلك ، فلو شك أو تردد ، لم يعصم دمه وماله ، فهذه الأمور هى تمام التوحيد ، لأن « لا اله الا الله » قيدت فى الأحاديث بقيود ثقال ، بالعلم ، والاخلاص ، والصدق ، واليقين ، وعدم الشك ، فلا يكون المرء موحدا الا باجتماع هذا كله ، واعتقاده ، وقبوله ، ومحبته ، والمعاداة فيه ، والموالاة ، فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه الله يحصل ذلك .

ثم قال رحمه الله تعالى : والمخالف فى ذلك أنواع : فأشدهم مخالفة من خالف فى الجميع ، فقبل الشرك واعتقده دينا ، وأنكر التوحيد واعتقده باطلا ، كما هو حال الأكثر .

وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد ، وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء ، وما عليه الآباء كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل ، فرموا أهل التوحيد بالكذب ، والزور ، والبهتان ، والفجور . وحجتهم قوله تعالى : « **بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** »(١) .

وهذا النوع من الناس والذين بعده ، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الاخلاص ، وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين الذى لا يقبل الله دينا سواه ، وهو دين الاسلام الذى بعث الله به جميع أنبيائه ورسله ، واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قص الله تعالى عنهم فى كتابه .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم ينكر الشرك ، ولم يعاد أهله .

---

(١) الشعراء : ٧٤

قلت :ومن المعلوم من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ، ولم يأت به وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل الا بنفى الشرك والكفر بالطاغوت المذكور فى الآية •

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم ، فهذا النوع أيضا لم يأت بما دلت عليه « لا اله الا الله » من نفى الشرك ، وما يقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان اجماعا ، وهو مضمون سورة « الاخلاص » ، و « **قل يا أيها الكافرون** »(١) •

وقوله فى الممتحنة (آية : ٤) « **كفرنا بكم** » ومن لم يكفر من كفره القرآن ، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه •

ثم قال رحمه الله : ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه •

فالجواب : أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحدا لأنه هو الدين الذى رضيه الله لعباده ، كما قال تعالى : « **ورضيت لكم الاسلام دينا** »(٢) •

فلو رضى بما رضى به الله وعمل لأحبه ، ولابد من المحبة لعدم حصول الاسلام بدونها ، فلا اسلام الا بمحبة التوحيد •

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى : الاخلاص محبة الله ، وارادة وجهه • فمن أحب الله أحب دينه وما لا فلا • والمحبة يترتب عليها كلمة الاخلاص التى هى من شروط التوحيد •

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه •

قلت : ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته « لا اله الا الله » من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، فهذا ليس من الاسلام فى شىء أصلا ، ولم يعصم دمه ولا ماله ، كما دل عليه الحديث المتقدم •

وقوله رحمه الله : ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ، فلم ينفه ، ولا يكون موحدا الا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله ، وكفرهم وبالجهل بالشرك لا يحصل شىء مما دلت عليه « لا اله الا الله » ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها ، فليس من الاسلام فى شىء ، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ، ويقين ، وصدق ، واخلاص ،

---

(١) الكافرون : ١

(٢) المائدة : ٣

ومحبه ، وقبول ، وانقياد . وهذا النوع ليس معــه من ذلك شيء . وان قال : لا اله الا الله ، فهو يعرف ما دلت عليه وما تضمنته .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره .

فأقول : هــذا كالذى قبله ، لم يرفعوا رأســا بما خلقوا له من الدين الذى بعث الله به رسوله ، وهذه الحال حال من قال الله فيهم : **« ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا »**(١) .

وقوله رحمه الله : ومنهم — وهو أشد الأنواع خطرا — من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره ، ولم يبغض من تركه ، ولم يكفرهم .

فقوله رحمه الله : وهو أشد الأنواع خطرا ، لأنه لم يعرف قــدر ما عمل به ، ولم يجيء بما يصحح توحيده من القيود الثقال التى لابد منها ، لما علمت أن التوحيد يقتضى نفى الشرك ، والبراءة منه ومعاداة أهله ، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يغتر بحاله ، وهــو لم يجيء بما عليه من الأمور التى دلت عليها كلمة الاخلاص نفيا واثباتا .

وكذلك قوله رحمه الله : ومنهم من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف قدره ، وهذا أقرب من الذى قبله ، لكن لم يعــرف قدر الشرك ، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليــه الآيات المحكمات ، كقول الخليل : **« اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى »**(٢) .

« انا برءاء منكم ومما تعبــدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا »(٣) .

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه ، من أن يكون كذلك من الولاء ، والبراء من العابد والمعبود وبغض الشرك وأهله ، وعداوتهم .

وهذان النوعان هو الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الاســلام ، فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الاتيان بكلمة الاخلاص ، ومــا اقتضــته ، على الكمال الواجب الذى يكــون به موحــدا ، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين ؟

فاذا عرفت أن الله كفر أهــل الشرك ، ووصــفهم به فى الآيات

---

(٢) الفرقان : ٤٤
(٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧
(٣) الممتحنة : ٤

المحكمات ، كقوله : ((ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر))(١) .

وكذلك السنة .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : فأهل التوحيد والسنة يصدقون الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون ما قالوا ، ويفهمونه ، ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين . وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقربا الى الله ، وطلبا للجزاء من الله لا منهم .

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به . ونهوا عنه . ولا بين ما صح عنهم ، ولا ما كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم ولا يتحرون طاعتهم . بل هم جهال بما أتوا به . معظمون لأغراضهم .

قلت : ما ذكره شيخ السلام يشبه حال هذين النوعين الآخرين . بقى مسألة تكلم فيها شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو عدم تكفير المعين ابتداء لسبب — ذكره رحمه الله — أوجب له التوقف فى تكفيره قبل اقامة الحجة عليه .

قال رحمه الله تعالى : « ونحن نعلم بالضرورة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات ، لا الأنبياء ، ولا الصالحين ، ولا غيرهم ، بلفظ الاستعانة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ، ولا الى ميت ، ونحو ذلك . بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها ، وأن ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين ، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه » انتهى .

قلت : فذكر رحمه الله ما أوجب له عدم اطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة ، الا بعد البيان والاصرار ، فانه قد صار أمة واحدة ، ولأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك فى العبادة ، فلا يمكنه أن يعاملهم الا بمثل ما قال ، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب

---

(١) التوبة : ١٧

رحمه الله فى ابتداء دعوته • فانه اذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضى الله عنه • قال : الله خير من زيد • تمرينا لهم على نفى الشرك ، بلين الكلام • نظرا الى المصلحة وعدم النفرة والله سبحانه وتعالى أعلم •

قال شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن رفع الله درجاته بمضاعفة حسناته مجيبا عن ايراد أورده جهمى ضال على بعض الأخوان :

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين • وصلى الله على محمد النبى الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما •

اما بعد •• فقد وردت علينا أسئلة من عمان ، صدرت من جهمى ضال • يستعجز بها بعض المسلمين •

فينبغى أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم ، وما لا فائدة فيه لا يحتاج الى الاشتغال بالجواب عنه •

فمما ينبغى أن نجيب عنه قوله : ان الاسم مشتق من السمو ، أو من السمة ، واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء فى كتبهم ، لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق ، وما معنى الاشتقاق الذى يذكره العلماء ، فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين • وان كانا مذكورين فى كتب النحاة وغيرهم ، وقد ذكرته فى « فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد » •

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر ، فالقدر : أصل من أصول الايمان • كما فى سؤال جبريل ، وما أجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله قال : « الايمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » •

وفى الحديث الصحيح : « ان أول ما خلق الله القلم • فقال له : اكتب • فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة » أى جرى بما يكون مما يعلمه الله تعالى • فانه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون : « **لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين** »(١) •

---

(١) سبأ : ٣

وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به ايجاد المقدر ، كقوله : **« فقضاهن سبع سموات في يومين »**(١) .

وقوله : **« فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض »**(٢) .

ويطلق ويراد به الاخبار بما سيقع مما قدر كقوله : **« وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب »**(٣) .

اخبرهم في كتابهم انهم يفسدون في الأرض مرتين .

ويطلق ويراد به الأمر ، والوصية كما قال : **« وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه »**(٤) . أي أمر ووصى .

ويطلق ويراد به الحكم ، كقوله : **« وقضى بينهم بالحق »**(٥) .

ويطلق ويراد به القدر ، ونحو ذلك .

واما ما زعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه على عرشه لا تمنع أن يكون مستويا على غيره .

فالجواب ان تقول : قد أجمع أهل السنة والجماعة قديما وحديثا على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لا يصف به نفسه ، ولا وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو جهمي ضال مضل ، يقول على الله بلا علم . وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه : في سورة (الأعراف) ، وفي سورة (يونس) وفي سورة (الرعد) وفي سورة (طه) ، وفي سورة (الفرقان) ، وفي سورة (السجدة) ، وفي سورة (الحديد) ولم يذكر تعالى أنه استوى على غير العرش ، ولا ذكره رسوله صلى الله عليه وسلم فعلم أنه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها ، فمن أدخل في صفات الله ما لم يذكر في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، فهو جهمي يقول على الله ما لا يعلم . وقد قال الله تعالى : **« تعرج الملائكة والروح اليه »**(٦) **« اليه يصعد الكلم الطيب والعمل**

---

(١) فصلت : ١٢
(٢) سبأ : ١٤
(٣) الاسراء : ٤
(٤) الاسراء : ٢٣
(٥) الزمر : ٦٩
(٦) المعارج : ٤

الصالح يرفعه »(١) « **يخافون ربهم من فوقهم** »(٢) « **انى متوفيك ورافعك الى** »(٣) « **بل رفعه الله اليه** »(٤) « **وهو العلى العظيم** »(٥) « **وهو العلى الكبير** »(٦) .

علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات . ولا يجوز أن يوصف الا بذلك كله لكماله تعالى فى أوصافه ، فله الكمال المطلق فى كل صفة وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى : « **رفيع الدرجات ذو العرش** »(٧) .

فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى ، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات ، وكقوله تعالى : « **تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم** »(٨) الآية .

وذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى قوله تعالى : « **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** »(٩) الآية .

« اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء » .

فقوله : « فليس فوقك شىء » نص فى أنه تعالى فوق جميع المخلوقات ، وهو الذى ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم فى معنى قوله : « **الرحمن على العرش استوى** »(١٠) أن معنى « استوى » استقر وارتفع وعلا ، وكلها بمعنى واحد ، لا ينكر هذا الا جهمى زنديق ، يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

والنصوص الدالة على اثبات الصفات كثيرة جدا . وقد صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كبارا ، ومن ذلك كتاب « السنة » لعبد الله ابن الامام أحمد ، ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة ، وكتاب « التوحيد » لامام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب « السنة » للأثرم صاحب الامام أحمد ، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمى

---

(١) فاطر : ١٠
(٢) النحل : ٥٠
(٣) آل عمران : ٥٥
(٤) النساء : ١٥٨
(٥) البقرة : ٢٥٥
(٦) سبأ : ٢٣
(٧) غافر : ١٥
(٨) الشورى : ٥
(٩) الحديد : ٣
(١٠) طه : ٥

فى رده على المريسى ، وكتاب « السنة » للخلال ، وكتاب « العلو » للذهبى وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، ولله الحمد والمنة .

وتذكر بعض الاحاديث الصريحة فى المعنى ، فمن ذلك ما فى « الصحيح » عن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحى ، أخذت السموات منه رجفة ــ أو قال : رعدة ــ شديدة خوفا من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ، وخروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر على سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلى الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قاله جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى الى حيث أمره الله عز وجل » .

ففى هذا الحديث التصريح بأن جبريل ينزل بالوحى من فوق السموات السبع ، فيمر بها كلها نازلا الى حيث أمره الله ، وهذا صريح بان الله تعالى فوق السموات على عرشه ، بائن من خلقه : كما قال عبد الله ابن المبارك لما قيل له : بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه على عرشه ، بائن من خلقه . وهذا قول أئمة الاسلام قاطبة ، خلافا للجهمية الحلولية ، والفلاسفة ، وأهل الوحدة ، وغيرهم من أهل البدع .

فرحم الله أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتى سبقت غضبى فهو عنده فوق العرش » . وفى حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه الذى رواه أبو داوود ، والترمذى ، وابن ماجه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر سبع سموات وما بينها ، ثم قال : « وفوق ذلك بحر ، بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، ما بين أظلافهن وركبهن ، كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ظهورهن العرش ، ما بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء الى سماء ، والله تعالى فوق ذلك »(١) .

---

(١) ضعيف علته عبد الله بن عميرة ، قال الذهبى : فيه جهالة .

وفى حديث ابن مسعود الذى رواه عبد الرحمن بن مهدى شيخ الامام أحمد ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء الى سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام ، وبين الكرسى والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله تعالى فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .

والجهمية جحدوا هذه النصوص ، وعاندوا فى التكذيب ، فصاروا بذلك كفارا عند أكثر أهل السنة والجماعة ، وهذا القدر الذى ذكرنا كاف فى بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من علو الله تعالى على جميع المخلوقات ، واستوائه على عرشه . وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك، ولو ذهبنا نذكر ما ورد فى ذلك لاحتمل مجلدا .

فالحمد لله الذى حفظ على الأمة دينها فى كتابه وسنة رسوله ، وبفضل العلماء الذين هم فى هذه الأمة كأنبياء بنى اسرائيل ، وهدانا الله الى ذلك ، فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت فى هذه الأمة . فيالها من نعمة ما أجلها فى حق من تلقى الحق بالقبول ، وعرفه ورضى به ، نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه ، المثنين بها عليه ، فله الحمد لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثنى عليه خلقه .

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف به اليهم من صفات كماله اللائقة بجلال الله ، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله ، اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته ، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه ، فعبدوا ربا أحدا صمدا ، الها واحدا ، وهو الله الذى الالهية وصفه فالخلق خلقه ، والملك ملكه ، لا شريك له فى الهيته ، ولا فى ربوبيته ، ولا فى ملكه ، تعالى وتقدس ، كما قال تعالى : ((**قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس**))(١) .

ونزهوه عما تنزه عنه ، وعن كل ما فيه عيب ونقص ، وعن كل ما وصفته الجهمية وأهل البدع ، مما لا يليق بجلاله وعظمته ، فعطلوه

---

(١) الناس : ١ — ٣ .

من صفات الكمال، وصاروا انما يعبدون عدما، لأنهم وصفوه بما ينافى الكمال ويوقع فى النقص العظيم، فشبهوه بالناقصات تارة، وبالمعدوم تارة، فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومحالهم .

وأما ما أورده هذا الجهمى الجاهل من آيات العلم، كقوله تعالى: « **وهو معكم اين ما كنتم** »(١) « **ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم** »(٢) .

فلا منافاة بين استوائه على عرشه، واحاطة علمه بخلقه . والسياق يدل على ذلك .

اما الآية الأولى فهى مسبوقة بقوله تعالى: « **هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم** »(٣) .

ذكر استواءه على عرشه، وذكر احاطة علمه بما فى الأرض والسموات ثم قال: « **وهو معكم اين ما كنتم** » .

أي: بعلمه المحيط بما كان وما يكون .

وأما الآية الثانية، فهى كذلك مسبوقة بالعلم، وختمها تعالى به فقال: « **الم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم** » الى قوله: « **ان الله بكل شىء عليم** »(٤) .

فعلم أن المراد علمه بخلقه، وأنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم، كما قال تعالى: « **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد احاط بكل شىء علما** »(٥) .

وهذا المعنى الذى ذكرنا، هو الذى عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية وأهل البدع، فحرموا معرفة الحق لانحرافهم عنه، وجهلهم به وبالقرآن والسنة، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

---

(١) الحديد : ٤

(٢) المجادلة : ٧

(٣) الحديد : ٤

(٤) المجادلة : ٧

(٥) الطلاق : ١٢

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الايمان . ومن المعلوم أنه لا يقبل الحق الا من طلبه .

وأما أهل البدع ، فأشربوا فى قلوبهم ما وفعوا فيه من البدع والضلال ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فاذا عرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهمى وغيره من المبتدعة عن أمور لا يسع مسلما أن يجهلها . لأن الاسلام يتوقف على معرفتها .

فمن ذلك : ما معنى كلمة الاخلاص : لا اله الا الله ؟

وما الآلهية المنفية بلا النافية للجنس ؟ وما خبرها ؟

وما معنى الآلهية التى ثبتت لله وحده دون ما سواه ؟

وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه ؟ ومامعنى الاخلاص الذى أمر الله به عباده ، وأخبرهم أنه له وحده ؟

وما تعريف العبادة التى خلقوا لها ؟

وما أقسام العلم النافع الذى لا يسع أحدا جهله ؟

وما معنى اسم الله تعالى الذى لا يسمى بهذا الاسم غيره ؟

وما صفة اشتقاقه من المصدر الذى هو معناه ؟

فالجواب عن هذا مطلوب ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين وامام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

هذه ست مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله تعالى وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سائر المسلمين آمين .

المسألة الأولى : هل يجوز للمسلم أن يسافر الى بلد الكفار الحربية لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : الحمد لله ، ان كان يقدر على اظهار دينه ولا يوالى المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة رضى الله عنهم ، كأبى بكر وغيره من الصحابة الى بلدان المشركين لأجل التجارة ، ولم ينكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، كما رواه أحمد فى « مسنده » وغيره . وان كان لا يقدر على اظهار دينه ، ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر الى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التى تدل على النهى عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الانسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسببا الى اسقاط ذلك ، لم يجز وأيضا فقد يجره ذلك الى موافقتهم أو ارضائهم . كما هو الواقع كثيرا ممن يسافر الى بلدان المشركين من فساق المسلمين . نعوذ بالله من ذلك .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسان أن يجلس فى بلدان الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة ؟

الجواب عن هذه المسألة ، هو الجواب عن التى قبلها سواء ، ولا فرق فى دار الحرب أو دار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على اظهار دينه فيها ، لا يجوز له السفر اليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، أو المدة البعيدة ؟

الجواب : أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة ، فكل بلدة لا يقدر على اظهار دينه فيها ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوما واحدا اذا كان يقدر على الخروج منها .

المسألة الرابعة فى معنى قوله تبارك وتعالى : **« انكم اذن مثلهم »**(١) .

وقوله فى الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فانه مثله » .

الجواب : ان معنى الآية على ظاهرها ، وهو أن الرجل اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين ، من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ،

---

(١) النساء : ١٤٠

فهو كافر مثلهم وان لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر •

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضى بالذنب كفاعله ، فان ادعى أن يكره ذلك بقلبه ، لم يقبل منه ، لأن الحكم على الظاهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافرا •

ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ذلك ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، الا من أنكر بلسانه وقلبه ، وكذلك قوله فى الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » على ظاهره وهو أن الذى يدعى الاسلام ويكون مع المشركين فى الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعده المشركون منهم ، فهو كافر مثلهم وان ادعى الاسلام ، الا ان كان يظهر دينه ولا يوالى المشركين •

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين أقاموا فى مكة بعد ما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم ، فادعوا الاسلام ، الا أنهم أقاموا فى مكة ، يعدهم المشركون منهم ، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقاتلوا ، فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا : قتلنا اخواننا ، فأنزل الله تعالى فيهم : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم »(1) الآية •

قال السدى وغيره من المفسرين : انهم كانوا كفارا ، ولم يعذر الله منهم الا المستضعفين •

المسألة الخامسة : هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعى الاسلام : انه منافق • أم لا ؟

الجواب : انه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه ، كارتداده عند التحزيب على المؤمنين ، وخذلانهم عند اجتماع العدو ، كالذين قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وكونه اذا غلب المشركون التجأ معهم ، وان غلب المسلمون التجأ اليهم ، ومدحه للمشركين بعض الأحيان ، وموالاتهم من دون المؤمنين ، وأشباه هذه العلامات التى ذكر الله أنها

---

(1) النساء : ٩٧ .

علامات للنفاق ، وصفات للمنافقين ، فانه يجوز اطلاق النفاق عليه وتسميته منافقا . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يفعلون ذلك كثيرا ، كما قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : ان الرجل ليتكلم بالكلمة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون بها منافقا، وكما قال عوف بن مالك لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح : كذبت ، ولكنك منافق . وكذلك قال عمر فى قصة حاطب : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق . وفى رواية : دعنى أضرب عنقه فانه منافق ، واشباه ذلك كثير . وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة لما قال ذلك الكلام : كذبت .. ولكنك منافق ، تجادل عن المنافقين .

ولكن ينبغى أن يعرف أنه لا تلازم بين اطلاق النفاق عليه ظاهرا ، وبين كونه منافقا باطنا فاذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقا لمن أراد أن يسميه بذلك وان لم يكن منافقا فى نفس الأمر ، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الانسان مخطئا لا علم عنده ، أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقا . فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه ، كما لم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم على أسيد بن حضير تسميته سعدا منافقا ، مع أنه ليس بمنافق ، ومن سكت لم ينكر عليه ، بخلاف المذبذب الذى ليس مع المسلمين ولا مع المشركين ، فانه لا يكون منافقا .

واعلم أنه لا يجوز اطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية ، أو لكونه يشاحن رجلا فى أمر دنيا ، أو يبغضه لذلك ، أو لكونه يخالف فى بعض الأمور التى لا يزال الناس فيها مختلفين . فليحذر الانسان أشد الحذر ، فانه قد صح فى ذلك الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيمن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ، وانما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة فى النفاق ، كالعلامات التى ذكرنا وأشباهها ، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك ، وكان قصد الانسان ونيته اعلاء كلمة الله ونصر دينه .

المسألة السادسة : فى الموالاة والمعاداة ، هل هى من معنى « لا اله الا الله » أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال : الله أعلم ، لكن بحسب المسلم أن يعلم أن الله

افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم ، أو اخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى « لا اله الا الله » أو لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وانما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك ، واوجبه ، وأوجب العمل به فهذا هو الفرض والحتم الذى لا شك فيه ، فمن عرف أن ذلك من معناها أو من لازمها ، فهو حسن وزيادة خير . ومن لم يعرفه ، فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما اذا كان الجدال والمنازعة فيه مما يفضى الى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الايمان وجاهدوا فى الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين ، فالسكوت عن ذلك متعين ، وهذا ما ظهر لى . على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله تعالى أعلم ، ولله الحمد والمنة ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك فى الدنيا والآخرة ، وأن يجعلك مباركا أين ما كنت . وأن يجعلك ممن اذا أعطى شكر . واذا ابتلى صبر ، واذا أذنب استغفر ، فان هذه الثلاث عنوان السعادة .

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة ابراهيم ، أن تعبد الله مخلصا له الدين ، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها ، كما قال تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** »(١) .

فاذا عرفت أن الله خلقك لعبادته ، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة ، فاذا دخل الشرك فسدت ، كالحدث اذا دخل فى الطهارة ، كما قال تعالى : « **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر ، اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون** »(٢) .

---

(١) الذاريات : ٥٦

(٢) التوبة : ١٧

فاذا عرفت أن الشرك اذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين فى النار ، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة ، وهى الشرك بالله ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله فى كتابه :

الأولى : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين أن الله هو الخالق ، الرازق ، المحيى ، المميت ، النافع ، الضار ، الذى يدبر جميع الأمور ، وما أدخلهم فى الاسلام . والدليل قوله تعالى : ((**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون**))(١) .

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما توجهنا اليهم ودعوناهم الا لطلب القربة والشفاعة ، نريد من الله لا منهم ، لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم .

ودليل القربة قوله تعالى : ((**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار**))(٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : ((**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون**))(٣) .

القاعدة الثالثة : أن النبى صلى الله عليه وسلم ظهر على ناس متفرقين فى عباداتهم ، منهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الصالحين ، ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بينهم . والدليل قوله تعالى : ((**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**))(٤) .

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : ((**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون**))(٥) .

---

(١) يونس : ٣١
(٢) الزمر : ٣
(٣) يونس : ١٨
(٤) الأنفال : ٣٩
(٥) فصلت : ٣٧

ودليل الصالحين قوله تعالى : **« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا »**(١) .

ودليل الملائكة قوله تعالى : **« ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون »**(٢) .

ودليل الأنبياء قوله تعالى : **« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »**(٣) .

ودليل الأشجار والأحجار حديث أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : « الله أكبر ، انها السنن .. قلتم — والذى نفسى بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى : **« اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين »**(٤) .

القاعدة الرابعة : أن مشركى زماننا أعظم شركا من الأولين ، لأن الأولين يخلصون لله فى الشدة ، ويشركون فى الرخاء ، ومشركى زماننا شركهم دائم فى الرخاء والشدة .

---

(١) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧ . (٢) سبأ : ٤٠ — ٤٢ .

(٣) المائدة : ١١٦ — ١١٨ (٤) الأعراف : ١٣٨ — ١٤٠ .

والدليل قوله تعالى : ((**فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون**))(١) .

تمت والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

اذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربى الله . فاذا قيل لك : أى شيء معنى الرب ؟ فقل : المعبود المالك المتصرف . فاذا قيل لك : أى شيء أكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل : السموات والأرض . فاذا قيل لك : أى شيء تعرفه به ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته . واذا قيل لك : أى شيء أعظم ما ترى من آياته ؟ فقل : الليل والنهار .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ((**ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين**))(٢) .

فاذا قيل لك : أى شيء معنى الله ؟ فقل : معناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين . فاذا قيل لك : لأى شيء الله خلقك ؟ فقل : لعبادته . فاذا قيل لك : أى شيء عبادته ؟ فقل : توحيده وطاعته . فاذا قيل لك : أى شيء يدل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**))(٣) .

واذا قيل لك : أى شيء أول ما فرض الله عليك ؟ فقل : كفر بالطاغوت ، وايمان بالله .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ((**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم**))(٤) .

---

(١) العنكبوت : ٦٥ ، ٦٦ . (٢) الاعراف : ٥٤ .

(٣) الذاريات : ٥٦ . (٤) البقرة : ٢٥٦ .

فاذا قيل لك : أى شىء العروة الوثقى ؟ فقل : لا اله الا الله ، ومعنى « لا اله الا الله » لا اله : نفى الا الله . اثبات .

فاذا قيل لك : أى شىء أنت ناف ، وأى شىء أنت مثبت ؟ فقل : ناف جميع ما كان يعبد من دون الله ، ومثبت العبادة لله وحده لا شريك له .

فاذا قيل لك : أى شىء الدليل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : **« واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى »**(١) .

فاذا قيل لك : أى شىء النفى ؟ وأى شىء الاثبات ؟ فقل : دليل النفى : **« واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون »** . هذا النفى ، ودليل الاثبات : **« الا الذى فطرنى »** .

فاذا قيل لك : أى شىء الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية ؟ فقل : توحيد الربوبية فعل الرب ، مثل الخلق ، والرزق ، والاحياء ، والامانة ، وانزال المطر ، وانبات النبات ، وتدبير الأمور .

وتوحيد الالهية ، فعل العبد مثل الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والانابة ، والرغبة ، والرهبة ، والنذر ، والاستعانة ، وغير ذلك من أنواع العبادة .

فاذا قيل لك : أى شىء دينك ؟ فقل : دينى الاسلام ، وأصله وقاعدته أمران : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه وتكفير من تركه ، والانذار عن الشرك فى عبادة الله تعالى ، والتغليظ فى ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، وهو مبنى على خمسة أركان :

أولها : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت مع الاستطاعة ،

---

(١) الزخرف : ٢٦ : ٢٧ .

ودليل الشهادة قوله تعالى : ((**شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم**))(١) .

ودليل ان محمدا رسول الله قوله تعالى : ((**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**))(٢) .

والدليل على اخلاص العبادة والصلاة ، والزكاة قوله تعالى : ((**وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**))(٣) .

ودليل الصوم قوله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**))(٤) .

ودليل الحج قوله تعالى : ((**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين**))(٥) .

وأصول الايمان ستة : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

والاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

فاذا قيل : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بلده مكة ، وهاجر الى المدينة وعمره ثلاث وستون سنة ، منها أربعون ما نبىء فيها وثلاث وعشرون نبى رسول ، نبىء بـ « اقرأ » ، وأرسل بـ « المدثر » .

فاذا قيل : هو مات ، أم لم يمت ؟ فقل مات : ودينه لا يموت الى يوم القيامة . والدليل قوله تعالى : ((**انك ميت وانهم ميتون . ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**))(٦) .

---

(١) آل عمران : ١٨ .
(٢) الاحزاب : ٤٠ .
(٣) البينة : ٥ .
(٤) البقرة : ١٨٣ .
(٥) آل عمران : ٩٧ .
(٦) الزمر : ٣٠ ، ٣١ .

فاذا قيل : والناس اذا ماتوا يبعثون ؟ فقل : نعم .. والدليل قوله تعالى : **((منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى))**(١) .

والذى ينكر البعث كافر . والدليل قوله تعالى : **((زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير))**(٢) .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا .

* * *

---

(١) طـه : ٥٥

(٢) التغابن : ٧

الرسالة الثانية :

هــذه مسائل الجاهلية

تاليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله : هذه أمور خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين ، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتبين الأشياء . فأهم ما فيها وأشدها خطرا ، عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان انضاف الى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية ، تمت الخسارة ، كما قال تعالى : ((**والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله ، أولئك هم الخاسرون**))(١) .

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون باشراك الصالحين فى دعاء الله وعبادته ، يريدون شفاعتهم عند الله ، كماقال تعالى : ((**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**))(٢) .

وقال تعالى : ((**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**))(٣) .

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بالاخلاص وأخبر أنه دين الله الذى أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال الا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار .

وهذه المسألة التى تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : ((**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**))(٤) .

---

(١) العنكبوت : ٥٢ .
(٢) يونس : ١٨ .
(٣) الزمر : ٣ .
(٤) الانفال : ٣٩ .

الثانية : أنهم متفرقون فى دينهم ، كما قال تعالى : « **كل حزب بما لديهم فرحون** »(١) .

وكذلك فى دنياهم ، ويرون ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع فى الدين بقوله : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** »(٢) .

وقال تعالى : « **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء** »(٣) .

ونهانا عن مشابهتهم بقوله : « **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات** »(٤) .

ونهانا عن التفرق فى الدين بقوله : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** »(٥) .

الثالثة : أن مخالفة ولى الأمر (عندهم) وعدم الانقياد له فضيلة ، والسمع والطاعة ذل ومهانة ، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ فى ذلك ، وأبدأ فيه وأعاد .

وهذه الثلاث التى جمع بينها فيما ذكر عنه فى « الصحيحين » أنه قال : « ان الله يرضى لكم ثلاثا : ألا تعبدوا الا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » . ولم يقع خلل فى دين الناس ودنياهم الا بسبب الاخلال بهذه الثلاث أو بعضها .

الرابعة : أن دينهم مبنى على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : « **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون** »(٦) .

---

(١) الروم : ٣٢ .

(٢) الشورى : ١٣ .

(٣) الانعام : ١٥٩ .

(٤) ال عمران : ١٠٥ .

(٥) آل عمران : ١٠٣ .

(٦) الزخرف : ٢٣ .

وقال تعالى : ((**واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير**))(١) .

فأتاهم بقوله : ((**قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ، ما بصاحبكم من جنة**))(٢) الآية .

وقوله : ((**اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون**))(٣) .

الخامسة : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته ، وقلة أهله ، فأتاهم(٤) بضد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن .

السادسة : الاحتجاج بالمتقدمين ، كقوله : ((**فما بال القرون الأولى**))(٥) . ((**ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين**))(٥) .

السابعة : الاستدلال بقوم أعطوا قوى فى الأفهام والأعمال ، وفى الملك والمال والجاه ، فرد الله ذلك بقوله : ((**ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه**))(٦) الآية .

وقوله : ((**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به**)) (٧) . ((**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**))(٨) الآية .

الثامنة : الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه الا الضعفاء ، كقوله : ((**أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**))(٩) .

وقوله : ((**أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**))(١٠) فرد الله بقوله : ((**أليس الله بأعلم بالشاكرين**))(١١) .

التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء ، فأتى بقوله : ((**يا أيها الذين**

---

(١) لقمان : ٢١ .
(٢) سبأ : ٤٦ .
(٣) الأعراف : ٣ .
(٤) فى الأصل « فأتتهم » .
(٥) طـه : ٥١ .
(٦) المؤمنون : ٢٤ .
(٧) الأحقاف : ٢٦ .
(٨) البقرة : ٨٩ .
(٩) البقرة : ١٤٦ .
(١٠) الشعراء : ١١١ .
(١١) الأنعام : ٥٣ .

آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله(١) .

وبقوله : ((**لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل**))(٢) .

العاشرة : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله ، وعدم حفظهم .. كقوله : ((**بادى الرأى**))(٣) .

الحادية عشرة : الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقوله : ((**ان أنتم الا بشر مثلنا**))(٤) .

الثانية عشرة : ابتكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله ، عدم فهم الجامع والفارق .

الثالثة عشرة : الغلو فى العلماء والصالحين ، كقوله : ((**يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق**))(٥) .

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبنى على قاعدة وهى النفى والاثبات فيتبعون الهوى والظن ، ويعرضون عما آتاهم الله .

الخامسة عشرة : اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم كقوله : ((**قلوبنا غلف**))(٦) ((**يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول**))(٧) .

فأكذبهم الله . وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع بسبب كفرهم .

السادسة عشرة : اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر . كما ذكر الله ذلك فى قوله : ((**نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**))(٨) .

السابعة عشرة : نسبة باطلهم الى الأنبياء ، كقوله : ((**وما كفر**

---

(١) التوبة : ٣٤ .
(٢) المائدة : ٧٧ .
(٣) هود : ٢٧ .
(٤) ابراهيم : ١٠ .
(٥) النساء : ١٧١ .
(٦) النساء : ١٥٥ .
(٧) هود : ٩١ .
(٨) البقرة : ١٠١ ، ١٠٢ .

سليمان))(١) وقوله : ((**ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا**))(٢) .

الثامنة عشرة : تناقضهم فى الانتساب ، ينتسبون الى ابراهيم ، مع اظهارهم ترك اتباعه .

التاسعة عشرة : قدحهم فى بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين ، كقدح اليهود فى عيسى ، وقدح اليهود والنصارى فى محمد صلى الله عليه وسلم .

العشرون : اعتقادهم فى مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ، ونسبته الى الأنبياء كما نسبوه لسليمان .

الحادية والعشرون : تعبدهم بالمكاء والتصدية .

الثانية والعشرون : أنهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا .

الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرتهم ، فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه ، كقوله : ((**نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين**))(٣) .

الرابعة والعشرون : ترك الدخول فى الحق اذا سبقهم اليه الضعفاء تكبرا وانفة ، فأنزل الله : ((**ولا تطرد الذين يدعون ربهم**))(٤) الآية .

الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله : ((**لو كان خيرا ما سبقونا اليه**))(٥) .

السادسة والعشرون : تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

السابعة والعشرون : تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها الى الله ، كقوله : ((**فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله**))(٦) الآية .

الثامنة والعشرون : أنهم لا يعقلون من الحق الا الذى مع طائفتهم ، كقوله : ((**نؤمن بما أنزل علينا**))(٧) .

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

(٢) آل عمران : ٦٧ .

(٣) سبأ : ٣٥ .

(٤) الأنعام : ٥٢ .

(٥) الأحقاف : ١١ .

(٦) البقرة : ٧٩ .

(٧) البقرة : ٩١ .

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه الله عليه بقوله : « **فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين** »(١) .

الثلاثون : وهى من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع ، ورتكبوا ما نهى الله عنه من الآفة ، صار « **كل حزب بما لديهم فرحون** »(٢) .

الحادية والثلاثون : وهى من عجائب الله أيضا ، معاداتهم الدين الذى انتسبوا اليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم ، وفتنتهم غاية المحبة كما فعلوا مع النبى صلى الله عليه وسلم لما آتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر ، وهى من دين آل فرعون .

الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق اذا كان مع من لا يهودونه كما قال تعالى : « **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء** »(٣) الآية .

الثالثة والثلاثون : انكارهم ما أقروا أنه من دينهم ، كما فعلوا فى حج البيت ، فقال تعالى : « **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه** »(٤)

الرابعة والثلاثون : أن كل فرقة تدعى أنها الناجية ، فأكذبهم الله بقوله : « **هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** »(٥) .

ثم بين الصواب بقوله : « **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن** »(٦) الآية .

الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف العورات كقوله : « **واذا فعلوا فاحشة** »(٧) الآية .

السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبد بالشرك .

---

(١) البقرة : ٩١ .

(٢) المؤمنون : ٥٣ .

(٣) البقرة : ١١٣ .

(٤) البقرة : ١٣٠ .

(٥) النمل : ٦٤ .

(٦) البقرة : ١١٢ .

(٧) الأعراف : ٢٨ .

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله .

الثامنة والثلاثون : الالحاد فى الصفات ، كقوله تعالى : ((**ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون**))(١) .

التاسعة والثلاثون : الالحاد فى الأسماء ، كقوله تعالى : ((**وهم يكفرون بالرحمن**))(٢) .

الأربعون : التعطيل : كقول آل فرعون(٣) .

الحادية والأربعون : نسبة النقائص اليه .

الثانية والأربعون : الشرك فى الملك ، كقول المجوس .

الثالثة والأربعون : جحود القدر .

الرابعة والأربعون : الاحتجاج على الله .

الخامسة والأربعون : معارضة شرع الله بقدره .

السادسة والأربعون : مسبة الدهر ، كقولهم : ((**وما يهلكنا الا الدهر**))(٤) .

السابعة والأربعون : اضافة نعم الله الى غيره كقوله : ((**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**))(٥) .

الثامنة والأربعون : الكفر بآيات الله .

التاسعة والأربعون : جحد بعضها .

الخمسون : قولهم : ((**ما أنزل الله على بشر من شيء**))(٦) .

الحادية والخمسون : قولهم فى القرآن : ((**ان هذا الا قول البشر**))(٧) .

---

(١) فصلت : ٢٢ . (٢) الرعد : ٣٠ .

(٣) يشير بذلك الى ما حكاه الله عنه فى قوله ((**ما علمت لكم من اله غيرى**)) القصص : ٣٨ .

(٤) الجاثية : ٢٤ . (٥) النحل : ٨٣ .

(٦) الأنعام : ٩١ . (٧) المدثر : ٢٥ .

الثانية والخمسون : القدح فى حكمة الله •

الثالثة والخمسون : اعمال الحيل الظاهرة والباطنة فى دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله : ((**ومكروا ومكر الله**))(١) . وقوله تعالى : ((**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار**))(٢) •

الرابعة والخمسون : الاقرار بالحق ليتوصلوا به الى دفعه كما قال فى الآية •

الخامسة والخمسون : التعصب للمذهب ، كقوله بعدها : ((**ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم**))(٣) •

السادسة والخمسون : تسمية أتباع الاسلام شركاء ، كما ذكره فى قوله تعالى : ((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله**))(٤) الآية .

السابعة والخمسون : تحريف الكلم عن مواضعه •

الثامنة والخمسون : تلقيب أهل الهدى بالصباة والحشوية •

التاسعة والخمسون : افتراء الكذب على الله •

الستون : كونهم اذا غلبوا بالحجة فزعوا الى الشكوى للملوك ، كما قال : ((**أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض**))(٥) •

الحادية والستون : رميهم اياهم بالفساد فى الأرض ، كما فى الآية •

الثانية والستون : رميهم اياهم بانتقاص دين الملك ، كما قال تعالى : ((**ويذرك وآلهتك**))(٦) •

وكما قال تعالى : ((**انى أخاف أن يبدل دينكم**))(٧) الآية .

الثالثة والستون : رميهم اياهم بانتقاص آلهة الملك ، كما فى الآية •

---

(١) آل عمران : ٥٤

(٢) آل عمران : ٧٢

(٣) آل عمران : ٧٣

(٤) آل عمران : ٧٩ .

(٥) الأعراف : ١٢٧

(٦) الأعراف : ١٢٧

(٧) غافر : ٢٦

الرابعة والستون : رميهم اياهم بتبديل الدين ، كما قال : **« انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الأرض الفساد »**(١) .

الخامسة والستون : رميهم اياهم بانتقاص الملك ، كقولهم : **« ويذرك وآلهتك »**(٢) .

السادسة والستون : دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله : **« نؤمن بما أنزل علينا »**(٣) مع تركهم اياه .

السابعة والستون : الزيادة فى العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .

الثامنة والستون : نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفات .

التاسعة والستون : تركهم الواجب ورعا(٤) .

السبعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق .

الحادية والسبعون : تعبدهم بترك زينة الله .

الثانية والسبعون : دعواهم الناس الى الضلال بغير علم .

الثالثة والسبعون : دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه ، فطالبهم الله بقوله : **« ان كنتم تحبون الله »**(٥) الآية .

الرابعة والسبعون : دعواهم اياهم الى الكفر مع العلم .

الخامسة والسبعون : المكر الكبار ، كفعل قوم نوح .

السادسة والسبعون : أن أئمتهم : اما عالم فاجر ، واما عابد جاهل ، كما فى قوله : **« وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله »**(٦) الى قوله : **« ومنهم أميون »**(٧) .

السابعة والسبعون : تمنيهم الأمانى الكاذبة ، كقوله لهم : **« لن تمسنا النار الا أياما معدودة »**(٨) . وقولهم : **« لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى »**(٩) .

---

(١) غافر : ٢٦

(٢) الأعراف : ١٢٧

(٣) البقرة : ٩١

(٤) ترك ستر العورة اثناء الطواف .

(٥) آل عمران : ٣١

(٦) البقرة : ٥٧

(٧) البقرة : ٧٨

(٨) البقرة : ٨٠

(٩) البقرة : ١١١

الثامنة والسبعون : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد •

التاسعة والسبعون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر •

والثمانون : اتخاذ السرج على القبور •

الحادية والثمانون : اتخاذها أعيادا •

الثانية والثمانون : الذبح عند القبور •

الثالثة والثمانون : التبرك بآثار المعظمين ، كدار ابن حزم لبعث مكرمة قريش •

الرابعة والثمانون : الفخر بالأحساب •

الخامسة والثمانون : الاستسقاء بالأنواء •

السادسة والثمانون : الطعن فى الانساب •

السابعة والثمانون : النياحة •

الثامنة والثمانون : أن أجل فضائلهم الفخر بالأنساب فذكر الله فيه ما ذكر •

التاسعة والثمانون : أن أجل فضائلهم أيضا الفخر ولو بحق ، فنهى عنه •

التسعون : أن الذى لابد منه عندهم تعصب الانسان لطائفته ، ونصر من هو منها ظالما أو مظلوما ، فأنزل فى ذلك ما أنزل •

الحادية والتسعون : أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره ، فانزل الله : « **ولا تزر وازرة وزر اخرى** »(١) •

الثانية والتسعون : تعيير الرجل بما فى غيره ، فقال : « أعيرته بأمه ، انك امرؤ فيك جاهلية » •

الثالثة والتسعون : الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله : « **مستكبرين به سامرا تهجرون** »(٢) •

---

(١) الانعام : ١٦٤ (٢) المؤمنون : ٦٧

الرابعة والتسعون : الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء ، فقال الله « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت »(١) الآية .

الخامسة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث .

السادسة والتسعون : عظمة الدنيا فى قلوبهم ، كقولهم : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »(٢) .

السابعة والتسعون : التحكم على الله كما فى الآية .

الثامنة والتسعون : ازدراء الفقراء ، فأتاهم بقوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى »(٣) .

التاسعة والتسعون : رميهم أتباع الرسل بعدم الاخلاص وطلب الدنيا ، فأجابهم بقوله : « ما عليك من حسابهم من شيء »(٤) الآية وأمثالها .

المائة : الكفر بالملائكة .

الحادية بعد المائة : الكفر بالرسل .

الثانية بعد المائة : الكفر بالكتب .

الثالثة بعد المائة : الاعراض عما جاء عن الله .

الرابعة بعد المائة : الكفر باليوم الآخر .

الخامسة بعد المائة : التكذيب بلقاء الله .

السادسة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر ، كما فى قوله : « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه »(٥) .

ومنها التكذيب بقوله : « مالك يوم الدين »(٦) . وقوله : « لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة »(٧) وقوله : « الا من شهد بالحق وهم يعلمون »(٨) .

---

(١) البقرة : ١٣٤

(٢) الزخرف : ٣١

(٣) الأنعام : ٥٢

(٤) الأنعام : ٥٢

(٥) الكهف : ١٠٥

(٦) الفاتحة : ٤

(٧) البقرة : ٢٥٤

(٨) الزخرف : ٨٦

السابعة بعد المائة : الايمان بالجبت والطاغوت •

الثامنة بعد المائة : تفضيل دين المشركين على دين المسلمين •

التاسعة بعد المائة : لبس الحق بالباطل •

العاشرة بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به •

الحادية عشرة بعد المائة : قاعدة الضلال ، وهى القول على الله بلا علم •

الثانية عشرة بعد المائة : التناقض الواضح لما كذبوا الحق ، كما قال تعالى : ((**بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج**))(١) •

الثالثة عشرة بعد المائة : الايمان ببعض المنزل دون بعض •

الرابعة عشرة بعد المائة : التفريق بين الرسل •

الخامسة عشرة بعد المائة : مخالفتهم فيما ليس لهم به علم •

السادسة عشرة بعد المائة : دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم •

السابعة عشرة بعد المائة : صدهم عن سبيل الله من آمن به •

الثامنة عشرة بعد المائة : مودتهم الكفر والكافرين •

التاسعة عشرة بعد المائة ، والعشرون ، والحادية والعشرون ، والثانية والعشرون ، والثالثة والعشرون ، والرابعة والعشرون ، والخامسة والعشرون ، والسادسة والعشرون ، والسابعة والعشرون ، والثامنة والعشرون ، والتاسعة والعشرون بعد المائة : العيافة ، والطرق ، والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ، وكراهة التزويج بين العيدين ، والله أعلم •

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

* * *

---

(١) سورة ق : ٥

الرسالة الثالثة :

كشف الشبهات

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به الى عباده .

فأولهم نوح عليه السلام ، أرسله الله الى قومه لما غلوا في الصالحين : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر .

وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كسر صور هؤلاء الصالحين ، أرسله الله الى أناس يتعبدون ، ويحجون ، ويتصدقون ، ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ، يقولون : نريد منهم التقرب الى الله ، ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناس غيرهم من الصالحين ، فبعث الله اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، فضلا عن غيرهما ، والا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق الا هو ، ولا يحيى ولا يميت الا الله ، ولا يدبر الأمر الا هو ، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن ، والأرضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

فاذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى : ((**قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون**))(١) .

---

(١) يونس : ٣١ .

وقوله : « **قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل افلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • سيقولون لله ، قل افلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل فانى تسحرون** »(١) وغير ذلك من الآيات •

فاذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، وأنه لم يدخلهم فى التوحيد الذى دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت ان الوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد : كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارا •

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات ، أو نبيا مثل عيسى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عايه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى اخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : « **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** »(٢) •

وكما قال تعالى : « **له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء** »(٣) •

وتحققت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله ، وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الاسلام ، وأن تصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك ، هو الذى أحل دماءهم وأموالهم •

وعرفت حينئذ التوحيد الذى دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك : « لا اله الا الله » : فان الاله عندهم هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور ، سواء أكان ملكا ، أو نبيا ، أو وليا ، أو شجرة ، أو قبرا ، أو جنيا • لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر ، فانهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وانما يعنون بالاله ما يعنى المشركون فى زماننا بلفظ السيد : فأتاهم النبى صلى الله

---

(١) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ (٢) الجن : ١٨
(٣) الرعد : ١٤

عليه وسلم يدعوهم الى كلمة التوحيد، وهى : « لا اله الا الله » ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعليق ، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه ، فانه لما قال لهم : قولوا « لا اله الا الله » قالوا : « **أجعل الآلهة الها واحدا ، ان هذا لشىء عجاب** »(١) .

فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعى الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهلة الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشىء من المعانى .

والحاذق منهم يظن أن معناها : لا يخلق ولا يرزق الا الله ولا يدبر الأمر الا الله . فلا خير فى رجل ، جهال الكفار أعلم منه بمعنى « لا اله الا الله » .

اذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذى قال الله فيه : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به** »(٢) الآية ، وعرفت دين الله الذى بعث به الرسل من أولهم الى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته ، كما قال تعالى : « **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** »(١) .

وأفادك أيضا الخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه الى الله ، كما ظن المشركون ، خصوصا ان ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين : « **اجعل لنا الها كما لهم آلهة** »(٤) .

فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أعداء ، كما قال تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين**

---

(١) سورة ص : ٥ (٢) النساء : ٤٨

(٣) يونس : ٥٨ (٤) الاعراف : ١٣٨

الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا))(١) .

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب ، وحجج ، كما قال تعالى : ((**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم))(٢)**.

اذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق الى الله تعالى لابد له من أعداء قاعدين عليه ، أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل : ((**لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين))(٣)** .

ولكن اذا أقبلت على الله ، وأصغيت الى حجج الله وبيناته فلاتخف ولا تحزن ((**ان كيد الشيطان كان ضعيفا))(٤)** .

والعامى من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى ((**وان جندنا لهم الغالبون))(٥)** .

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان ، وانما الخوف على الموحد الذى يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله علينا بكتابه الذى جعله تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، فلا يأتى صاحب باطل بحجة الا وفى القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : ((**ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا))(٦)** .

قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل الى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله فى كتابه جوابا لكل ما احتج به المشركون فى زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ومفصل :

أما المجمل ، فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها ،

---

(١) الأنعام : ١١٢
(٢) غافر : ٨٣
(٣) الأعراف : ١٦، ١٧
(٤) النساء : ٧٦
(٥) الصافات : ١٧٣
(٦) الفرقان : ٣٣

وذلك قوله تعالى : **« هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله »(١)** .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

مثال ذلك ، اذا قال لك بعض المشركين :

« الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٢) .

أو أن الشفاعة حق ، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاما للنبى صلى الله عليه وسلم يستدل به على شىء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذى ذكره ، فجاوبه بقولك : ان الله ذكر فى كتابه أن الذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء ، مع قولهم : **« هؤلاء شفعاؤنا عند الله »(٣)** .

هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرته لى أيها المشرك من القرآن ، أو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبى صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله عز وجل ، وهذا جواب جيد سديد ، ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به ، فانه كما قال تعالى : **« وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »(٤)** .

وأما الجواب المفصل ، فان أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل ، يصدون بها الناس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذنب ، والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم ، فجاوبه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم

---

(١) آل عمران : ٧

(٢) يونس : ٦٢

(٣) يونس : ١٨

(٤) فصلت : ٣٥

لا تدبر شيئا ، وانما أرادوا منها الجاه والشفاعة ، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

فان قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما ؟ فجاوبه بما تقدم ، فانه اذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا الا الشفاعة ، ولكن اذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ، فاذكر له أن الكفار ، منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : ((**أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**))(١) الآية .

ويدعون عيسى ابن مريم وأمه . وقد قال تعالى : ((**ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر انى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم**))(٢) .

واذكر له قوله تعالى : ((**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**))(٣) .

وقوله تعالى : ((**واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب**))(٤) .

فقل له : عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فان قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد الا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى :

---

(١) الاسراء : ٥٧ — (٢) المائدة : ٧٥ : ٧٦

(٣) سبأ : ٤٠ - ٤١ — (٤) المائدة : ١١٦

« والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »(١) وقوله تعالى : **« ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »** (٢) .

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هى أكبر ما عندهم ، فاذا عرفت أن الله وضحها فى كتابه ، وفهمتها جيدا ، فما بعدها أيسر منها .

فان قال : أنا لا أعبد الا الله ، وهذا الالتجاء اليهم ودعاؤهم ليس بعبادة . فقل له : أنت تقر أن الله افترض عليك اخلاص العبادة لله ؟ فاذا قال : نعم . فقل له : بين لى هذا الذى فرضه الله عليك ، وهو اخلاص العبادة لله ، وهو حقه عليك ، فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها ، فبينها له بقولك : قال الله تعالى **« ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين »**(٣) .

فاذا أعلمته بهذا ، فقل له : هل علمت هذا عبادة لله ؟ فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء مخ العبادة ، فقل له : اذا أقررت أنها عبادة ، ودعوت الله ليلا نهارا ، خوفا وطمعا ، ثم دعوت فى تلك الحاجة نبيا أو غيره ، هل أشركت فى عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فاذا عملت بقول الله تعالى : **« فصل لربك وانحر »**(٤) وأطعت الله ونحرت له ، هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : فان نحرت لمخلوق ، نبى ، أو جنى ، أو غيرهما ، هل أشركت فى هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول : نعم .

وقل له أيضا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : وهل كانت عبادتهم اياهم الا فى الدعاء ، والذبح ، والالتجاء ، ونحو ذلك ؟ والا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذى يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجأوا اليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا .

فان قال : أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فقل: لا أنكرها، ولاأتبرأ منها ، بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ، وأرجو شفاعته ولكن الشفاعة كلها لله تعالى : كما قال تعالى : **« قل لله الشفاعة جميعا »**(٥) .

---

(١) الزمر : ٣ (٢) يونس : ١٨

(٣) الاعراف : ٥٥ (٤) الكوثر : ٢

(٥) الزمر : ٤٤

ولا يكون الا من بعد اذن الله ، كما قال تعالى : **« من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه »**(١) .

ولا يشفع فى أحد الا بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال تعالى : **« ولا يشفعون الا لمن ارتضى »**(٢) .

وهو سبحانه لا يرضى الا للتوحيد ، كما قال تعالى : **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه »**(٣) .

فاذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون الا من بعد اذنه ، ولا يشفع النبى صلى الله عليه وسلم ولا غيره فى أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله تعالى الا لأهل التوحيد . تبين لك أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمنى شفاعته ، اللهم شفعه فى ، وأمثال هذا .

فان قال : النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة ، وأنا أطلبها مما أعطاه الله .

فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا . فقال تعالى : **« فلا تدعوا مع الله أحدا »**(٤) .

فاذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه فى قوله : **« فلا تدعوا مع الله أحدا »** .

وأيضا فان الشفاعة أعطيها النبى صلى الله عليه وسلم ، لصح أن الملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، أتقول : ان الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم ؟ فان قلت هذا ، رجعت الى عبادة الصالحين التى ذكرها الله فى كتابه . وان قلت : لا بطل ذلك : اذا أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبها مما أعطاه الله .

فان قال : أنا لا أشرك بالله شيئا ، حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك . فقل له : اذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وتقر أن الله لا يغفره ؟ فما هذا الأمر الذى حرمه الله ، وذكر أنه لا يغفره ؟ فانه لا يدرى . فقل له : كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرم الله عليه هذا ، ويذكر أنه

---

(١) البقرة : ٢٥٥

(٢) الأنبياء : ٢٨

(٣) آل عمران : ٨٥

(٤) الجن : ١٨

لا يغفره ، ولا تسأل عنه لا تعرفه ؟ أظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ فان قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل له : ما معنى عبادة الأصنام ؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن . وان قال : هو من قصد خشبة أو حجرا ، أو بنية على قبر ، أو غيره ، يدعون ذلك ، ويذبحون له . يقولون : انه يقربنا الى الله زلفى ، ويدفع الله عنا ببركته ، أو يعطينا ببركته . فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التى على القبور وغيرها فهذا أقر ان فعلهم هذا هو عبادة الأصنام ، فهو المطلوب .

ويقال له أيضا : قولك الشرك عبادة الأصنام ، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل فى ذلك ؟ فهذا ما ذكره الله فى كتابه من كفر من تعلق على الملائكة ، أو عيسى أو الصالحين ، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك فى عبادة الله أحدا من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور فى القرآن ، وهذا هو المطلوب ، وسر المسألة أنه اذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما الشرك بالله ؟ فسره لى . فان قال : هو عبادة الأصنام . فقل : وما معنى عبادة الأصنام ؟ فسرها لى . فان قال : أنا لا أعبد الا الله وحده . فقل : ما معنى عبادة الله وحده ؟ فسرها لى . فان فسرها بما بينه القرآن، فهو المطلوب ، وان لم يعرفه فكيف يدعى شيئا وهو لا يعرفه ؟ وان فسر ذلك بغير معناه ، بينت له الآيات الواضحات فى معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان ، أنه الذى يفعلونه فى هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هى التى ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا : « **أجعل الآلهة الها واحدا آن هذا لشى عجاب** »(١) .

فاذا عرفت أن هذا الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد ، هو الشرك الذى نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

---

(١) سورة ص : ٥ .

أحدهما : أن الأولين لا يشركون ، ولا يدعون الملائكة ، والأولياء والأوثان مع الله الا فى الرخاء ، وأما فى الشدة فيخلصون لله الدعاء ، كما قال تعالى : ((**واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا**))(١) •

وقال تعالى : ((**قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين • بل اياه تدعون ، فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون**))(٢) •

وقال تعالى : ((**واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه**)) الى قوله : ((**قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار**)) (٣)

وقوله : ((**واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين**))(٤) •

فمن فهم هذه المسألة التى وضحها الله فى كتابه ، وهى أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله تعالى ويدعون غيره فى الرخاء ، وأما فى الضر والشدة فلا يدعون الا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم ، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما جيدا راسخا ؟ والله المستعان •

والأمر الثانى : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله ، اما أنبياء ، واما أولياء ، واما ملائكة • أو يدعون أحجارا ، أو أشجارا مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعونهم ، هم الذين يحكون عنهم الفجور ، من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذى يعتقد فى الصالح أو الذى لا يعصى مثل الخشب والحجر ، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به •

اذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء ، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهى من أعظم شبههم ، فأصغ سمعك لجوابها ، وهى أنهم يقولون : ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا اله الا الله •

---

(١) الاسراء : ٦٧
(٢) الانعام : ٤٠ ، ٤١
(٣) الزمر : ٨
(٤) لقمان : ٣٢

ويكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ، ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصوم ، فكيف تجعلونا مثل أولئك ؟

فالجواب : أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء وكذبه فى شىء أنه كافر لم يدخل فى الاسلام ، وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه ، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم ، أو أقر بهذا كله وجحد الحج .

ولما لم ينقد أناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم للحج ، انزل الله فى حقهم : ((**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين**))(١) .

كما قال تعالى : ((**ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . اولئك هم الكافرون حقا**))(٢) الآية .

فاذا كان الله قد صرح فى كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض ، فهو الكافر حقا ، زالت هذه الشبهة وهذه هى التى ذكرها بعض أهل الأحساء فى كتابه الذى أرسله الينا .

ويقال أيضا : اذا كنت تقر أن من صدق الرسول فى كل شىء ، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك اذا أقر بكل شىء الا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله ، لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ؛ وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج .

---

(١) آل عمران : ٩٧

(٢) النساء : ١٥٠ ، ١٥١

فكيف اذا جحد الانسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ، واذا جحد التوحيد الذى هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ ! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل ! .

ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة ، وقد أسلموا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويؤذنون ويصلون فان قال : انهم يقولون : ان مسيلمة نبى . قلنا : هذا هو المطلوب . اذا كان من رفع رجلا الى رتبة النبى صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا فى رتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحان الله ما أعظم شانه ! **« كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون »**(١) .

ويقال أيضا : الذين حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ، كلهم يدعون الاسلام ، وهم من أصحاب على رضى الله عنه ، وتعلموا العلم من الصحابة ، ولكن اعتقدوا فى على مثل الاعتقاد فى يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ ! أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أتظنون أن الاعتقاد فى تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد فى على بن أبى طالب كفر .

ويقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمن بنى العباس ، كلهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويدعون الاسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه ، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم . وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضا : اذا كان الأولون لم يكفروا الا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وانكار البعث . وغير ذلك ، فما معنى الباب الذى ذكر العلماء فى كل مذهب ؟ « باب

---

(١) الروم : ٥٩

حكم المرتد » وهو المسلم الذى يكفر بعد اسلامه ، ثم ذكروا أنواعا كثيرة ، كل نوع منها يكفر ، ويحل دم الرجل وماله ، حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب •

ويقال أيضا : الذين قال الله فيهم : ((**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم**))(١) •

أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون ؟ وكذلك الذين قال فيهم : ((**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون • لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم**))(٢) •

فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد ايمانهم ، وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح •

فتأمل هذه الشبهة ، وهى قولهم : تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن لا اله الا الله ، ويصلون ويصومون ، ثم تأمل جوابها ، فانه من أنفع ما فى هذه الأوراق •

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله تعالى عن بنى اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم ، انهم قالوا لموسى : ((**اجعل لنا الها كما لهم آلهة**))(٣) •

وقول أناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط • فحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا مثل قول بنى اسرائيل لموسى : ((**اجعل لنا الها**)) •

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة • وهى أنهم يقولون : ان بنى اسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواط ، لم يكفروا •

فالجواب أن نقول : ان بنى اسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعلوا • ولا خلاف أن بنى اسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبى صلى الله

---

(١) التوبة : ٧٤ (٢) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

(٣) الأعراف : ١٣٨ •

عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع فى أنواع من الشرك لا يدرى عنها ، فتفيد التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل : التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد اذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدرى ، فنبه على ذلك وتاب من ساعته ، أنه لا يكفر ، كما فعل بنو اسرائيل والذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر ، فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهم شبهة أخرى : يقولون : ان النبى صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال « لا اله الا الله » وقال : « أقتلته بعد ما قال : لا اله الا الله ؟ » وكذلك قوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله » وأحاديث أخر فى الكف عمن قالها . ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ، ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم ، وهم يقولون « لا اله الا الله » ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة ، وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلون ويدعون الاسلام ؛ وكذلك الذين حرقهم على بن أبى طالب ، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال « لا اله الا الله » ، وأن من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه اذا جحد شيئا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذى هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة ، فانه قتل رجلا ادعى الاسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه الا خوفا على دمه وماله ، والرجل اذا أظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله فى ذلك : **« يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا »**(١) .

---

(١) النساء : ٩٤

أي فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه ، والتثبت ، فان تبين منه بعد ذلك ما يخالف الاسلام قتل ، لقوله : « **فتبينوا** » ولو كان لا يقتل اذا قالها ، لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرناه ان من أظهر الاسلام والتوحيد وجب الكف عنه ، الا ان تبين منه ما يناقض ذلك .

والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال : « أقتلته بعد ما قال : لا اله الا الله ؟ » وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله » هو الذي قال في الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم . لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا ، حتى ان الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم لا اله الا الله ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة .

وكذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل انهم منعوا الزكاة ، حتى انزل الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** »(١) .

وكان الرجل كاذبا عليهم ، فكل هذا يدل على أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى : وهي ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بابراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا .

فالجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فان الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى : « **فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه** »(٢) .

وكما يستغيث الانسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء

---

(١) الحجرات : ٦

(٢) القصص : ١٥

التى يقدر عليها المخلوق . ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو فى غيبتهم ، فى الأشياء التى لا يقدر عليها الا الله .

اذا ثبت ذلك . فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز فى الدنيا والآخرة أن تأتى عند رجل صالح حى ، يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع الله لى ، كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فى حياته . وأما بعد موته ، فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه ؟ !

ولهم شبهة أخرى : وهى قصة ابراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار ، اعترض له جبريل فى الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال ابراهيم عليه السلام : اما اليك فلا . قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا ؛ لم يعرضها على ابراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فان جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فانه كما قال الله تعالى فيه : **« شديد القوى »**(١) .

فلو أذن الله له أن يأخذ نار ابراهيم وما حولها من الأرض والجبال ، ويلقيها فى المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع ابراهيم عليه السلام فى مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه الى السماء لفعل ، وهذا كرجل غنى له مال كثير ، يرى رجلا محتاجا ، فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهب له شيئا يقضى به حاجته ؛ فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ، ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام ان شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدا تفهم مما تقدم ، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها فنقول : لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فان اختل

---

(١) النجم : ٥

شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان عرف التوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند ، كفرعون وابليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون : هذا حق ، ونحن نفهم هذا ، ونشهد أنه الحق ، ولكن لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا الا من وافقهم ، وغير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه الا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى : « **اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا** »(١) .

وغير ذلك من الآيات كقوله : « **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** »(٢) .

فان عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ، أو لا يعتقده بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص : « **ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار** »(٣) .

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة ، تتبين لك اذا تأملتها فى ألسنة الناس ، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دنيا ، أو جاه ، أو مداراة . وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا ، فاذا سألته عما يعتقد بقلبه ، فاذا هو لا يعرفه . ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله ، أولاهما : ما تقدم من قوله : « **لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم** »(٤) .

فاذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تبين لك أن الذى يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفا من نقص مال ، أو جاه ، أو مداراة لأحد ، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية : قوله تعالى : « **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** »(٥) .

فلم يعذر الله من هؤلاء الا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالايمان ، وأما غير هذا ، فقد كفر بعد ايمانه ، سواء فعله خوفا ، أو مداراة ،

---

(١) التوبة : ٩

(٢) البقرة : ١٤٦

(٣) النساء : ١٤٥

(٤) التوبة : ٦٦

(٥) النحل : ١٠٦

أو مشعثة بوطنه ، أو أهله ، أو عشيرته ، أو ماله ، أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض الا المكره ، والآية تدل على هذا من جهتين :

الأولى : قوله « **الا من أكره** » . فلم يستثن الله الا المكره معلوم أن الانسان لا يكره الا على العمل أو الكلام . وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية : قوله تعالى : « **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** »(١) .

فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل ، والبغض للدين ، أو محبة الكفر ، وانما سببه أن له فى ذلك حظا من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، آمين .

* * *

---

(١) النحل : ١٠٧

الرسالة الرابعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد .. فهذه رسالة فى مسالة رجلين تناظرا . فقال أحدهما : لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله . فانا لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك .

الجواب : الحمد لله رب العالمين . ان أراد بذلك أنه لابد من واسطة تبلغنا أمر الله ، فهذا حق ، فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه ، وما أعده لأوليائه من كرامته ، وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التى تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عباده .

فالمؤمنون بالرسل ، المتبعون لهم ، هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ، ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة .

وأما المخالفون للرسل ، فانهم ملعونون ، وهم عن ربهم ضالون محجوبون . قال الله تعالى :

« يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(١) .

وقال تعالى :

« فاما ياتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »(٢) .

قال ابن عباس : تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ، أن لا يضل فى الدنيا . ولا يشقى فى الآخرة . وقال تعالى عن أهل النار :

---

(١) الأعراف : ٣٥ ، ٣٦

(٢) طه : ١٢٣ — ١٢٦ .

« كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا فى ضلال كبير »(١) .

وقال تعالى :

« وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين »(٢) .

وقال تعالى :

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون »(٣) .

وقال الله تعالى :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »(٤) .

ومثل هذا فى القرآن كثير ، وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره ، قال تعالى : **« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس »(٥) .**

ومن أنكر هذه الوسائط . فهو كافر باجماع أهل الملل . والسور التى أنزلها الله تعالى بمكة ، مثل : الأنعام والأعراف ، وذوات « الر » ، و « حم » ، و « طس » ونحو ذلك ، هى متضمنة لأصول الدين ، كالايمان بالله ورسله واليوم الآخر ، وقد قص الله قصص الكفار الذين

---

(١) الملك : ٨ ، ٩
(٢) الزمر : ٧١
(٣) الأنعام : ٤٨ - ٤٩
(٤) النساء : ١٦٣ — ١٦٥ .
(٥) الحج : ٧٥

كذبوا الرسل ، وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا . قال تعالى :

« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون »(١) .

وقال : **« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد »**(٢) .

فهذه الوسائط ، تطاع وتتبع ويقتدى بها ، كما قال تعالى :

« وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله »(٣) .

وقال تعالى : **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »**(٤) .

وقال تعالى : **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله »**(٥) .

وقال : **« فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون »**(٦) .

وقال تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »(٧) .

وان أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة فى جلب المنافع ، ودفع المضار ، مثل أن يكون واسطة فى رزق العباد ، ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك ، ويرجعون اليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ، يجتلبون بهم المنافع ، ويدفعون بهم المضار . لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق . قال الله تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلا تتذكرون »(٨) .

---

(١) الصافات : ١٧١ — ١٧٣ (٢) غافر : ٥١

(٣) النساء : ٦٤ (٤) النساء : ٨٠

(٥) آل عمران : ٣١ (٦) الأعراف : ١٥٧

(٧) الأحزاب : ٢١ (٨) السجدة : ٤

وقال تعالى .

« وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع »(١) .

وقال تعالى :

« وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع »(٢) .

وقال سبحانه :

« قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا »(٣) .

وقال : **« قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له »**(٤) .

وقالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة ، فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا ، وأنهم يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى : **« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول الناس كونوا عبادا من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يامركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ، أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون »**(٥) .

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط ، يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكروب ، وسد الفاقات ، فهو كافر باجماع المسلمين ، وقد قال : **« وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون**

---

(١) الأنعام : ٥١

(٢) الأنعام : ٧٠

(٣) الاسراء : ٥٦ - ٥٧

(٤) سبا : ٢٢ ، ٢٣

(٥) آل عمران : ٧٩ - ٨٠

الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين »(١) .

وقال تعالى : « ان يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا »(٢) .

وقال تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا »(٣) .

وقال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون »(٤) .

وقال تعالى : « وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى »(٥) .

وقال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه »(٦) .

وقال تعالى : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله »(٧) .

وقال تعالى : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده »(٨) .

وقال تعالى : « قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون »(٩) .

---

(١) الأنبياء : ٢٦ — ٢٩

(٢) النساء : ١٧٢

(٣) مريم : ٨٨ — ٩٥

(٤) يونس : ١٨

(٥) النجم : ٢٦

(٦) البقرة : ٢٥٥

(٧) يونس : ١٠٧

(٨) فاطر : ٢

(٩) الزمر : ٣٨

ومثل هذا كثير في القرآن ، وأما سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين ، فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم ، فقد أصاب في ذلك •

وهؤلاء اذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، وأن تنازعوا في شيء ردوه الى الله والرسول ، اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء ، فان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر »(١) •

ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه ، كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب الى الملك من الطالب للحوائج !

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فان تاب والا قتل •

وهؤلاء مشبهون لله ، شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا لله أندادا •

وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى ، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة :

اما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه • ومن قال : ان الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير ، يسمع ضجيج

---

(١) رواه ابو داوود وغيره بسند حسن .

الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سمع عن سمع ، لا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحين .

الوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ، ودفع أعدائه الا بأعوان يعينونه ، فلابد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل . قال تعالى : ((**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير**))(١) .

وقال تعالى : ((**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا**))(٢) .

وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه ، فهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير اليه ، بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم ، وفي الحقيقة شركاؤهم في الملك ، والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم الا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه ويخافه ، تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، اما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، واما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه .

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بوالدها ، وكل الأشياء انما تكون بمشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو اذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض ، فجعل هذا يحسن الى هذا ، ويدعو له ، ويشفع فيه ونحو ذلك ، فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة . ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده . أو يعلمه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب

---

(١) سبأ : ٢٢ (٢) الاسراء : ١١١

ويخافه ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ولكن ليجزم المسألة ، فانه لا مكره له » والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه ، كما قال : « **من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه** »(١) .

وقال تعالى : « **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** »(٢) .

وقد قال تعالى : « **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له** »(٣) .

فبين أن كل من دعى من دونه ، ليس له ملك ولا شرك فى الملك ، ولا هو ظهير . وأن شفاعتهم لا تنفع الا لمن أذن له . وهذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكا لهم فى الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم ، وتارة لخوف منهم ، وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافأتهم ولانعامهم عليه ، حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد ، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة سلوكه ، فاذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، أو أن يسعى فى ضرره .

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض ، كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبة أو رهبة ، والله تعالى لا يرجو أحدا ، ولا يخافه ، ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغنى . قال تعالى : « **الا ان لله من فى السموات ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون** »(٤) .

الى قوله : « **قالوا اتخذ الله ولدا ، سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض** »(٥) .

والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعدونه من الشفاعة.

---

(١) البقرة : ٢٥٥

(٢) الأنبياء : ٢٨

(٣) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

(٤) يونس : ٦٦

(٥) يونس : ٦٨

قال تعالى : ((**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون**))(١) .

وقال تعالى : ((**فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ، بل ضلوا عنهم ، وذلك افكهم وما كانوا يفترون**))(٢) .

وأخبر عن المشركين انهم قالوا : ((**ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**))(٣) .

وقال تعالى : ((**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ، ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون**))(٤) .

وقال تعالى : ((**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا**))(٥) .

فأخبر أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله ، وأنهم يرجون رحمته . ويخافون عذابه ، ويتقربون اليه . فهو سبحانه قد نفى ما أثبتوا للملائكة والأنبياء الا الشفاعة باذنه . والشفاعة هى الدعاء ، ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع ، والله قد أمر بذلك ، لكن الداعى الشافع ليس له أن يدعو ويشفع الا باذن الله له فى ذلك ، فلا يشفع شفاعة نهى عنها ، كالشفاعة للمشركين ، والدعاء لهم بالمغفرة ، قال تعالى : ((**ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه**))(٦) .

---

(١) يونس : ١٨

(٢) الأحقاف : ٢٨

(٣) الزمر : ٣

(٤) آل عمران : ٨٠

(٥) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

(٦) التوبة : ١١٣ ، ١١٤

وقال تعالى فى حق المنافقين : **((سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم))**(١) .

وقد ثبت فى « الصحيح » أن الله تعالى نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين ، وأخبر أنه لا يغفر لهم ، كما فى قوله : **((ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))**(٢) .

وقوله : **((ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون))**(٣) .

وقد قال تعالى : **((سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم))**(٤) .

وقد قال تعالى : **((ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين))**(٥) .

فى الدعاء ، ومن الاعتداء فى الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله ، مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية لله عز وجل ، كاعانته على الكفر والفسوق والعصيان ، فالشفيع الذى أذن الله له فى الشفاعة شفاعته فى الدعاء الذى ليس فيه عدوان ، ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فانهم معصومون أن يقروا على ذلك . كما قال نوح : **((ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين))**(٦) .

قال تعالى : **((قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين ، قال رب انى اعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين))**(٦) .

وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع ، فلا يكون دعاؤه وشفاعته الا بقضاء الله وقدره ومشيئته ، وهو الذى يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذى خلق السبب والمسبب ، والدعاء من جملة الأسباب

---

(١) المنافقون : ٦

(٢) النساء : ٤٨

(٣) التوبة : ٨٤

(٤) المنافقون : ٦

(٥) الأعراف : ٥٥

(٦) هود : ٤٥ — ٤٧

التى قدرها الله سبحانه وتعالى ؛ واذا كان كذلك ، فالالتفات الى الأسباب شرك فى التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص فى العقل ، والاعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع ٠

بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته الى الله سبحانه وتعالى ، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء ٠

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى ، والأدنى للأعلى ، فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء ، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء ، ويطلبون منه الدعاء بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه ، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وله شفاعات يختص بها ٠ ومع هذا فقد ثبت فى « الصحيحين »(١) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ، فانه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك العبد ، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة » ٠ وقد قال لعمر ، لما أراد أن يعتمر وودعه : « يا أخى لا تنسنى من دعائك »(٢) ٠

فالنبى صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته أن يدعوا له ، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم ، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التى يثابون عليها ، مع أنه صلى الله عليه وسلم له مثل أجورهم فى كل ما يعملونه ، فانه قد صح عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ؛ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا » وهو داعى الأمة الى كل هدى ، فله مثل أجورهم فى كل ما اتبعوه فيه ، وكذلك اذا صلوا عليه ،

---

(١) هذا من افراد مسلم ولم يخرجه البخارى ٠

(٢) رواه ابو داوود وغيره بسند ضعيف ٠

فان الله يصلى على أحدهم عشرا ، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له . فدلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى « الصحيح » أنه قال : « ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة ، الا وكل الله به ملكا ، كلما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكل به : آمين ولك مثل ذلك » وفى حديث آخر : « أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » .

فالدعاء للغير ينتفع به الداعى والمدعو له ، وان كان الداعى دون المدعو له ، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعى والمدعو له . فمن قال لغيره : ادع لى وقصد انتفاعهما جميعا بذلك ، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى ، فهو نبه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما ، والمسئول فعل ما ينفعهما ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى ، فيثاب المأمور على فعله والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه ، لكونه دعا اليه لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد كما قال تعالى : **« واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات »**(١) .

فأمره بالاستغفار ، ثم قال : **« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »**(٢) .

فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم اذ ذاك ، مما أمر الله به الرسول ، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق به ، بل ما أمر الله به العبد أمر ايجاب أو استحباب ففعله ، هو عبادة لله ، وطاعة وقربة الى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه ، واذا فعل ذلك كان من أعظم احسان الله اليه وانعامه عليه ، بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم للايمان .

والايمان : قول وعمل جائز بالطاعة والحسنات ، وكلما ازداد العبد عملا للخير ، ازداد ايمانه .

---

(١) محمد : ١٩

(٢) النساء : ٦٤

هذا هو الانعام الحقيقى المذكور فى قوله : ((**صراط الذين انعمت عليهم**))(١) .

وفى قوله تعالى : ((**ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم**))(٢) .

بل نعم الدنيا بدون الدين ، هل هى من نعمه أم لا ؟ فيه قولان مشهوران للعلماء من أصحابنا وغيرهم . والتحقيق أنها نعمة من وجه ، وان لم تكن نعمة تامة من وجه .

واما الانعام بالدين الذى ينبغى طلبه ، فهو ما أمر الله به ، من واجب ومستحب ، فهو الخير الذى ينبغى طلبه باتفاق المسلمين ، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة ، اذ عندهم أن الله هو الذى أنعم بفعل الخير ، والقدرية عندهم انما أنعم بالقدرة عليه الصالحة للضدين .

والمقصود هنا أن الله لم يأمر مخلوقا أن يسأل مخلوقا الا ما كان مصلحة لذلك المخلوق ، اما واجب ، أو مستحب ، فانه سبحانه لا يطلب من العبد الا ذلك . فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك ، بل قد حرم على العبد أن يسأل العبد ماله الا عند الضرورة ، وان كان قصده مصلحة المأمور ، أو مصلحته ومصلحة المأمور ، فهذا يثاب على ذلك ، وان كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المامور ، فهذا من نفسه أتى ومثل هذا السؤال لا يأمر الله تعالى به قط ، بل قد نهى عنه ، اذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته ، والله يأمرنا أن نعبده ونرغب اليه ، ويأمرنا أن نحسن الى عباده ، وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا ، فلم يقصد الرغبة الى الله ودعاءه وهو الصلاة ، ولا قصد الاحسان الى الخلق الذى هو الزكاة ، وان كان العبد لا يأثم بمثل هذا السؤال ، لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد ، وما يؤذن له فيه ، ألا ترى أنه قال فى حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب : ((أنهم لا يسترقون)) وان كان الاسترقاء جائزا وهذا قد بسطناه فى غير هذا الموضع .

---

(١) الفاتحة : ٧

(٢) النساء : ٦٩

والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه ، كالوسائط التى تكون بين الملوك والرعية ، فهو مشرك ، بل هـذا دين المشركين عباد الأوثان ، كانوا يقولون : انها تماثيل الأنبياء والصالحين ، وانها وسائل يتقربون بها الى الله ، وهـو من الشرك الذى أنكره الله على النصارى ، حيث قال : ((**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون**))(١) .

وقال تعالى : ((**واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**))(٢) .

أى فليستجيبوا لى اذا دعوتهم بالأمر والنهى ، وليؤمنوا بى ، أى أن أجيب دعاءهم بالمسألة والتضرع . وقال تعالى : ((**فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب**))(٣) .

وقال تعالى : ((**واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه**))(٤) .

وقال تعالى : ((**أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض**))(٥) .

وقال تعالى : ((**يسأله من فى السموات والأرض ، كل يوم هو فى شأن**))(٦) .

وقد بين الله هذا التوحيد فى كتابه ، وحسم مواد الاشراك به حتى لا يخاف أحد أحدا غير الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل الا عليه .

وقال تعالى : ((**فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا**))(٧) .

((**انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه**))(٨) .

أى يخوفكم أولياءه ((**فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين**))(٩) .

---

(١) التوبة : ٣١
(٢) البقرة : ١٨٦
(٣) الشرح : ٧ ، ٨
(٤) الاسراء : ٦٧
(٥) النمل : ٦٢
(٦) الرحمن : ٢٩
(٧) المائدة : ٤٤
(٨) آل عمران : ١٧٥
(٩) آل عمران : ١٧٥

وقال تعالى : ((**ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية**))(١) .

وقال تعالى : ((**انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله**))(٢) .

وقال تعالى : ((**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**))(٣) .

فبين أن الطاعة لله ورسوله .

وأما الخشية فله وحده ، وقال تعالى : ((**ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله**))(٤) .

ونظيره قوله تعالى : ((**الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**))(٥) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ، ويحسم عنهم مواد الشرك ، اذ هذا تحقيق قولنا « لا اله الا الله » فان الاله هو الذي تألهه القلوب ، بكمال المحبة والتعظيم ، والاجلال والاكرام ، والرجاء والخوف ، حتى قال لهم : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد » وقال له رجل : ما شاء الله وشئت . فقال : « أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » . وقال : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » . وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » . وقال لابن عباس : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما أنت لاق ، فلو جهدت الخليقة على أن تنفعك لم تنفعك الا بشيء كتبه الله لك ، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك الا بشيء كتبه الله عليك » وقال أيضا : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وانما أنا عبد . فقولوا عبد الله ورسوله » وقال : « اللهم لا تجعل قبري وثنا

---

(١) النساء : ٧٧
(٢) التوبة : ١٨
(٣) النور : ٥٢
(٤) التوبة : ٥٩
(٥) آل عمران : ١٧٣

يعبد » وقال : « لا تتخذوا قبرى عيدا ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » وقال فى مرضه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا •

وهذا باب واسع ، ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه ، فانه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب ، كما جعل المطر سببا لانبات النبات قال الله تعالى : **« وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة »**(١) •

وكما جعل الشمس والقمر سببا لما يخلقه بهما ، وكما جعل الشفاعة والدعاء سببا لما يقصيه بذلك ، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فان ذلك من الأسباب التى يرحمه الله بها ، ويثيب عليها المصلين عليه •

لكن ينبغى أن يعرف فى الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها : أن السبب المعين لا يستقبل بالمطلوب ، بل لابد معه من أسباب أخرى ، ومع هذا فلها موانع ، فان لم يكمل الله الأسباب ، ويدفع الموانع ، لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ما شاء كان وان لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لا يكون الا أن يشاء الله •

الثانى : أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب الا بعلم ، فمن أثبت شيئا سببا بلا علم ، أو يخالف الشرع كان مبطلا ، مثل من يظن أن النذر سبب فى دفع البلاء وحصول النعماء •

وقد ثبت فى « الصحيحين » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال : « انه لا يأتى بخير ، وانما يستخرج به من البخيل » •

الثالث : أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سببا الا أن تكون مشروعة ، فان العبادات مبناها على التوقيف ، فلا يجوز

---

(١) البقرة : ١٦٤

للانسان أن يشرك بالله فيدعو غيره وان ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه ٠

ولذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة وان ظن ذلك ، فان الشياطين قد تعين الانسان على بعض مقاصده اذا أشرك ٠

وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الانسان ، فلا يحل له ذلك ، اذا المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به ٠ اذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ٠

فما أمر الله به فمصلحته راجحة ، وما نهى عنه فمفسدته راجحة ، وهذه الجمل لها بسط لا تحتمله هذه الوريقات ٠٠ والله أعلم ٠

والحمد لله وحده ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

* * *

الرسالة الخامسة :

هدية طيبة

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لوليه ، والصلاة على نبيه •

سئل الشيخ رحمه الله تعالى عن معنى : لا اله الا الله •

فأجاب بقوله : اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هى الفارقة بين الكفر والاسلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى ، وهى التى جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار فى الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض ما خالفها ، ومعاداته ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا اله الا الله مخلصا » وفى رواية : « خالصا من قلبه » وفى رواية : « صادقا من قلبه » • وفى حديث آخر : « من قال : لا اله الا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله » • الى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة •

فاعلم أن هذه الكلمة نفى واثبات ، نفى الالهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات ، حتى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ، فضلا عن غيرهم من الأولياء والصالحين •

اذا فهمت ذلك ، فتأمل هذه الألوهية التى أثبتها الله لنفسه ، ونفاها عن محمد وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل •

فاعلم أن هذه الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا : السر والولاية •

والاله معناه : الولى الذى فيه السر • وهو الذى يسمونه : الفقير والشيخ ، وتسميه العامة : السيد ، وأشباه هذا ، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الانسان يلتجى اليهم ، ويرجوهم ، ويستغيث بهم • ويجعلهم واسطة بينه وبين الله • فالذى يزعم أهل الشرك فى زماننا أنهم وسائط ، هم الذين يسميهم الأولون : الآلهة • والواسطة : هو الاله • فقول الرجل : لااله الا الله ، ابطال للوسائط • واذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة ، فذلك بأمرين :

الأول : أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلهم ، ونهب أموالهم ، واستحل نساءهم ، كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يحيى ، ولا يميت ، ولا يدبر الأمور الا الله وحده ، كما قال تعالى : **« قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله »**(١) .

وهذه مسألة عظيمة مهمة ، وهى أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ، ومقرون بها ، ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الاسلام ، ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم ، وكانوا أيضا يتصدقون ، ويحجون ، ويعتمرون ، ويتعبدون ، ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل •

ولكن الأمر الثانى : هو الذى كفرهم ، وأحل دماءهم وأموالهم ، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية ، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى الا الله وحده لا شريك له ، ولا يستغاث بغيره ، ولا يذبح لغيره ، ولا ينذر لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، فمن استغاث بغيره فقد كفر ، ومن ذبح لغيره فقد كفر ، ومن نذر لغيره فقد كفر ، وأشباه ذلك •

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين ، مثل : الملائكة ، وعيسى ، وعزير ،

---

(١) يونس : ٣١

وغيرهم من الأولياء . فكفروا بهذا ، مع اقرارهم بأن الله هو الخالق ، الرازق ، المدبر .

اذا عرفت هذا . عرفت معنى « لا اله الا الله » وعرفت أن من نجا(١) نبيا . أو ملكا . أو ندبه ، أو استغاث به . فقد خرج من الاسلام، وهذا هو الكفر الذى قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فان قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن الله هو الخالق ، الرازق ، المدبر ، ولكن هؤلاء الصالحين مقربون ، ونحن ندعوهم وتنذر لهم ، وتدخل عليهم ، وتستغيث بهم ، وتريد بذلك الوجاهة والشفاعة ، والا فنحن نفهم أن الله هو الخالق المدبر .

فقل : كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله ، فانهم يدعون عيسى وعزيرا ، والملائكة ، والأولياء ، يريدون ذلك كما قال تعالى : **« والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »**(٢) .

وقال : **« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »**(٣) .

فاذا تأملت هذا تأملا جيدا ، عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية ، وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير ، وهم ينحون عيسى ، والملائكة . والأولياء ، يقصدونهم لأنهم يقربونهم الى الله ، ويشفعون عنده .

وعرفت أن من الكفار خصوصا النصارى ، منهم من يعبد الله الليل والنهار ، ويزهد فى الدنيا ، ويتصدق بما دخل عليه منها ، معتزلا فى صومعة عن الناس ، ومع هذا كافر عدو لله ، مخلد فى النار بسبب اعتقاده فى عيسى أو غيره من الأولياء ، يدعوه ، أو يذبح له ، أو ينذر له . تبين لك كيف صفة الاسلام الذى دعا اليه نبيك صلى الله عليه وسلم ، وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل ، وتبين لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » .

---

(١) هكذا فى الأصل . ولعله يقصد (نحا) . ونحا الشيء : قصده .

(٢) الزمر : ٣ (٣) يونس : ١٨

فالله الله يا اخواني : تمسكوا بأصل دينكم ، وأوله وآخره ، وأسه ورأسه ، شهادة أن لا اله الا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها ، واجعلوهم اخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت وعادوهم . وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ، أو قال : ما على منهم ، او قال : ما كلفنى الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، فقد كلفه الله بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا اخوانهم وأولادهم .

فالله الله ، تمسكوا لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا ، اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله فى كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى : **« واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا »**(١) .

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم اذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ ، ولم يستغيثوا بهم ، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له ، واستغاثوا به وحده ، فاذا جاء الرخاء أشركوا .

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم ، وفيه زهد ، واجتهاد ، وعبادة . اذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله ، مثل معروف ، أو عبد القادر الجيلانى ، وأجل من هؤلاء ، مثل زيد بن الخطاب والزبير ، وأجل من هؤلاء ، مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله المستعان ، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت ، والكفرة والمردة ، مثل شمسان ، وادريس ويونس وأمثالهم ، والله سبحانه أعلم .

الحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على خير خلقه محمدا وآله أجمعين .

---

(١) الاسراء : ٦٧ .

الرسالة السادسة :

أوثق عرى الايمان

تاليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين .

اعلم أولا أيدك الله بتوفيقه ، أن أوثق عرى الايمان : الحب فى الله ، والبغض فى الله ، وهذا وجهه فى أهل بلد مرتدين ، أو بادية(١)، وهم بنو عم ، ويجيء لهم ذكر عند الأمراء ، فيتسبب بالدفع عنهم حميه دنيوية ، اما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم . هل يكون هذا موالاة نفاق ؟ أو يصير كفرا ؟ فان كان ما يقدر من نفسه أويتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ، وكذلك اذا عرفت هذا من انسان ، ماذا يجب عليك ؟ افتنا مأجورا .

فأقول : أولا : ان الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين ، من الكفار ، والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ، ولا يؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بالجهاد ، والاغلاظ عليهم بالقول والفعل ، وتوعدهم باللعن والقتل ، كقوله : **« ملعونين اين ما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا »**(٢) .

وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبر ان من تولاهم فهو منهم ، وكيف يدعى رجل محبة الله وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشياطين على عدوانهم واتخذوهم أولياء من دون الله ؟ كما قيل :

تحب عدوى ثم تزعم أننى صديقك ان الود عنك لعازب

وبالجملة : فالحب فى الله ، والبغض فى الله أصل عظيم من أصول

---

(١) يريد الاعراب المنافقون . (٢) الاحزاب : ٦١ .

الايمان ، يجب على العبد مراعاته ولهذا جاء فى الحديث : « أوثق عرى الايمان : الحب فى الله ، والبغض فى الله » .

ولذلك أكثر الله من ذكره فى القرآن ، قال تعالى « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ، الا ان تتقوا منهم تقاة** »(١) .

قال بعض المفسرين : نهوا أن يولوا الكافرين ، كقرابة بينهم ، أو صداقة قبل الاسلام ، أو غير ذلك من الأسباب التى يتصادق بها ويتعاشر .

وقوله : « من دون المؤمنين » يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار ، فلا تؤثروهم عليهم ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ، أى ومن يتولى الكفرة ، فليس من ولاية الله فى شىء يقع عليه اسم الولاية ، يعنى ، أنه منسلخ من ولاية الله رأسا . وهذا أمر معقول ، فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان .

« **الا ان تتقوا منهم تقاة** » .

فرخص فى موالاتهم اذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم الا بذلك ، وكانوا مقهورين لا يستطيعون اظهار العداوة لهم ، فحينئذ تجوز المعاشرة الظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ينظر زوال المانع ، كما قال تعالى : « **الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** »(٢) .

قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل ، انما التقية باللسان ، وقال أيضا : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين ، الا أن يكون الكفار ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفوهم فى الدين وذلك قوله : « الا أن تتقوا منهم تقاة » ذكره ابن جرير وابن أبى حاتم .

وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم** »(٣) الآية . قال القرطبى : لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم .

وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى**

---

(١) آل عمران : ٢٨ (٢) النحل : ١٠٦

(٣) آل عمران : ١١٨

اولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم))(١). الى آخر قوله : ((**فان حزب الله هم الغالبون**))(٢) .

قال حذيفة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر، لهذه الآية : ((**ومن يتولهم منكم فانه منهم**))(٣) .

قال مجاهد فى قوله تعالى : ((**فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم**))(٤) .

قال : المنافقون فى مصانعة اليهود ، ومداخلتهم واسترضاعهم أولادهم اياهم .

وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى : ((**اذلة على المؤمنين**))(٥) قال : أهل رقة على أهل دينهم ((**اعزة على الكافرين**)) وقال : أهل غلظة على من خالفهم فى دينهم . وكذا نقل معناه عن غير واحد من السلف .

وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء**))(٦) .

وقال تعالى : ((**ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خالدون**))(٧) والآية بعدها .

وقال تعالى : ((**يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**))(٨) .

فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الاسلام ، وأمر بالاغلاظ عليهم قولا وفعلا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية : ((**جاهد الكفار**)) بالسيف ((**والمنافقين**)) **باللسان** ((**واغلظ عليهم**)) قال : ذهب الرفق عنهم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ((**جاهد الكفار والمنافقين**)) ، قال : بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وليلقه بوجه مكفهر ، أى عابس متغير

---

(١) المائدة : ٥١
(٢) المائدة : ٥٦
(٣) المائدة : ٥١
(٤) المائدة : ٥٢
(٥) المائدة : ٥٤
(٦) المائدة : ٥٧
(٧) المائدة : ٨٠
(٨) التوبة : ٧٣

من الغيظ والبغض . ذكره ابن أبى حاتم ، وجاء معناه فى حديث مرفوع ، رواه البيهقى فى « الشعب » .

وقال تعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم** »(١) . الآية . نفى سبحانه وتعالى الايمان عمن هذا شأنه ، ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم ، فضلا عن غيرهم .

وقال تعالى : « **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار** »(٢) .

قال ابن عباس : ولا تركنوا ، قال : لا تميلوا . وقال عكرمة : أن تطيعوهم ، أو تودوهم ، أو تصطنعوهم . ومعنى تصطنعوهم : أى تولوهم الأعمال ، كمن يولى الفساق والفجار .

وقال الثورى : ومن لاق لهم دواة ، أو برى لهم قلما ، أو ناولهم قرطاسا دخل فى هذا . قال بعض المفسرين : النهى فى الآية متناول للانحطاط فى هواهم . والانقطاع اليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ، ومداهنتهم ، والرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيى بزيهم ، ومد العين الى زهرتهم ، وذكره بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله : « ولا تركنوا » والركون : هو الميل اليسير .

وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة** » الى قوله : « **فأولئك هم الظالمون** »(٣) .

وصح أن صدر هذه السورة نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة ، لما كتب الى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم .

وجاء فى تفسير قوله تعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر** »(٤) الآية : أنها فى أبى عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر ، كما رواه الطبرانى ، وابن أبى حاتم ، والحاكم وغيرهم .

وعن ابن جريج ، قال : حدثت أن أبا قحافة سب النبى صلى الله عليه وسلم ، فصكه أبو بكر صكة سقط ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أفعلت يا أبا بكر » ؟ فقال : والله لو كان السيف

---

(١) المجادلة : ٢٢
(٢) هود : ١١٣
(٣) الممتحنة : ١ ـ ٩
(٤) المجادلة : ٢٢

فربما منى لضربته ، فنزلت : ((**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر**))(١) .

رواه ابن المنذر . وهذا والله أعلم فى أول الاسلام ، فان أبا قحافة أسلم عام الفتح ، فلم يكن ليسب النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاسلام ، وأبو بكر خرج مهاجرا من مكة ، ولم يعد اليها الا بعد الاسلام فى عمره مع النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : من أحب فى الله ، وأبغض فى الله ، وعادى فى الله ، ووالى فى الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك . رواه ابن أبى شيبة ، وابن أبى حاتم .

وفى حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أوحى الله الى نبى من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك فى الدنيا فتعجلت راحة نفسك ، وأما انقطاعك الى فتعززت به ، فما عملت فيما لى عليك ؟ قال : يا رب .. وما لك على ؟ قال : هل واليت لى وليا . أو عاديت لى عدوا)) ؟

وقال تعالى : ((**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**))(٢) .

فعقد تعالى الموالاه بين المؤمنين ، وقطعهم من ولاية الكافرين ، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وان لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شىء عظيم ، وكذلك يقع فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر الا بالحب فى الله ، والبغض فى الله ، والمعاداة فى الله والموالاة فى الله ، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحده ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقانا بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . والآيات فى هذا كثيرة .

وأما الأحاديث فروى أحمد عن البراء بن عازب : ((أوثق عرى الايمان : الحب فى الله والبغض فى الله)) . وفى حديث مرفوع : ((اللهم لا تجعل للفاجر عندى يدا ولا نعمة ، فيوده قلبى ، فانى وجدت فيما

---

(١) المجادلة : ٢٢ (٢) الانفال : ٧٣

اوحى الى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** » رواه ابن مردويه وغيره .

عن أبى ذر مرفوعا : « أفضل الأعمال الحب فى الله ، والبغض فى الله » رواه أبو داوود ، ورواه أحمد مطولا . وفى الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعا : « المرء مع من أحب » . وعن ابن مسعود مرفوعا : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقى » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن على مرفوعا : « لا يحب رجل قوما الا حشر معهم » رواه الطبرانى باسناد جيد قاله ابن المنذر ، وقد روى أحمد معناه : عن عائشة باسناد جيد أيضا عنها مرفوعا : « الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا فى الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شىء من الجور ، أو تبغض على شىء من العدل . وهل الدين الا الحب فى الله ، والبغض فى الله » ؟ قال الله تعالى : « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** »(١) الآية ، رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ، فقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث : الحب على شىء من الجور وان قل ، والبغض على شىء من العدل وان قل من الشرك ، فليحذر أشد الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين .

وعن بريدة مرفوعا : « لا تقولوا للمنافق سيد ، فانه ان يكن سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل » رواه أبو داوود ، والنسائى باسناد صحيح . ورواه الحاكم ولفظه : « اذا قال الرجل للمنافق : يا سيدى فقد أغضب ربه عز وجل » وقال : صحيح الاسناد .

وعن ابن مسعود مرفوعا : « مثل الذى يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردى فى بئر ، فهو ينزع بذنبه » رواه أبو داوود ، وابن حبان . قال ابن المنذر : ومعنى الحديث : أنه وقع فى الاثم ، وهلك البعير اذا تردى فى بئر ، فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص . والأحاديث فى ذلك كثيرة .

---

(١) آل عمران : ٣١ .

فصل

فى ذكر الآثار عن السلف

وهى كثيرة ، فنذكر منها بعضها :

قال الله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم**)) الى قوله : ((**ان الله عليم بذات الصدور**))(١) . والآية بعدها

قال ابن عباس فى الآية : رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف فى الجاهلية ، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا**)) قال : هم المنافقون رواه ابن أبى حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قيل له : ان هاهنا غلاما من أهل الحيرة ، حافظا . كاتبا فلو اتخذته كاتبا ؟ قال : قد اتخذت اذن بطانة من دون المؤمنين . رواه ابن أبى شيبة .

وعن الربيع . ((**لا تتخذوا بطانة**)) **قال** : لا تستدخلوا المنافقين تتولونهم دون المؤمنين . وفى ((تفسير القرطبى)) فى الكلام على هذه الآية : نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلا ووليجا يفاوضونهم فى الآراء ، ويسندون اليهم أمورهم ويقال : كل من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغى أن تحادثه . قال :

عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وفى سنن أبى داوود عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل)) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ((اعتبروا الناس بأخدانهم)) . ثم بين المعنى الذى لأجله ورد النهى عن المواصلة . قال : وقد مر أبو موسى الأشعرى على عمر رضى الله عنه بحساب فدفعه الى عمر فأعجبه ، فقال لأبى موسى : أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب

---

(١) آل عمران : ١١٨ ، ١١٩ .

فى النفس ؟ فقال : انه لا يدخل المسجد . فقال : لم ؟ أجنب هو ؟ قال : انه نصرانى — قال : فانتهره — وقال : لا تدنهم وقد أقصاهم الله ، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله ، ولا تأمنهم وقد خونهم الله .

ومن كتاب الامام محمد بن وضاح ، قال : سئل(١) قال جاء فى الأثر : « من جالس صاحب بدعة فقد مشى فى هدم الاسلام » وقال الأوزاعى : كانت اسلافكم تشهد عليهم — أى على أهل البدع — ألسنتهم ، وتشمئز منهم قلوبهم ، ويحذرون الناس بدعتهم .

وقال الحسن . لا تجالس صاحب بدعة ، فانه يمرض قلبك . وقال ابراهيم : لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلموهم ، فانى أخاف أن ترتد قلوبكم . روى هذه الآثار ابن وضاح .

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : اعلم رحمك الله أن كلام السلف فى معاداة أهل البدع والضلالة . انتهى .

فاذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم فى معاداة أهل الضلالات ، ونهيهم عن مجالسهم . فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، والسعى فى مصالحهم ، والذب عنهم ، وتحسين حالهم ، مع كونهم بين اثنتين : اما كافر أو منافق ، ومن بينهم بمعرفة الاسلام منهم قليل ، فهذا من رؤوسهم وأصحابهم ، وهو معهم يحشر يوم القيامة . قال تعالى : **« احشروا الذين ظلموا وأزواجهم »**(٢) الآية . وقال تعالى : **« واذا النفوس زوجت »**(٣) .

وقد تقدم الحديث : « لا يحب رجل قوما الا حشر معهم » .

* * *

فصل

فى التنبيه على حاصل ما تقدم

قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار ، وشدد فى ذلك ، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم : أن من أحب قوما حشر معهم .

---

(١) هكذا فى الاصل ، ولعل سائلا سأل عن صاحب البدعة .

(٢) الصافات : ٢٢ (٣) التكوير : ٧

ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور ، من فعلها دخل فى تلك الآيات وتعرض للوعيد بمسيس النار ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .

أحدها : التولى العام . الثانى : المودة والمحبة الخاصة . والثالث . الركون القليل . قال تعالى : « **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** »(١) .

فاذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه ، فكيف بغيره ؟

الرابع : مداهنتهم ومداراتهم . قال الله تعالى : « **ودوا لو تدهن فيدهنون** »(٢) .

الخامس : طاعتهم فيما يقولون ، وفيما يشيرون ، كما قال تعالى : « **ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** »(٣) . وقال تعالى : « **ولا تطع كل حلاف مهين** »(٤) الآيات .

السادس : تقريبهم فى الجلوس ، والدخول على أمراء الاسلام .

السابع : مشاورتهم فى الأمور .

الثامن : استعمالهم فى أمر من أمور المسلمين ، أى أمر كان : امارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك .

التاسع : اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين .

العاشر : مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم .

الحادى عشر : البشاشة لهم والطلاقة .

الثانى عشر : الاكرام العام .

الثالث عشر : استئمانهم وقد خونهم الله .

---

(١) الاسراء : ٧٤ ، ٧٥

(٢) القلم : ٩

(٣) الكهف : ٢٨

(٤) القلم : ١٠

الرابع عشر : معاونتهم فى أمورهم ولو بشىء قليل ، كبرى القلم ، وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم •

الخامس عشر : مناصحتهم •

السادس عشر : اتباع أهوائهم •

السابع عشر : مصاحبتهم ومعاشرتهم •

الثامن عشر : الرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيى بزيهم •

التاسع عشر : ذكر ما فيه تعظيم لهم ، كتسميتهم سادات وحكماء ، كما يقال للطاغوت : السيد فلان ، أو يقال لمن يدعى علم الطب : الحكيم ، ونحو ذلك •

العشرون : السكنى معهم فى ديارهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشركين وسكن معهم ، فانه مثلهم » رواه أبو داوود •

اذا تبين هذا ، فلا فرق فى هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم ، أو مع غيرهم ، كما فى آية المجادلة ، وحينئذ فالذى يتسبب بالدفع عنهم حمية اما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم ، من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم ، خصوصا المرتدين ، ينبغى أن تكون الغلظة عليهم أشد من الكافر الأصلى ، لأن هذا عادى الله على بصيرة ، وعادى رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ما عرف الحق ثم أنكره وعاداه والعياذ بالله ، فاذا كان من أعان ظالما ، فقد شاركه فى ظلمه ، فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم ؟ ! واذا كان من أعان ظالما مسلما فى خصومة ظلم تكون عند حاكم ، شريكا للظالم ، فكيف بمن يعين الكفار ، ويذب عنهم عند الأمراء ؟!

واذا كان الحرامية الذين يأخذون أموال الناس • اذا بذلوا للأمير مالا على أن يكف عنهم . فهو رئيسهم ، فما ظنك بمن يسر الى الكفار المودة ؟ ويعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه ، كما نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، وغيره ، لكن طرح النكال ان كان عن مسلم مظلوم ، فالشفاعة فيه والسعى فى اسقاطه بالرأى

ونحوه حسن . وان كان عن مرتد ، فلا نعما لعشرته ولا كرامة . ويكفى فى ذلك ما رواه أحمد والترمذى وحسنه ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والحاكم وصححه . عن ابن مسعود ، قال : لما كان يوم بدر جىء بالأسرى وفيهم العباس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تأمرون فى هؤلاء الأسرى » ؟ فقال أبو بكر : قومك يا رسول الله وأهلك ، فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم — وفى حديث أنس ، عن أحمد : نرى أن تعفو عنهم ، وتقبل منهم الفداء رجع الحديث الى ابن مسعود ، فقال عمر : يا رسول الله .. كذبوك ، وأخرجوك ، وقاتلوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم . فدخل النبى صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا بكر مثلك مثل ابراهيم عليه السلام ، قال : « **فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم** »(١) .

ومثلك يا عمر كمثل نوح قال : « **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا** »(٢) .

أنتم عالة ، فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو بضرب عنق فأنزل الله : « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض** »(٣) . الآيتين مختصرا .

وفى حديث أنس : فأنزل الله : « **لولا كتاب من الله سبق** »(٤) الآية .

وفى حديث ابن عمر ، عن أبى نعيم : فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال : « كاد أن يصيبنا فى خلافك شر » وفى رواية عنه عند ابن المنذر وابن مردويه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ، ولو نزل عذاب ما فلت الا عمر » .

فاذا كان هذا فى رأى للصديق رضى الله عنه الذى اجتهد فيه ، ونصح لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فما ظنك بمن يفعل ذلك حمية دنيوية لا لغرض دين ، ولا يقصد وجه الله بذلك ، بل لا يقصد الا الدنيا ؟ فان قيل : فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يذم أبا بكر على التشبيه ،

---

(١) ابراهيم : ٣٦
(٢) نوح : ٢٦
(٣) الأنفال : ٦٧
(٤) الأنفال : ٦٨

بل شبهه بابراهيم وعيسى وميكائيل عليهم السلام ، وشبه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام .

قيل : المراد فى الموافقة فى أهل اللين والرحمة ، لا فى خصوص هذه المسألة ، فان الصواب فيها مع عمر قطعا بكتاب الله ، ومع ذلك توعد الله فى أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله أنه رأى للصديق رضى الله عنه الذى اجتهد فيه ، فكيف بمن ينصح لهم ، ويرفق بهم ، ويرى الكف عن القتال ، ويشير باسقاط النكال عنهم . من غير مسوغ شرعى ، بل مجرد المحبه الدنيوية . وأما من يشير بكف المسلمين عنهم ، فان كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول فى الاسلام أو دخلوا فيه ، أو وأعده بالدخول فيه عن قريب ، وكان المصلحة فى تركهم قليلة ونحوه ، يجوز ذلك ، وان كان المراد به أن لا يتعرض المسلمون لهم بشىء لا بقتال ولا نكال واغلاظ ونحو ذلك ، فهو من أعظم أعوانهم ، وقد حصلت له موالاتهم مع بعد الديار ، وتباعد الأقطار ، كما قيل :

سهم أصاب وراميه (بذى سلم) من بالعراق لقد أبعدت مرماك

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم ان كانوا مرتدين ، فهذا عند الفقهاء مخطىء آثم ؛ لأنه يجب على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين فى حال الردة ، خصوصا من تكرر منه الردة مرارا ، فانه لا يقصد بذلك فى هذا الزمان الا الاغارة والنهب لا غير ، فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الاثم والعدوان ؛ ولهذا لما صار هذا الأمر سائغا عند بعض الناس انفتحت للبدوان أبواب الردة ، وأتوها مهطعين من كل وجه ، ولو كان هذا مصلحة فى بعض الأوقات رآها بعض الأمراء ، فلا يجب طرد ذلك لكل أحد فى كل زمان ، فاعلم ذلك .

وأما قول السائل : هل يكون هذا موالاة نفاق ، أم يكون كفرا ؟

فالجواب : ان كانت الموالاة مع مساكنتهم فى ديارهم ، والخروج معهم فى قتالهم ، ونحو ذلك ، فانه يحكم على صاحبها بالكفر ، كما قال تعالى : ((**ومن يتولهم منكم فانه منهم**))(١) .

وقال تعالى : ((**وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر**

---

(١) المائدة : ٥١

بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذن مثلهم »(١) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشركين ، وسكن معهم فانه مثلهم » وقال : « أنا برىء من مسلم بين أظهر المشركين » رواهما أبوداوود .

وان كانت الموالاة لهم فى ديار الاسلام اذا قدموا اليهم ونحو ذلك ، فهذا عاص . آثم ، متعرض للوعيد ، وان كانت موالاتهم لأجل دينهم ، يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله .
وان كانت الموالاة لأجل دينهم ، فهو مثلهم ، ومن أحب قوما حشر معهم . ولكن ليتفكر السائل فى قوله : حمية دنيوية ، يمكن هذا لابلاغ المحبة فى قلوبهم . والا فلو كان يبغضهم فى الله وما يعاديهم ، لكان أقر شىء لعينه ما يسخطهم ، ولكن كما قال ابن القيم :

تحب أعداء الحبيب ، وتدعى   حبا له ، ما ذاك فى امكان

وأما قول السائل : فان كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ؟

فالجواب : لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكا فى كفرهم ، أو جاهلا به ، أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم ، ولكن بقدر على مواجهتهم وتكفيرهم . أو يقول : أقول : غيرهم كفار ، لا أقول : انهم كفار . فان كان شاكا فى كفرهم أو جاهلا بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ، فان شك بعد ذلك وتردد ، فانه كافر باجماع العلماء ، على أن من شك فى كفر الكفار فهو كافر .

وان كان يقر بكفرهم ، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن لهم ، ويدخل فى قوله تعالى : « **ودوا أو تدهن فيدهنون** »(٢) وله حكم أمثاله من أهل الذنوب .

وان كان يقول : أقول غيرهم كفار ، ولا أقول هم كفار ، فهذا

---

(١) النساء : ١٤٠   (٢) القلم : ٩

حكم منه باسلامهم ، اذ لا واسطة بين الكفر والاسلام ، فان لم يكونوا كفارا فهم مسلمون . وحينئذ فمن سمى الكفر اسلاما . أو سمى الكفار مسلمين فهو كافر ، فيكون هذا كافرا .

وأما قوله : اذا عرفت هذا من انسان ، ماذا يجب عليك ؟

فالجواب : يجب عليك أن تنصحه وتدعوه الى الله سبحانه ، وتعرفه قبيح ما ارتكبه ، فان تاب فهذا هو المطلوب ، وان أصر وعاند فله حكم ما ارتكبه ، ان كان كفرا فكافر ، وان كان معصية أو اثما فعاص آثم ، يجب الانكار عليه . وتأديبه وهجره وابعاده حتى يتوب ، وقد هجر النبى صلى الله عليه وسلم من تخلف عن غزوة واحدة ، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم ، فكيف بمن يوالى الكفار ، ويظهر لهم المودة ؟ ! وهذا ما نقلناه من تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله ، ابن الشيخ رحمه الله وعفا عنه .

* * *

الرسالة السابعة :

هذا سؤال أورده الشيخ الامام عبد الرحمن بن حسن ، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على طلبة العلم من أهل نجد وأهل الأحساء ، فأجاب الشيخ العالم عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبى بطين هذا الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ما قولكم — دام فضلكم — فى تعريف العبادة ، وتعريف توحيد العبادة ، وأنواعه ، وتعريف الاخلاص ؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص ؟ وهل هو مطلق أو وجهى ؟ وما معنى الاله ؟ وما معنى الطاغوت الذى أمرنا باجتنابه والكفر به ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين .. أما العبادة فى اللغة فهى من الذل : يقال بعير معبد : أى مذلل ، وطريق معبد : اذا كان مذللا ، وقد وطئته الأقدام ، وكذلك الدين أيضا من الذل . يقال : دنته فدان : أى أذللته فذل .

وأما تعريفها فى الشرع . فقد اختلفت عباراتهم فى تعريفها والمعنى واحد ، فعرفها طائفة بقولهم : هى ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى . وعرفها طائفة بأنها : كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى : هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والاحسان الى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والانابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، فالدين كله داخل فى العبادة . انتهى .

ومن عرفها بالحب مع الخضوع ، فلأن الحب التام مع الذل التام ، يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له ، فالعبد هو الذى ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ، فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته .

فمحبة العبد لربه ، وذله له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب ، فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس العبادة غير توحيد المحبة . مع خضوع القلب والأركان :

والحب نفس وفاقه فيما يحب   وبغض مالا يرتضى بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره   والقصد وجه الله ذى الاحسان

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح ، فمن أحب شيئا وخضع له . فقد تعبد قلبه له ، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة ، ولا الخضوع بلا محبة عبادة .

فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة ، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر ، فمن خضع لانسان مع بغضه له ، لم يكن عابدا له ، ولو أحب شيئا ولم يخضع له ، لم يكن عابدا له ، كما يحب ولده وصديقه ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شىء . وأن يكون أعظم عنده من كل شىء ، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام الا الله سبحانه . اذا عرف ذلك فتوحيد العبادة هو افراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها ، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعا ، ليس أحدهما دون الآخر ، ولهذا قال ابن عباس : كل ما ورد فى القرآن من العبادة ، فمعناه التوحيد . وهذا هو التوحيد الذى دعت اليه الرسل ، وأبى عن الاقرار به المشركون .

وأما العبادة من حيث هى ، فهى أعم من كونها توحيدا عموما مطلقا ، فكل موحد عابد لله ؛ وليس كل من عبد الله يكون موحدا .

ولهذا يقال عن المشرك : أنه يعبد الله ، مع كونه مشركا . كما قال الخليل صلى الله عليه وسلم : **« أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين »**(١) .

---

(١) الشعراء : ٧٥ — ٧٧

وقال عليه السلام : **((انني براء مما تعبدون ، الا الذى فطرنى فانه سيهدين))**(١) •

فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم ، فدل على أنهم يعبدون الله سبحانه ، فان قيل : ما معنى النفى فى قوله سبحانه : **((ولا أنتم عابدون ما أعبد))**(٢) •

قيل : انما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد •

وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف فى ((بدائع الفوائد)) فقال لما انجز كلامه على سورة **((قل يا أيها الكافرون))** :

وأما المسألة الرابعة : وهو أنه لم يأت النفى فى حقهم الا باسم الفاعل ، وفى جهته جاء بالفعل المستقبل تارة ، وباسم الفاعل أخرى ، وذلك — والله أعلم — لحكمة بديعة ، وهى أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفى كل وقت ، فأتى أولا بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد ، ثم أتى فى هذا النفى بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت ، فأفاد فى النفى الأول أن هذا لا يقع منى ، وأفاد فى الثانى أن هذا ليس وصفى ولا شأنى ، فكأنه قال : عبادة غير الله لا تكون فعلا لى ولا وصفا ، فأتى بنفيين مقصودين بالنفى • وأما فى حقهم فانما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل ، أى الوصف الثابت اللازم للعابد لله منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتا لكم ، وانما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة ، لم يشرك معه فيها أحدا ، وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه • وان عبدوه فى بعض الأحيان فان المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره ، كما قال أهل الكهف : **((واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله))**(٣) اى اعتزلتم معبوديهم الا الله فانكم لم تعتزلوه • وكذا قول المشركين عن معبوديهم : **((ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى))**(٤) •

فهم كانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره ، لم ينف عنهم الفعل

---

(١) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

(٢) الكافرون : ٣ ، ٥

(٣) الكهف : ١٦

(٤) الزمر : ٣

لوقوعه منهم ، ونفى الوصف ، لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتا على عبادة الله موصوفا بها .

فتأمل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد فى طيها أنه لا يوصف بأنه عابد لله وان عبده ولا المستقيم على عبادته الا من انقطع اليه بكليته ، وتبتل اليه تبتيلا ، ولم يلتفت الى غيره . ولم يشرك به أحدا فى عبادته ، وأنه ان عبده وأشرك به غيره فليس عابدا لله ولا عبدا له .

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التى هى أحد سورتى الاخلاص التى تعدل ربع القرآن ، كما جاء فى بعض السنن ، وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه الا من منحه الله فهما من عنده ، فله الحمد والمنة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وأما الاخلاص : فحقيقته أن يخلص العبد لله فى أقواله وأفعاله وارادته ونيته ، وهذه هى الحنيفية ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم التى أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها وهى حقيقة الاسلام : **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »**(١) .

وهى ملة ابراهيم التى رغب عنها فهو من أسفه السفهاء : **« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه »**(٢) .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على اشتراط الاخلاص للأعمال والأقوال الدينية ، وأن الله لا يقبل منها الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه .

ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد فى تصحيح نياتهم ، ويرون الاخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس ، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له ، ويعلل الأعمال وآفاتها ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم ، وانما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه ، أو المنقصة له .

قال الامام أحمد رحمه الله : أمر النية شديد .

---

(١) آل عمران : ٨٥ (٢) البقرة : ١٣٠

وقال سفيان الثورى : ما عالجت شيئا أشد على من نيتى لأنها تتقلب على •

وقال يوسف بن أسباط : تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد •

وقال سهل بن عبد الله : ليس على النفس شىء أشق من الاخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب •

وقال يوسف بن الحسين : أعز شىء فى الدنيا الاخلاص ، وكم أجتهد فى اسقاط الرياء عن قلبى ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته ، وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شىء ، لأن « الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » •

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص ، وهل هو وجهى أو مطلق ؟ فقد قدمنا أن العبادة من حيث هى أعم من توحيد العبادة عموما مطلقا ، وأن العبادة المطلوبة شرعا هى نفس توحيد العبادة ، ودل كلام ابن القيم ــ رحمه الله ــ أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص حيث قال :

فاواحد كن واحدا فى واحد   أعنى سبيل الحق والايمان
هذا وثانى نوعى التوحيد تو   حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبدا ولا   تعبد بغير شريعة الايمان
فتقوم بالاخلاص والايمان وال   احسان فى سر وفى اعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك   التوحيد كالركنين للبنيان

الى أن قال :

وحقيقة الاخلاص توحيد المرا   د فلا يزاحمه مراد ثانى
والصدق توحيد الارادة وهو بذ   ل الجهد لا كسلا ولا متوانى
والسنة المثلى لسالكها فتو   حيد الطريق الأعظم السلطان

فقوله رحمه الله : والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد ، جعل الاخلاص أحد ركنى توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسر الصدق بما ذكر وقال فى بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص •

فعرفنا — رحمه الله — أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص ، ولم يذكر الا عموما مطلقا •

وأما العموم الوجهى ، فالظاهر أن المراد به اذا كان أحد الشيئين أعم من وجه وأخص من وجه ، والعموم الذى بين مطلق العبادة وبين توحيد العبادة . والاخلاص مطلقا لا وجهى • وأما الاله فهو الذى تألهه القلوب بالمحبة ، والخضوع ، والخوف ، والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة • والتوكل ، والاستغاثة ، والدعاء ، والذبح ، والنذر ، والسجود ، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ، فهو اله بمعنى مألوه ، أى معبود ، واجمع أهل اللغة أن هذا معنى الاله •

قال الجوهرى : أنه — بالفتح — الاهة ، أى عبد عبادة ؛ قال : ومنه قولنا : الله . وأصله اله على فعال ، بمعنى مفعول ، لأنه مألوه بمعنى معبود ، كقولنا : امام ؛ فعال بمعنى مفعول ، لأنه مؤتم به قال : والتأليه : التعبيد • والتأله : التنسك والتعبد • قال رؤبة : سبحن واسترجعن من تأله • انتهى •

وقال فى القاموس : أله الاهة وألوهة ، عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة • واختلاف فيه على عشرين قولا ، يعنى فى لفظ الجلالة قال : وأصله الاه بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبودا اله عند متخذه • قال والتأله : التنسك والتعبد • انتهى •

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بأنه المعبود . وانما غلط فى ذلك بعض أئمة المتكلمين ، فظن أن الاله هو القادر على الاختراع ، وهذه عظيمة وغلط فاحش ، اذا تصوره العامى العاقل تبين له بطلانه ، وكأنه هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين فى مواضع من كتابه ، ولم يعلم أن مشركى العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون • ومن أبعد الأشياء أن عاقلا يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل •

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : وليس المراد بالاله هو القادر

على اختراع كما ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا اله الا الله ، فان المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد . كما قال : « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** »(١) .

وقال تعالى : « **وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون** »(٢) الآيات .

وقال تعالى : «**وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** »(٣) .

قال ابن عباس : تسألهم من خلق السموات والأرض ، فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره !

وهذا التوحيد من التوحيد الواجب ، لكن لا يحصل به الواجب ، ولا يخلص بمجرده عن الاشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله ؛ بل لا بد أن يخلص لله الدين ، فلا يعبد الا اياه ، فيكون دينه لله . والاله هو المألوه الذي تألهه القلوب ، فهو اله بمعنى مألوه لا بمعنى اله . انتهى .

وقد دل صريح القرآن على معنى الاله ، وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى : « **واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون . الا الذي فطرني فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه** »(٤) .

قال المفسرون : هي كلمة التوحيد : « لا اله الا الله » باقية في عقبه ، أي ذريته .

قال قتادة : لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده . والمعنى جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية ابراهيم ، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهي كلمة « لا اله الا الله » .

فتبين أن موالاة الله بعبادته ، والبراءة من كل معبود سواه ، هو معنى لا اله الا الله .

---

(١) لقمان : ٢٥

(٢) المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥

(٣) يوسف : ١٠٦

(٤) الزخرف : ٢٦ — ٢٨

اذ تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئا من أنواع العبادة المتقدم تعريفها . كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك ، فقد عبد ذلك الغير ، واتخذه الها ، وأشركه مع الله فى خالص حقه ، وان فر من تسمية فعله ذلك تألها وعبادة وشركا .

ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها ، فلو سمى الزنا والربا والخمر بغير أسمائها ، لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرا ونحو ذلك . ومن المعلوم أن الشرك انما حرم لقبحه فى نفسه ، وكونه متضمنا مسبة الرب . وتنقصه ، وتشبيهه بالمخلوقين ، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه ، كتسميته توسلا وتشفعا وتعظيما للصالحين ، وتوقيرا لهم ونحو ذلك فالمشرك مشرك شاء أم أبى ، كما أن الزانى زان شاء أم أبى ، والمرابى مراب شاء أم أبى .

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع ، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها ، وذمهم على ذلك ، فلو كان الحكم دائرا مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذم ، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبنى آدم قديما وحديثا ، أخرج لهم الشرك فى قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم ، وغير اسمه بتسميته اياه توسلا وتشفعا ونحو ذلك .. والله الهادى الى سواء السبيل .

وأما تعريف الطاغوت : فهو مشتق من طغا ، وتقديره طغوت ، ثم قلبت الواو ألفا . قال النحويون : وزنه فعلوت ، والتاء زائدة . قال الواحدى : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، يكون واحدا وجمعا ، ويذكر ويؤنث ، قال تعالى : ((**يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به**))(١) فهذا فى الواحد . وقال تعالى فى الجمع : ((**والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات**))(٢) . وقال فى المؤنث : ((**والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها**))(٣) .

---

(١) النساء : ٦٠ .
(٢) البقرة : ٢٥٧
(٣) الزمر : ١٧ .

قال : ومثله في أسماء الفلك، يكون واحدا وجمعا، ومذكرا ومؤنثا .

قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ، وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال . وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف : كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت . وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين : الطاغوت : الشيطان .

قال ابن كثير : وهو قول قوي جدا ، فانه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان ، والتحاكم اليها ، والاستنصار بها . وقال الواحدي عند قول الله تعالى : **« يؤمنون بالجبت والطاغوت »**(١) . كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت .

قال ابن عباس في رواية عطية : الجبت : الأصنام ، والطاغوت تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم ، يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس . وقال في رواية الوالبي : الجبت : الكاهن ، والطاغوت : الساحر . وقال بعض السلف في قوله سبحانه : **« يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت »**(٢) .

أنه كعب بن الأشرف وقال بعضهم : حيي بن أخطب ، وانما استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤوس الضلال ، ولافراطهما في الطغيان، واغوائهما الناس ، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله ، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى **« يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت »**.

لما ذكر ما قيل : انها نزلت في طلب التحاكم الى كعب بن الأشرف، أو الى حاكم الجاهلية وغير ذلك قال : والآية أعم من ذلك كله ، فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكم الى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هاهنا، فتحصل من مجموع كلامهم — رحمهم الله — أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال يدعو الى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضا كل من نصبه الناس للحكم

---

(١) النساء : ٥١

(٢) النساء : ٦٠

بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، ويشمل أيضا الكاهن والساحر ، وسدنة الأوثان الى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضللة ، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضى حاجة من توجه اليه وقصده ، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب ، أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضى حاجة من قصده ، فيوقعهم فى الشرك الأكبر وتوابعه . وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان ، فهو الطاغوت الأكبر .. والله سبحانه وتعالى أعلم .

وهذا ما جمعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبى بطين ، شكر الله سعيه .

* * *

الرسالة الثامنة :

هذه رسالة
أسباب نجاة السول من السيف المسلول

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ما قولكم علماء المسلمين فى رجل يقول : نحن نقول لا اله الا الله ولا تكفون عنا ، والكفار الأولون اذا قالوها كف عنهم ؟ وأنتم تقولون : انكم تقولونها وتشركون ، فما نقول حتى تكفوا عنا ؟ أفتونا مأجورين •

المسألة الثانية : هل يلزم للرجل أن يتمذهب بمذهب واحد من المذاهب الأربعة أم لا ؟ وما يجب عليه فى ذلك ؟ بينوا لنا الجواب رحمكم الله •

الحمد لله الذى جبل عباده على طبائع شتى ، فمنهم شاكر ، ومنهم كفور ، وجعلهم فريقين : فريق منهم يتقربون اليه بالذبح لغير الله ، والنذر للطواغيت ، وبالدف والطبل والزمور ، وفريق منهم يتقربون اليه بتوحيده ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والصوم ، وبالحج المبرور ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبد مخلص فى توحيده غير شاك ولا كفور وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أحيا به الملة الحنيفية حتى أضاء الحق ، وتمزق الديجور ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان ، صلاة دائمة الى يوم البعث والنشور ، وسلم تسليما •

أما بعد •• فالجواب عن المسألة الأولى وهى قول السائل : ما تقولون فى « لا اله الا الله » ؟ فنقول : « لا اله الا الله » هى كلمة الاسلام ، وهى مفتاح دار السلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى ، وهى التى قامت بها الأرض والسموات ، وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهى محض حق الله على العباد ، وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان ، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان ، وهى العمود الحامل للفرض والسنة ، ومن كان آخر

كلامه « لا اله الا الله » دخل الجنة ، وهى الكلمة العاصمة للدم والمال ، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار ، وهى المنشور الذى لا يدخل الجنة أحد الا به ، والحبل الذى لا يصل الى الله الا من تعلق بسببه ؛ وبها انقسم الناس الى شقى وسعيد . ومقبول وطريد ، فهى وان كانت كلمة قيدت بالقيود الثقال .

فاذا كان امام الحنفاء ، لم تحصل له قول : لا اله الا الله ، ولم تتم له المحبة والموالاة وهو امام المحبين الا بالمعاداة ، كما قال تعالى : « **افرايتم ما كنتم تعبدون . أنتم وأباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين** »(١) . فانه لا ولى الا يبرأ ، ولا ولاء لله الا بالبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى قول : لا اله الا الله ، كما قال تعالى : « **واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه** »(٢) فأورثها امام الحنفاء عليه السلام لأتباعه يتوارثونها الأنبياء بعضهم لبعض .

فلما بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعا اليها ، أمره الله أن يبين هذين الركنين ، كما ذكر الله ذلك فى سورة « الاخلاص » أمره ان يقول : « **قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون** » .. الى قوله : « **لكم دينكم ولى دين** » (٣) .

وعرف المشركون ذلك حين دعاهم الى قول : لا اله الا الله ، قالوا : « **أجعل الآلهة الها واحدا ، ان هذا لشىء عجاب** »(٤) .

وكذلك ما جرى له صلى الله عليه وسلم مع عمه عند وفاته لما قال له : « يا عم .. قل : لا اله الا الله » وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبى أمية ، فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ عرفوا معناها ان فيها التولى والتبرع .

وكذلك صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يدعو أهل الكتاب اليها وهم يقولونها . قال تعالى : « **قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء**

---

(١) الشعراء : ٧٥ — ٧٧ (٢) الزخرف : ٢٦ — ٢٨
(٣) الكافرون : ١ — ٦ (٤) سورة ص : ٥

بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله »(١) الآية .

وفى « صحيح مسلم » عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « من قال لا اله الا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل » . فتبين بذلك خطأ المغرورين ، وبطلان حجة المبطلين . فان لا اله الا الله معناها كما تقدم النفى والاثبات ، وحقيقتها الموالاة والمعاداة ، ثم لا بد مع ذلك من البغض والاعتزال للداعى والمدعو ، والعابد والمعبود مع الكفر بهم ، كما ذكر الله ذلك . قال تعالى : **« قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده »(٢)** .

وكذلك ما جرى للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع قومهم من الاعتزال والعداوة العظيمة ، وما جرى لسعد مع أمه رضى الله عنه . وكما ذكر الله ذلك أيضا عن الخليل عليه السلام مخبرا ، قال تعالى : **« واعتزلكم وما تدعون من دون الله »(٣)** الآية . وقال تعالى مخبرا عن اهل الكهف : **« واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله »(٤)** . فذكر الله عنهم فى هذه الآيات المحكمات أنهم بدأوا بالمشركين ، واعتزلوهم قبل المعبودين ، فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان اذا كان علماؤهم لا يعرفون معناها كما عرف جهال الكفار ؟ ولا يعملون بمقتضاها وهى كلمة عليها أسست الملة ، ونصبت القبلة ، ونبه الله على فضلها ، وعظم شأنها أنبياؤه ورسله .

قال تعالى فى حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : **« فاعلم انه لا اله الا الله »(٥)** .

أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة فى السنة الثامنة من الهجرة بالمدينة ، وكذلك فى الحديث المشهور عنه صلى الله

---

(١) آل عمران : ٦٤
(٢) الممتحنة : ٤
(٣) مريم : ٤٨
(٤) الكهف : ١٦
(٥) محمد : ١٩.

عليه وسلم : « أن موسى قال : يا رب .. علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به ؟ قال : يا موسى .. قال : لا اله الا الله . قال يا رب .. كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى. والأرضين السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمالت بهن لا اله الا الله » .

فليتأمل الناصح لنفسه عظم شأن هذه الكلمة ، وعظم أركانها فى المبتدى ، وفضلها وعظم شأنها فى المنتهى ، فاذا كان لا بد من هذه الشروط المتقدمة فى البداية ، والتنبيه على فضلها ، وعظم شأنها فى النهاية مع سيد المرسلين ، وموسى الكليم عليهما السلام ، فما الظن بغيرهما ؟ والآيات والأخبار فى ذلك كثيرة معلومة ، وانما ذكرنا اشارة على ما قيدت به من القيود .

وأما الكلام عليها فأكثر العلماء والشراح فى ذلك ، ولكن ما تسعه هذه الأوراق ومعناها الجامع : « لا اله » ، أى لا معبود فى الوجود بحق الا الله ، ولأجل هذا المعنى قال تعالى : **« الر ، كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . الا تعبدوا الا الله »**(١) . فأخبر الحكيم الخبير أنه أنزل كتابا محكما ، مفصلا ، ألا يعبدوا الا هو . وقوله : **« ان لا تعبدوا »**(٢) .

من : ارادة من أجل ألا تعبدوا الا الله ، فأخبر أن الحكيم الخبير أنزل كتابه من أجل ذلك ، وهذا أيضا هو معنى لا اله الا الله .

وأما الاله فأصله فى اللغة من الوله . يقال : وله الفصيل ، وأله الفصيل اذا اشتد حبه الى أمه ، فقلبت الواو همزة ، فالاله من تألهه القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم ، والخوف والرجاء والدعاء ، وتوابع ذلك من التوكل والانابة والذبح والنذر والرغبة والرهبة والخشية والتوبة، فجميع التعظيم هو مستحق له حتى لا يحلف الا به .

وسر « لا اله الا الله » افراد الله بذلك كله وتوابعه ، والاله صفة تدور مع القصد ، فمن قصد بشىء من أنواع العبادة والتعظيم والتبرك فهو اله ، كما فى حديث أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى

---

(١) هود : ١ ، ٢ (٢) هود : ٢٦

الله عليه وسلم الى حنين — ونحن حدثاء عهد بكفر — وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط فمررنا بسدرة أخرى ، فقلنا : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات أنواط ! ! فقال صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر — ثلاثا — انها السنن قلتم — والذى نفسى بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى : ((**اجعل لنا الها كما لهم آلهة**))(١) قال : « لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذى وصححه .

ومن لوازم الاله ألا يلجأ الا اليه ، ولا يطاع الا أمره ، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله ، فان المحقق هو المتيقن بقلبه ، القائم بها قولا وفعلا . قال تعالى : ((**والذين هم بشهاداتهم قائمون**))(٢)

فلم يكن قائما بشهادته فى ظاهره وباطنه ، وفى قلبه وقالبه ، الا من كان شهادته على الأوصاف المذكورة ، فحياة الروح بهذه الكلمة ، كما ان حياة البدن بوجود الروح فيه ، فلا أنفع للعبد من اقباله على الله ، واشتغاله بذكره وتنعمه بتوحيده ، ومحبته وايثاره لمرضاته . ويتفاوت فى ذلك الخلق تفاوتا عظيما ، حتى ان منهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما فى حديث السبعين الألف ، ووصفهم صلى الله عليه وسلم بأنهم : « الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فأهل لا اله الا الله ، المحققون لها فى نعيم الدنيا ، وفى البرزخ ، وفى الآخرة فى الجنة ، وحرمهم الله على النار . وبقدر ما ينقص العبد فى معرفتها ، والعمل بها ، والثبات عليها ، وتحقيق العمل بمقتضاها يضعف يقينه وسيره وصبره ، فلا يثبت على الصراط فى الدنيا الا من حقق هذه الكلمة ، ومرورهم على الصراط فى الآخرة بقدر سيرهم واستقامتهم ، فمعطى ومحروم ، والفضل بيد الله ، نسأل الله الثبات عليها ، وأن يجعل الخاتمة لنا وللمسلمين عند الوفاة عليها برحمته انه أرحم الراحمين .

* * *

---

(١) الأعراف : ١٢٨

(٢) المعارج : ٣٣

فصل

وهنا المقصود بالجواب عما سأل عنه السائل ، فجوابه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن الله شرع الجهاد ، وأمر بالقتال ، وبين لنا الحكمة فى ذلك وموجبه ، وما يحصل به الكف . قال تعالى : ((**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**))(١) . قال المفسرون : اى شرك ((**ويكون الدين كله لله**(١))) والدين اسم عام ، وهو ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : ((**فاعبد الله مخلصا له الدين . الا لله الدين الخالص**))(٢)

وقال تعالى : ((**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**))(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : ((بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله لا يشرك به شيئا)) ... الحديث .

الوجه الثانى : أن الله أمر بقتال المشركين كافة ، وبين لنا ذلك قال تعالى : ((**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**)) الى قوله : ((**فان تابوا**)) اى عن الشرك : ((**وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**))(٤) .

فبين سبحانه وتعالى أنه لا يكف عنهم حتى يقيموا أعلام الاسلام الظاهرة ، وهى هذه الثلاثة الأركان كما ذكر الله فى الآية المتقدمة فى قوله تعالى : ((**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**)) الى قوله : ((**وذلك دين القيمة**))(٥) .

وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل)) .

وهذه الثلاثة الأركان أيضا أمر صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه الى اليمن أن يدعو اليها ، ونبهه على الأهم فالأهم ، كما فى حديثه ،

---

(١) الأنفال : ٣٩
(٢) الزمر : ٢ ، ٣
(٣) البينة : ٥
(٤) التوبة : ٥
(٥) البينة : ٥

وأخذ بذلك الخلفاء رضى الله عنهم ، فأبو بكر قاتل مانعى الزكاة وهم يقولون : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ، وقاتلوا طوائف أهل الردة وهم يقولونها .

وهذا الذى ذكرنا هو الذى يجب به الكف عن قتال العامة اذا أقاموه كما تقدم .

الوجه الثالث : ما يجب به الكف عن الخاصة فى مثل هذا الزمان وغيره ، فهى الكلمة التى تفيد الفعل والترك ، كما فى حديث أبى معبد المقداد بن الأسود قال : قلت : يا رسول الله .. أرأيت ان لقيت رجلا من المشركين ، فاقتتلنا ، فضرب احدى يدى بالسيف ، ثم لاذ بشجرة فقال : أسلمت لله ، أأقتله ؟ قال : « لا ، فانك ان قتلته كان بمنزلتك ، وكنت بمنزلته قبل ذلك » متفق عليه .

والمعنى : أنه بمنزلتك معصوم الدم والمال ، وأنت بمنزلته ، أى مباح الدم بالقصاص لورثته ، لا بمنزلته فى الدين ، والله أعلم .

فاذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة ، وما قيدت به من القيود ، ولابد مع ذلك أن يكون بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، فان اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلما كما ذكر الله ذلك وبينه فى كتابه ، فاذا كان الرجل مسلما وعاملا بالأركان ، ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك لم ينفعه ذلك ، كما قال الله تعالى للذين تكلموا بالكلام فى غزوة تبوك : **((لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم))**(١) .

وقال تعالى فى حق الآخرين : **((ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم))**(٢) .

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان ؟ جعلوا التلفظ بها عادة وهذيانا ، والقعقعة بحروفها ، فهى عندهم الاسلام والايمان ، مع ما هدموه من التوحيد الذى هو حق لله ، وأكبوا وأقبلوا على عبادة المشاهد والأوثان ، وضيعوا الفرائض وسائر الأركان ، وزين لهم ما ارتكبوه من التبدع والتنطع والعصيان ، الا أنهم يقولون : لا اله الا

---

(١) التوبة : ٦٦

(٢) التوبة : ٧٤

الله ، فما أحسن ما قاله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : « لا اله الا الله » سماها الله كلمة التقوى ، فجعلوها كلمة الفجور . وذكرنا عليها اشارة على طريق الايجاز والاختصار ، خشية الاطالة .. والله المستعان .

وأما الذى يجب به الكف عن القتال ، فهو لابد من اقامة أعلام الاسلام الظاهرة المتقدمة فى الآيات المحكمات ، ذكرها الله بعد الأمر بالقتال ، وكذلك فى الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فبدأ بالتوحيد ، وترك الشرك ، ثم ذكر بعده : « **واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة** »(١) .

ثم ذكر بعد ذلك : « **فخلوا سبيلهم** » .

والنبى صلى الله عليه وسلم قال بعد ذكره الثلاثة : « فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام » وفى بعض الآيات :

« **ويكون الدين كله لله** »(٢) .

وهذا الذى يجب به الكف ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، وفعل سلف الأمة ، وهذا الذى عليه الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما الخاصة : فهو كما قدمنا يجب الكف اذا أظهر بقول أو فعل ما يدل على تركه دينه ودخوله فى الاسلام كما تقدم فى الحديث . وليس المراد بالجواب الخاصة ، انما يراد به العامة ، فاذا وجدت طائفة ممتنعة عن احدى الثلاثة المذكورة ، قوتلوا أما التوحيد الذى هو محض حق الله على العبيد ، أو الصلاة التى هى الفارقة بين الكفر والاسلام ، أو الزكاة التى أجمع الصحابة رضى الله عنهم على قتال مانعيها . وكذلك أجمع العلماء أيضا على ذلك ، وتتبع ما ورد فى ذلك يطول ، اذ كل منصف ذكر ذلك ، وكذلك الشراح والفقهاء رحمهم الله ، وهذا مصرح به فى كتبهم ، ولو قالوا : « لا اله الا الله » لم يكف عنهم ، أو عملوا ببعض الشرائع وتركوا بعضا ، ولكن : « **من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** »(٣) .

* * *

---

(١) التوبة : ٥

(٢) الأنفال : ٣٩

(٣) الكهف : ١٧

فصـــل

وأما المسألة الثانية ، هل يلزم الرجل أن يتبع مذهبا من المذاهب الأربعة أم لا ؟

فالجواب : أن الله أوجب على عباده أن يتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ، كما ذكر الله ذلك فى آى القرآن ، وما جاءهم به نبيهم محمـــد صلى الله عليه وسلم كما أمر الله بذلك ، ودلت عليه السـنة . وعلق الله النجاة والفلاح باتباعـه صلى الله عليه وسـلم ، وذكر الله ذلك فى كم موضع . ولا يجب على الخلق أن يتبعوا رجـلا بعينـه غيره صلى الله عليه وسلم ، وانقسم فى ذلك الناس أقساما ، وتحزبوا أحزابا ، وصـار **((كل حزب بما لديهم فرحون))**(١) .

والاتباع والاقتداء أنواع : منه ما هو محرم ، كما ذكر الله عن الكفار : **((واذا قيـل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينـا عليـه آباءنا ، او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون))**(٢) .

وقال تعالى : **((وكذلك ما ارسـلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون))**(٣) .

وقال تعالى : **((واذا قيل لهم تعـالوا الى ما انزل الله والى الرسـول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا))**(٤) الآية .

وقال تعالى : **((يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا . وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا))**(٥) الآيـة .

النوع الثانى : ما ذكره الله عن أهل الكتاب فى تقليدهم ، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وهـذا أيضا يحرم على كـل مسلم مشابهتهم .

---

(١) المؤمنون : ٥٣

(٢) البقرة : ١٧٠

(٣) الزخرف : ٢٣

(٤) المـائدة : ١٠٤

(٥) الأحزاب : ٦٦ ، ٦٧

قال أبو بكر فى « الجامع » باب فساد التقليد ونفيه والفرق بينه وبين الاتباع :

قال أبو عمر : قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد فى غير موضع من كتابه فقال : « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** »(١) .

وروى عن حذيفة رضى الله عنه وغيره قال : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم أحلوا وحرموا عليهم فاتبعوهم .

وقال عدى بن حاتم : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عنقى صليب . فقال : « يا عدى ! ألق هذا الوثن من عنقك » وانتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة ، حتى أتى على هذه الآية : « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** » .

قال : فقلت يا رسول الله .. انا لم نتخذهم أربابا . قال : « بلى ، أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه ، ويحرمون ما أحل لكم فتحرمونه » ؟ فقلت : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . والحديث فى « المسند » و « الترمذى » مطولا .

وقال أبو البخترى فى قوله عز وجل : « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** »(٢) .

قال : أما انهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية .

فمن عرف هذه المقدمة ، عرف أن ليس بيننا وبين الناس اختلاف فى المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم ، بل وقع بيننا وبينهم النزاع عند معارضتهم للحق ودفعه بهذين النوعين ، كما كان هذا هو الواقع من أهل الزمان ، وليس لهم حجة الا ذلك ، وارتكابهم المحرمات واتباعهم الأهواء والشهوات ، ومع ذلك يزعمون بأنهم ينتسبون الى المذاهب ، وليسوا كذلك ، فان من انتسب الى شىء وليس عليه حقيقته ، لم ينفعه ذلك ، فان النصارى لم ينفعهم انتسابهم الى عيسى ، وكذلك اليهود لم ينفعهم انتسابهم الى موسى .

---

(١) التوبة : ٣١

(٢) التوبة : ٣١

وقد قال الله تعالى لنبيه : ((**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون**))(١) الى قوله : ((**ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات**))(٢) ثم بعد ذلك ((**أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم**))(٣) . الى قوله : ((**أفلا تذكرون**))(٤) . ولأن الله تعالى قال : ((**فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم**))(٥) •

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله : جمع الله الطرق فى طريقين : اما هدى ، واما هوى ، وكذلك فى الآية المتقدمة : اما متبع لشريعته صلى الله عليه وسلم التى جعلها الله عليها ورضيها لعباده ، واما متخذ الهه هواه ، أعاذنا الله من الآراء المحدثة ، والأهواء المضلة •

وأما الأئمة رضى الله عنهم ، فهم أئمة الهدى ، اجماعهم حجة ، واختلافهم رحمة ، والدين وسط •

واختلف العلماء فى تقليدهم ، فطائفة نفوا لتقليد وأنكروه ، وقالوا : الناس أحد رجلين : اما عامى فيجب عليه أن يتعلم ما يقوم به دينه ، ولا فائدة له فى لزوم مذهب معين ، فانه كالأمى الذى يدعى أنه يقرأ وليس بقارىء ، أو يدعى أنه يكتب وليس بكاتب ، فيدعى أنه على مذهب وهو لا يعرفه ، ولا يعرف الصحيح منه والضعيف •

والرجل الثانى فقيه ، فلا يصح له أن يقدم على شىء بغير حجة ولا دليل • والتقليد أمر ضرورى يباح عند الضرورة ، وطائفة — وهم أكثر الفقهاء — توسطوا فى ذلك لم يخرجوا عما قاله الأئمة رضى الله عنهم ، وهم عندهم أكفاء فى موارد النزاع ، وهم عندهم معذورون فيما لم يبلغ أحدهم من السنة ، كما بين ذلك شيخ الاسلام فى كتابه « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » • وداروا مع أولئك النصوص حيث دارت ، تمسكوا بالسنة حيث بانت لهم واستنارت ، وهم أتباع الأئمة ، وهم أهل النجاة من هذه الأمة ، فان الأئمة رضى الله عنهم نهوا عن تقليدهم — وهو الواجب عليهم — الا فيما وافق السنة ، وهذا التقليد

---

(١) الجاثية : ١٨

(٢) الجاثية : ٢١

(٣) الجاثية : ٢٣

(٤) الجاثية : ٢٣

(٥) القصص : ٥٠

والاتباع هو النوع الثالث الممدوح ، لا كما تقدم . ولنذكر طرفا من مقالة الأئمة :

قال ابن القاسم : عن مالك قال : ليس كل ما قال رجل قولا — وان كان له فضل — يتبع عليه ، لقول الله عز وجل **« فبشر عبادى . الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه »**(١) .

وقال بشر بن الوليد : قال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : هذا رأى ، فمن جاءنا برأى خير منه قبلناه . وقال : هل لأحد قول مع قول النبى صلى الله عليه وسلم ؟ وقال مالك رضى الله عنه : كل يؤخذ من قوله ويرد الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم .

وقد صرح مالك رضى الله عنه بأن : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول ابراهيم النخعى أنه يستتاب ، فكيف من ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هو دون ابراهيم ومثله . وذكر البيهقى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه : مثل الذى يطلب العلم بلا حجة ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدرى ، وقال رضى الله عنه : اذا صح الحديث فهو مذهبى ، الى غير ذلك عنه . وقال أبو داوود : قلت لأحمد : الأوزاعى هل هو أهل أن يقلد أم مالك ، قال: لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ، الا ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذه . وفى لفظ : وخذ من حيث أخذوا . وقال رضى الله عنه : من قلة فقه الرجل أن يقلد فى دينه الرجال ، وتتبع ذلك يطول .

النوع الرابع من التقليد مذموم ، وهو الغلو فيه ، وتعلق به طائفة ، اذا التزموا مذهبا من المذاهب الأربعة ، قالو : لا يجوز مخالفته ، ولابد من اتباعه على كل حالة ، وجعلوا كل امام فى أتباعه بمنزلة النبى فى أمته ، وهذا تبديل للدين .

---

(١) الزمر : ١٧ ، ١٨

قال أحمد رضى الله عنه : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأى سفيان ، والله يقول : **« فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »**(١) •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر •

وقال سفيان بن عيينة : اضطجع ربيعة مقنعا رأسه وبكى فقال : ما يبكيك ؟ قال : رياء ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كالصبيان عند أمهاتهم ، ما نهوهم عنه انتهوا ، وما أمروهم به ائتمروا •
قال عبد الله بن المعتمر : لا فرق بين بهيمة تنقاد ، وانسان يقلد •

وقال ابن مسعود : لا يقلد أحدكم رجلا ، ان آمن آمن ، وان كفر كفر ، فانه لا أسوة فى الشر •

وقال أيضا رضى الله عنه : اغد عالما ، أو متعلما ولا تغد امعة فيما بين ذلك •

وروى عن على رضى الله عنه مثل ذلك • والكلام على هاتين المسألتين يطول ، وانما ذكرنا عليهما ما يتيسر مع التقصير ، لأنهما يسئل عنهما الأولون والآخرون : ماذا أجبتم المرسلين ؟

فالمسألة الأولى فيها تحقيق العبادة •

والمسألة الثانية فيها تحقيق المتابعة • آخره • والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين •

* * *

---

(١) النور : ٦٣

الرسالة التاسعة :

هـذه رسـالة

فى مقادير فىء الزوال

بسـم الله الرحمن الرحيم

اذا كان قبل النوروز بيومين فظـل الزوال ثلاثة آقـدام وثلث ، وفى اثنى عشر ظل الزوال أربعة أقدام وفى أربعة وعشرين ظل الزوال أربعة أقدام وربع • وفى ست وثلاثين ظل الزوال أربعة أقدام ونصف • وفى ثمانية وأربعين ظل الزوال خمسة أقدام • وفى الستين ظل الزوال ستة أقدام ونصف • وفى ثلاث وسبعين ظل الزوال سـبعة أقـدام • وفى ست وثمانين ظل الزوال سبعة أقدام ونصف • وفى اثنين وتسعين ظل الزوال ثمانية أقدام الاربع • وفى مـائة وأحد عشر ظـل الزوال سبعة أقدام ونصف • وفى مائة وواحد وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وثلث • وفى مائة وسبعة وعشرين ظـل الزوال سبعة أقـدام وربع • وفى مائة وثمانية وثلاثين ظل الزوال سبعة أقدام • وفى مائة وثمانيـة وأربعين ظل الزوال ستة أقدام ونصف • وفى مائة وثمانية وخمسـين ظل الزوال ستة أقدام • وفى مائة وسبعة وستين ظل الزوال خمسـة أقدام ونصف • وفى مائة وست وسبعين ظل الزوال خمسـة أقدام • وفى مائة وأحد وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام • وفى مائة وسـتة وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام • وفى مائتين وأحد عشر ظـل الزوال ثلاثة أقدام • وفى مائتين وستة عشر ظل الزوال قدمان ونصف • وفى مائتين وسبعة وعشرين ظل الزوال قدمان • وفى مائتين واثنين وأربعين ظل الزوال قدم وثلث • وفى مائتين وست وأربعين ظل الزوال قـدم • وفى مائتين وسبعة وخمسين ظل الزوال نصف قدم • وفى مائتين وسبع وسـتين ظـل الزوال ثلث قدم • وفى مائتين وسبع وسـبعين يحتـاط للزوال بثلث قدم • وفى مائتين وواحد وثمانين بعدم ظهور ظل الزوال • وفى ثلاثمائة وواحد يحتاط للزوال بثلث قدم • وفى ثلاثمائة وثمانيـة عشر ظل الزوال ثلث قدم • وفى ثلاثمائة وأربعة وعشرين ظـل الزوال

قدم • وفى ثلاثمائة وتسعة وأربعين ظل الزوال قدمان • وفى ثلاثمائة وأربعة وستين ظل الزوال ثلاثة أقدام وثلث •

اللهم انا نستعينك ونستهديك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثنى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك •

اللهم اياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، واليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق •

* * *

الرسالة العاشرة :

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

كتاب التوحيد
الذى هو حق الله على العبيد

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

وقول الله تعالى : ((**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**))(١) . وقوله : ((**ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**))(٢) الآية . وقوله : ((**وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا**))(٣) . الآية .

وقوله : ((**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا**))(٤) الآية .

وقوله : ((**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، الا تشركوا به شيئا**))(٥) الآيات .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد أن ينظر الى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه ، فليقرأ قوله تعالى : ((**قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم**)) ــ الى قوله ــ ((**وأن هذا صراطى مستقيما ..**))(٦) الآية .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله » ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد

---

(١) الذاريات : ٥٦

(٢) النحل : ٣٦

(٣) الاسراء : ٢٣

(٤) النساء : ٣٦

(٥) الأنعام : ١٥١ ــ ١٥٣

(٦) الأنعام : ١٥٣

على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » فقلت : يا رسول الله .. أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه فى « الصحيحين » .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة فى خلق الجن والانس .

الثانية : أن العبادة هى التوحيد ، لأن الخصومة فيه .

الثالثة : ان من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه معنى قوله : **« ولا أنتم عابدون ما أعبد »**(١) .

الرابعة : الحكمة فى ارسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل الا بالكفر بالطاغوت ، ففيه معنى قوله : **« فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله »**(٢) الآية .

الثامنة : أن الطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل ، أولها النهى عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات فى سورة الاسراء ، وفيها ثمانى عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : **« لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا »**(٣) وختمها بقوله : **« ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا »**(٤) . ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : **« ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة »**(٥) .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التى تسمى آية الحقوق العشرة ، بدأها الله تعالى بقوله : **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا »**(٦) .

---

(١) الكافرون : ٣ ، ٥
(٢) البقرة : ٢٥٦
(٣) الاسراء : ٢٢
(٤) الاسراء : ٣٩
(٥) الاسراء : ٣٩
(٦) النساء : ٣٦

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حق الله تعالى علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه اذ أدوا حقه .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب المسلم بما يسره .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الارداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الارداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم هذه المسألة .

* * *

باب

فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى : ((**الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم**))(١) .

الآية . عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على

---

(١) الأنعام : ٨٢ .

ما كان من العمل » أخرجاه • ولهما فى حديث عتبان : « فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله » •

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال موسى : يا رب •• علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به • قال : قل يا موسى : لا اله الا الله • قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا • قال : يا موسى •• لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، مالت بهن لا اله الا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه •

وللترمذى وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لاتشرك به شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » •

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله •

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله •

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب •

الرابعة : تفسير الآية « ٨٢ » التى فى سورة الأنعام •

الخامسة : تأمل الخمس اللواتى فى حديث عبادة •

السادسة : أنك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده ، تبين لك معنى قول : « لا اله الا الله » وتبين لك خطأ المغرورين •

السابعة : التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان •

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا اله الا الله •

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات • مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه •

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات •

الحادية عشرة : أن لهن عمارا •

الثانية عشرة : اثبات الصفات ، خلافا للأشعرية •

الثالثة عشرة : أنك اذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله فى حديث عتبان : « فان الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله ، يبتغى بذلك وجه الله » أن ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدى الله ورسوليه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الايمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .

* * *

باب

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى : **« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين »**(١) .

وقوله : **« والذين هم بربهم لا يشركون »**(٢) .

عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة ؟ فقلت : أنا . ثم قلت : أما أنى لم أكن فى صلاة ، ولكنى لدغت ، قال : فما صنعت ؟ قلت : ارتقيت . قال : فماحملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبى ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية الا من عين أو حمة . قال : قد أحسن من انتهى الى ما سمع . ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عرضت على الأمم ،

---

(١) النحل : ١٢٠ .

(٢) المؤمنون : ٥٩

فرأيت النبى ومعه الرهط ، والنبى ومعه الرجل والرجلان ، والنبى وليس معه أحد ، اذ رفع لى سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتى ، فقيل لى : هذا موسى وقومه ، فنظرت فاذا سواد عظيم ، فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ثم نهض فدخل منزله . فخاض الناس فى أولئك ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن . فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « أنت منهم » ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال « سبقك بها عكاشة » .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس فى التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك الا بالعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه ، الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء •

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده •

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد فى القلة •

السادسة عشرة : الرخصة فى الرقية من العين والحمة •

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى الى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثانى •

الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه •

التاسعة عشرة : قوله : « أنت منهم » علم من أعلام النبوة •

العشرون : فضيلة عكاشة •

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض •

الثانية والعشرون : حسن خلقه صلى الله عليه وسلم •

* * *

بـاب

الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : « **ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** »(١) . وقال الخليل عليه السلام : « **واجنبنى وبنى ان نعبد الأصنام** »(٢) •

وفى الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فسئل عنه فقال : « الرياء » • وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار » رواه البخارى • ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لقى الله لا يشرك به شيء دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » •

فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك •

---

(١) النساء : ٤٨

(٢) ابراهيم : ٣٥

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما فى حديث واحد .

السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة . ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر ، لقوله : ((**رب انهن اضللن كثيرا من الناس**))(١) .

العاشرة : فيه تفسير « لا اله الا الله » كما ذكره البخارى .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

* * *

بـاب

الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى : ((**قل هذه سبلى ادعوا الى الله ، على بصيرة انا ومن اتبعنى**))(١) الآية .

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذا الى اليمن قال له : « انك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله ــ وفى رواية : الى أن يوحدوا الله ــ فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك لذلك . فأعلمهم أن

---

(١) ابراهيم : ٣٦ (٢) يوسف : ١٠٨

الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم أطاعوك لذلك ، فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه .

ولهما عن سهل بن سعد رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يشتكى عينيه فأرسلوا اليه ، فأتى به فبصق فى عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا ، خير لك من حمر النعم » ، يدوكون : أى يخوضون .

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة الى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم .

الثانية : التنبيه على الاخلاص . لأن كثيرا لو دعا الى الحق فهو يدعو الى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة .

الخامسة : أن من قبح الشرح كونه مسبة لله .

السادسة : — وهى من أهمها — ابعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أن يبدأ به قبل كل شىء ، حتى الصلاة .

التاسعة : أن معنى : « أن يوحدوا الله » معنى شهادة : أن لا اله الا الله .

العاشرة : أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب ، وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهى عن كرائم الأموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تحجب .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

التاسعة عشرة : قوله : « لأعطين الراية » الخ . علم من أعلام النبوة .

العشرون : تفله فى عينيه علم من أعلامها أيضا .

الحادية والعشرون : فضيلة على رضى الله عنه .

الثانية والعشرون : فضل الصحابة فى دوكهم تلك الليلة عن بشارة الفتح .

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى .

الرابعة والعشرون : الأدب فى قوله : « على رسلك » .

الخامسة والعشرون : الدعوة الى الاسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة ، لقوله : « أخبرهم بما يجب عليهم » .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى فى الاسلام .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

الثلاثون : الحلف على الفتيا .

* * *

باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله

وقوله تعالى : **« أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب »**(١) الآية .

وقوله : **« واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى »**(٢) الآية .

وقوله : **« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله »**(٣) الآية .

وقوله : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله »** (٤) الآية .

وفى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال « لا اله الا الله » وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل » وشرح هذه الترجمة ، ما بعدها من الأبواب .

فيه أكبر المسائل وأهمها : وهى تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة .

منها آية الاسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

ومنها آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا الا بأن يعبدوا الها واحدا ، مع أن تفسيرها الذى لا اشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية ، لادعاؤهم اياهم .

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : **« انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى »**(٥) .

فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه

---

(١) الاسراء : ٥٧
(٢) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧
(٣) التوبة : ٣١.
(٤) البقرة : ١٦٥
(٥) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

الموالاة : هى تفسير شهادة لا اله الا الله . فقال : « **وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون** »(١) .

ومنها آية البقرة : فى الكفار الذين قال الله فيهم : « **وما هم بخارجين من النار** »(٢) .

ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ، ولم يدخلهم فى الاسلام ، فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله ؟! فكيف بمن لم يحب الا الند وحده ؟! ولم يحب الله ؟!

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » وهذا من أعظم ما يبين معنى « لا اله الا الله » فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، لايحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك ، الكفر بما يعبد من دون الله ، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، وياله من بيان ما أوضحه ، وحجة ماأقطعها للمنازع .

* * *

بـاب

من الشرك : لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء او دفعه

وقول الله تعالى : « **قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره** »(٣) الآية .

عن عمران بن حصين رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا فى يده حلقة من صفر ، فقال « ما هذا » ؟ قال : من الواهنة . قال : « انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ، فانك لو مت وهى عليك ، ما أفلحت أبدا » رواه أحمد بسند لا بأس به . وله عن عقبة بن عامر رضى الله عنه مرفوعا : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ،

(١) الزخرف : ٢٨

(٢) البقرة : ١٦٧

(٣) الزمر : ٣٨

ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » • وفى رواية : « من تعلق تميمة فقد أشرك » • ولابن أبى حاتم عن حذيفة ، أنه رأى رجلا فى يده خيط من الحمى فقطعه ، وتلا قوله : « **وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** »(١) •

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك •

الثانية : أن الصحابى لو مات وهى عليه ما أفلح • فيه شاهد لكلام الصحابة : أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر •

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة •

الرابعة : أنها لا تنفع فى العاجلة بل تضر ، لقوله : « لا تزيدك الا وهنا » •

الخامسة : الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك •

السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئا وكل اليه •

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك •

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك •

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة •

العاشرة : أن تعليق الودع على العين من ذلك •

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة ، أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة ، فلا ودع الله له ، أى لا ترك الله له •

* * *

---

(١) يوسف : ١٠٦

بـاب

ما جاء فى الرقى والتمائم

فى « الصحيح » عن أبى بشير الأنصارى رضى الله عنه ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، فأرسل رسولا أن لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة الا قطعت • وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داوود وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا : « من تعلق شيئا وكل اليه » رواه أحمد والترمذى •

التمائم : شىء يعلق على الأولاد من العين ، لكن اذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، وجعله من المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضى الله عنه •

الرقى : هى التى تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمى •

والتولة : شىء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة الى زوجها والرجل الى امرأته •

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رويفع •• لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فان محمدا برىء منه » •

وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ، قال : « من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع • وله عن ابراهيم قال : كانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتمائم •

الثانية : تفسير التولة •

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء •

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ، ليس من ذلك•

الخامسة : أن التميمة اذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء : هل هى من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك •

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وترا •

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من انسان •

التاسعة : أن كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود •

* * *

باب

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : « **أفرأيتم اللات والعزى** »(١) الآيات .

عن أبى واقد الليثى ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله •• اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر •• انها السنن ، قلتم — والذى نفسى بيده — كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « **اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون** »(٢) لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذى وصححه •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم •

---

(١) النجم : ١٩ — ٢٢ (٢) الاعراف : ١٣٨

الثانية : معرفة صورة الأمر الذى طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب الى الله بذلك ، لظنهم أنه يحبه .

الخامسة : أنهم اذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم ، بل رد عليهم بقوله : « الله أكبر .. انها السنن ، لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، فغلظ الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بنى اسرائيل لما قالوا لموسى : « **اجعل لنا الها** »(١) .

التاسعة : أن نفى هذا ، من معنى « لا اله الا الله » مع دقته وخفائه على أولئك .

العاشرة : أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف الا لمصلحة .

الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ، لأنهم لم يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة : قولهم : « ونحن حدثاء عهد بكفر » فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : ذكر التكبير عند التعجب ، خلافا لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : « انها السنن » .

الثامن عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة ، لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا .

---

(١) الاعراف : ١٣٨

العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر ، أما « من ربك » ؟ فواضح ، وأما « من نبيك » ؟ فمن اخباره بأنباء الغيب ، وأما « ما دينك » ؟ فمن قولهم : « **اجعل لنا الها ..** » الخ .

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

* * *

باب

ما جاء فى الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : « **قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له** »(١) الآية ، وقوله : « **فصل لربك وانحر** »(٢) .

عن على رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله . لعن الله من لعن والديه . لعن الله من آوى محدثا . لعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دخل الجنة رجل فى ذباب ، ودخل النار رجل فى ذباب » . قالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟! قال : « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا ، فقالوا لأحدهما : قرب . قال : ليس عندى شىء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا ، فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرب . قال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة » رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير : « **ان صلاتى ونسكى** » .

---

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) الكوثر : ٢

الثانية : تفسير « **فصل لربك وانحر** » .

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه . ومنه أن تلعن والدى الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لعن من آوى محدثا وهو يحدث شيئا يجب فيه حق لله فيلتجىء الى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غير منار الأرض ، وهى المراسيم التى تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعين ، ولعن أهل المعصية على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهى قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده ، بل فعله تخلصا من شرهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ، ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا منه الا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذى دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافرا لم يقل : « دخل النار فى ذباب » .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : « الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

* * *

بـــاب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغــير الله

وقول الله تعالى : « **لا تقم فيه أبدا** » الآية .

عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر ابلا ببوانة ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد » ؟ قالوا : لا . قال : « فهل كان فيها عيــد من أعيادهم » ؟ قالوا : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وســلم : « أوف بنذرك ، فانه لا وفاء لنذر فى معصــية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داوود ، واسناده على شرطهما .

فيه مسائل :

الأولى تفسير قوله : « **لا تقم فيه أبدا** » .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر فى الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشكلة الى المسألة البينة ليزول الاشكال .

الرابعة : استفصال المفتى اذا احتاج الى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خـــلا من الموانع .

السادسة : المنع منــه اذا كان فيــه وثن من أوثــان الجــاهلية ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه اذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لايجوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لأنه نذر معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نذر فى معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

* * *

---

(١) التوبة : ١٠٨ .

بـــاب
من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : ((**يوفون بالنــذر**))(١) ، وقوله : ((**وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه**))(٢) .

وفي « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : اذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه الى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

* * *

بـــاب
من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعــالى : ((**وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**))(٣) .

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحــل من منزله ذلك » رواه مسلم .

فيه مســائل :

الأولى : تفسير آية الجن .

---

(١) الانســان : ٧ (٢) البقرة : ٢٧٠

(٣) الجن : ٦

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر ، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

* * *

باب
من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : « **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو** »(١) الآية .

وقوله : « **فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه** »(٢) . الآية .

وقوله : « **ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة** »(٣) الآيتان .

وقوله : « **أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء** »(٤) .

وروى الطبراني باسناده : أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انه لا يستغاث بي ، وانما يستغاث بالله عز وجل » .

فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

---

(١) يونس : ١٠٦ ، ١٠٧
(٢) العنكبوت : ١٧
(٣) الأحقاف : ٥
(٤) النمل : ٦٢

الثانية : تفسير قوله : « **ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك** »(١) .

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله ارضاء لغيره صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التى بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفرا .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغى الا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب الا منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله .

الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعى لا يدرى عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعى وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الأمر العجيب وهو اقرار عبدة الأوثان : أنه لا يجيب المضطر الا الله ، ولأجل هذا يدعونه فى الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأديب مع الله عز وجل .

* * *

---

(١) يونس : ١٠٦

بـــاب

قــول الله تعــالى : ((**ايشركون مالا يخلق شـــــيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا**))(١) الآية .

وقوله : ((**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**))(٢) الآية .

وفى « الصحيح » عن أنس قال : شج النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته ، فقال : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم » ؟ فنزلت : ((**ليس لك من الأمر شيء**))(٣) .

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه ســـمع رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع رأســـه من الركوع فى الركعة الأخـــيرة من الفجر : « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد ما يقول : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله : ((**ليس لك من الأمر شيء**))(٤) .

وفى رواية : يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث ابن هشام ، فنزلت : ((**ليس لك من الأمر شيء**)) .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام رســـول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : ((**وانذر عشيرتك الأقربين**))(٥) .

قال : « يا معشر قريش — أو كلمة نحوها — اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا أغنى عنك من الله شـــيئا ، ويا فاطمة بنت محمـــد ، سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا » .

فيه مســـائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصـــة أحـــد .

---

(١) الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢
(٢) فاطر : ١٣
(٣) آل عمران : ١٢٨
(٤) آل عمران : ١٢٨
(٥) الشعراء : ٢١٤

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون فى الصلاة •

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار •

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار • منها : شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم •

السادسة : انزل الله عليه فى ذلك : « **ليس لك من الأمر شيء** » •

السابعة : قوله : « **أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون** »(١) فتاب عليهم فآمنوا •

الثامنة : القنوت فى النوازل •

التاسعة : تسمية المدعو عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم •

العاشرة : لعنة المعين فى القنوت •

الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه : « **وأنذر عشيرتك الأقربين** »(٢) •

الثانية عشرة : جده صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر ، بحيث فعل ما نسب بسببه الى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن •

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : « لا أغنى عنك من الله شيئا » حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا » فاذا صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين أنه لا يغنى عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الانسان أنه لا يقول الا الحق ، ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس الآن ، تبين له التوحيد وغربة الدين •

* * *

بـاب

قوله تعالى : « **حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلى الكبير** »(٣) •

---

(١) آل عمران : ١٢٨ (٢) الشعراء : ٢١٤

(٣) سبأ : ٢٣

وفى « الصحيح » عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قضى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك « **حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق ، وهو العلى الكبير** » .

فيسمعها مسترق السمع — ومسترق السمع . هكذا بعضه فوق بعض . وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد أصابعه — فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ، ثم يلقيها الآخر الى من تحته . حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا ، كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء » .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحى أخذت السموات منه رجفة — أو قال : رعدة شديدة — خوفا من الله عز وجل ، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا . فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : « **قالوا الحق ، وهو العلى الكبير** »(١) .

فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل . فينتهى جبريل بالوحى الى حيث أمره الله عز وجل » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على ابطال الشرك ، خصوصا من تعلق على الصالحين ، وهى الآية التى قيل : انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله : « **قالوا الحق ، وهو العلى الكبير** » .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

---

(١) سبأ : ٢٣ .

الخامسة : أن جبريل هو الذى يجيبهم بعد ذلك بقوله : « قال كذا وكذا » .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقوله لأهل السموات كلهم ، لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشى يعم أهل السموات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السموات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى الى حيث أمره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضا .

الثالثة عشرة : ارسال الشهب .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها فى أذن وليه من الانس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق فى بعض الأحيان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعة عشرة : أنه لم يصدق كذبه ولا بتلك الكلمة التى سمعت عن السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة ؟ !

التاسعة عشرة : كونهم يلقى بعضهم الى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : اثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشى (كانا) خوفا من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرون لله سجدا .

* * *

باب الشفاعة

وقول الله تعالى : ((**وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع**))(١) .

وقوله : ((**قل لله الشفاعة جميعا**))(٢) .

وقوله : ((**من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه**))(٣) .

وقوله : ((**وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى**))(٤) .

وقوله : ((**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض**))(٥) الآيتين .

قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عونا لله ، ولم يبق الا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع الا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى : ((**ولا يشفعون الا لمن ارتضى**))(٦) .

فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون ، هى منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه يأتى فيسجد لربه ويحمده — لا يبدأ بالشفاعة أولا — ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع » .

وقال له أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة باذنه فى مواضع ، وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

---

(١) الأنعام : ٥١
(٢) الزمر : ٤٤
(٣) البقرة : ٢٥٥
(٤) النجم : ٢٦
(٥) سبأ : ٢٢
(٦) الأنبياء : ٢٨

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة . ذكر الشفاعة الكبرى ، وهى المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولا بل يسجد ، فاذا أذن الله له شفع .

السادسة : من أسعد الناس بها ؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

* * *

بـاب

قول الله تعالى : « **انك لا تهدى من احببت** »(١) الآية .

وفى الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله ابن أبى أمية وأبو جهل ، فقال له : يا عم .. قل لا اله الا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله . فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ! فأعاد عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا اله الا الله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل : « **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** »(٢) الآية .

وأنزل الله فى أبى طالب : « **انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** » .

---

(١) القصص : ٥٦ (٢) التوبة : ١١٣

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : **« انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء »**(١) .

الثانية : تفسير قوله : **« ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين »**(٢) الآية .

الثالثة : وهى المسألة الكبرى — تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : « قل : لا اله الا الله » بخلاف ما عليه من يدعى العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال للرجل : « قل لا اله الا الله » فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الاسلام .

الخامسة : جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته فى اسلام عمه .

السادسة : الرد على زعم اسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له ؛ بل نهى عن ذلك .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمبطلين فى ذلك ، لاستدلال أبى جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة : التأمل فى كبر هذه الشبهة فى قلوب الضالين . لأن فى القصة أنهم لم يجادلوه الا بها ، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها ، اقتصروا عليها .

* * *

---

(١) القصص : ٥٦

(٢) التوبة : ١١٣

باب

ما جاء ان سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين

وقول الله عز وجل : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم »(١) •

وفى « الصحيح » عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا »(٢) •

قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح • فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم ، عبدت » •

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم •

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ••• ولا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » أخرجاه ، ولمسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والغلو ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » • ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا •

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ، تبين له غربة الاسلام ، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب •

الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين •

الثالثة : أول شىء غير به دين الأنبياء ، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم •

---

(١) النساء : ١٧١ (٢) نوح : ٢٣

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها •

الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل : فالأول محبة الصالحين . والثانى فعل اناس من أهل العلم والدين شيئا ارادوا به خيرا . فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره •

السادسة : تفسير الآية التى فى سورة نوح •

السابعة : جبلة الآدمى فى كون الحق ينقص فى قلبه ، والباطل يزيد •

الثامنة : أن فيه شاهدا لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر •

التاسعه : معرفة الشيطان بما تئول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل •

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية ، وهى النهى عن الغلو ، ومعرفة ما يئول اليه •

الحادية عشرة : مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح •

الثانية عشرة : معرفة النهى عن التماثيل ، والحكمة فى ازالتها •

الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها •

الرابعة عشرة : وهى أعجب وأعجب : قراءتهم اياها فى كتب التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه ، فهو الكفر المبيح للدم والمال •

الخامسة عشرة : التصريح انهم لم يريدوا الا الشفاعة •

السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك •

السابعة عشرة : البيان العظيم فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم » فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين •

الثامنة عشرة : نصيحته ايانا بهلاك المتنطعين •

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تعبد حتى نسخ العلم . ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

* * *

باب
ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده ؟

فى الصحيح « عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح — أو العبد الصالح — بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور . أولئك شرار الخلق عند الله » فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

ولهما عنها : قالت : « لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا ، أخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل موته بخمس وهو يقول : « انى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل ، فان الله قد اتخذنى خليلا ، كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » .

فقد نهى عنه فى آخر حياته — ثم انه لعن — وهو فى السياق من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن مسجد ، وهو معنى قولها : خشى أن يتخذ مسجدا ، فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا . وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

« جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه أبو حاتم فى « صحيحه » •

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح • ولو صحت نية الفاعل •

الثانية : النهى عن التماثيل ، وغلظ الأمر فى ذلك •

الثالثة : العبرة فى مبالغته صلى الله عليه وسلم فى ذلك كيف بين لهم هذا أولا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقدم •

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر •

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم •

السادسة : لعنه اياهم على ذلك •

السابعة : أن مراده تحذيره ايانا عن قبره •

الثامنة : العلة فى عدم ابراز قبره •

التاسعة : فى معنى اتخاذها مسجدا •

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة الى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته •

الحادية عشرة : ذكره فى خطبته قبل موته بخمس : الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض السلف من الاثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة ، والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور • وهم أول من بنى عليها المساجد •

الثانية عشرة : ما بلى به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع •

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلة •

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة •

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة •

السادسة عشرة : الاشارة الى خلافته •

* * *

باب

ما جاء ان الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

روى مالك فى « الموطأ » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله تعالى : « **أفرأيتم اللات والعزى** »(١) قال : كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره • وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد ، والسرج ، رواه أهل السنن(٢) •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الأوثان •

الثانية : تفسير العبادة •

الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ الا مما يخاف وقوعه •

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد •

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله •

السادسة : وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان •

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح •

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية •

---

(١) النجم : ١٩

(٢) قال ناصر الدين اسناده ضعيف . لكن للجملة الاولى والثانية شواهد كثيرة ذكرتها فى « تحذير الساجد » .

التاسعة : لعنه زوارات القبور .

العاشرة : لعنه من أسرجها(١) .

* * *

بـاب

ما جاء فى حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم »(٢) الآية .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على . فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » رواه أبو داوود باسناد حسن ، ورواته ثقات . وعن على بن الحسين : أنه رأى رجلا يجىء الى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « لا تتخذوا قبرى عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا على ، فان تسليمكم يبلغنى أين كنتم » رواه البخارى .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الاكثار من الزيارة .

---

(١) لكن الحديث فى ذلك ضعيف كما سبق آنفا ، وليس له شاهد يقويه كما بينته فى « ارواء الغليل » فيكفى فى النهى عن ذلك أنه اضاعة للمال وتشبيه بالكفار .

(٢) التوبة : ١٢٨

السادسة : حثه على النافلة فى البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة .

الثامنة : تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد . فلا حاجة الى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم فى البرزخ تعرض أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه .

* * *

باب

ما جاء ان بعض هذه الامة يعبد الاوثان

وقول الله تعالى : « **الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت (١) والطاغوت** »(٢) .

وقوله تعالى : « **قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت** »(٣) .

وقوله تعالى : « **قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا** »(٤) .

عن أبى سعيد رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » . قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » ؟ — أخرجاه . ولمسلم عن ثوبان رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وانى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة . وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وان ربى قال:

---

(١) الجبت : كل من عبد من دون الله ، والكاهن ، والساحر ، والسحر

(٢) النساء : ٥١ (٣) المائدة : ٦٠

(٤) الكهف : ٢١

يا محمد .. اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وانى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها . حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا » ورواه البرقانى فى « صحيحه » وزاد : « وانما أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبد فئام من أمتى الأوثان ، وانه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبى بعدى . ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى »(١) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : — وهى أهمها — : معنى الايمان بالجبت والطاغوت فى هذا الموضع ؟ : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها ، مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة : قولهم : ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين .

السادسة : — وهى المقصود بالترجمة — أن هذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة ، كما تقرر فى حديث أبى سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها ، أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمة فى جموع كثيرة .

الثامنة : العجب العجاب خروج من يدعى النبوة ، مثل المختار ، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق وأن القرآن حق ، وفيه أن محمدا خاتم النبين ، ومع هذا يصدق فى

---

(١) رواه بهذه الزيادة أبو داوود أيضا بسند صحيح .

هذا كله مع التضاد الواضح . وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط الى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة . منها : اخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر . بخلاف الجنوب والشمال . واخباره بأنه أعطى الكنزين ، واخباره باجابة دعوته لأمته فى الاثنتين ، واخباره بأنه منع الثالثة ، واخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع اذا وقع ، واخباره باهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين ، واخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة ، واخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون فى العقول.

الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

* * *

باب

ما جاء فى السحر

وقول الله تعالى : « **ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق** »(١) .

وقوله : « **يؤمنون بالجبت والطاغوت** »(٢) .

قال عمر : « الجبت » : السحر ، « والطاغوت » : الشيطان

وقال جابر : الطواغيت : كهان كان ينزل عليهم الشيطان ، فى كل حى واحد .

---

(١) البقرة : ١٠٢ (٢) النساء : ٥١

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »(١) . وعن جندب مرفوعا : « حد الساحر ضربه بالسيف » . رواه الترمذى ، وقال : الصحيح أنه موقوف . وفى « صحيح البخارى » عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر ، وصح عن حفصة رضى الله عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ، فقتلت . وكذلك صح عن جندب . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .
الثانية : تفسير آية النساء .
الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت ، والفرق بينهما .
الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الانس .
الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى .
السادسة : أن الساحر يكفر .
السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .
الثامنة : وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده ؟ !

* * *

باب

بيان شيء من انواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان ابن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت » .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

قال عوف : العيافة : زجر الطير . والطرق . الخط يخط بالأرض. والجبت ، قال الحسن : رنة الشيطان . اسناده جيد ولأبى داوود والنسائى وابن حبان فى « صحيحه » المسند منه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » رواه أبو داوود ، واسناده صحيح .

وللنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل اليه » .

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا هل أنبئكم ما العضة ؟ هى التميمة ، القالة بين الناس » رواه مسلم .

ولهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من البيان لسحرا » .

فيه مسائل :

الأولى : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت .
الثانية : تفسير العيافة والطرق .
الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .
الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك .
الخامسة : أن النميمة من ذلك .
السادسة : أن من ذلك بعض الفصاحة .

* * *

باب

ما جاء فى الكهان ونحوهم

روى مسلم فى « صحيحه » عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه بما يقول ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » رواه أبو داوود . وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » ولأبى يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفا .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه مرفوعا : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسله » . رواه البزار باسناد جيد ، ورواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « ومن أتى .. » الى آخره .

قال البغوى : العراف : الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن والكاهن : هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل . وقيل الذى يخبر عما فى الضمير .

وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس — فى قوم يكتبون « أبا جاد » وينظرون فى النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق .

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

باب

ما جاء فى النشرة

عن جابر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة فقال : « هى من عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد . وأبو داوود، وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفى « البخارى » عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، انما يريدون به الاصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . اهـ .

وروى عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر الا ساحر .

قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهى نوعان : أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذى من عمل الشيطان . وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر الى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .

والثانية : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال .

* * *

باب

ما جاء فى التطير

وقول الله تعالى : **« الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون »**(١) .

وقوله : **« قالوا طائركم معكم »**(٢) الآية .

---

(١) الأعراف : ١٣١ (٢) يس : ١٩

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » أخرجاه : زاد مسلم : « ولا نوء ، ولا غول » .

ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل » قالوا : يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » .

ولأبى داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

وعن ابن مسعود مرفوعا : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك .. وما منا الا[1] ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه أبو داوود ، والترمذى وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ولأحمد من حديث ابن عمر : « ومن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : « أن تقول : اللهم لا خير الا خيرك ، ولا طير الا طيرك ، ولا اله غيرك » . وله من حديث الفضل ابن العباس رضى الله عنهما : انما الطيرة ما أمضاك أو ردك .

فيه مسائل :

الأولى : التنبيه على قوله : ((**الا انما طائرهم عند الله**))(٢) ، مع قوله : ((**طائركم معكم**))(٣) .

الثانية : نفى العدوى .

الثالثة : نفى الطيرة .

الرابعة : نفى الهامة .

الخامسة : نفى الصفر .

---

(١) فى هذا الحديث حذف يعرف بالقرينة ، اى : الا ويقع فى نفسه شىء .

(٢) الأعراف : ١٣١ (٣) يس : ١٩.

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب •

السابعة : تفسير الفأل •

الثامنة : أن الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل •

التاسعة : ذكر ما يقوله من وجده •

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك •

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة •

* * *

باب
ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى « صحيحه » : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها • فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به • ا • هـ •

وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه • ذكره حرب عنهما ، ورخص فى تعلم المنازل أحمد وإسحاق •

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر » رواه أحمد وابن حبان فى « صحيحه » •

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة فى خلق النجوم •

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك •

الثالثة : ذكر الخلاف فى تعلم المنازل •

الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشىء من السحر ولو عرف أنه باطل •

* * *

بـــاب
ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : « **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** »(١) .

عن أبى مالك الأشــعرى رضى الله عنه أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب . والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » . وقال : « النائحة ان لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليهـــا سربال من قطران ودرع من جرب » . رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : صلى لنا رســول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر ســماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هــل تدرون ماذا قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمتـــه ، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى ، مؤمن بالكواكب » .

ولهما من حديث ابن عباس معناه ، وفيــه ، قال بعضهم : لقــد صدق : نوء كــذا وكــذا . فانزل الله هــذه الآية : « **فلا أقســم بمواقــع النجوم** »(٢) الى قوله : « **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** »(٣) .

فيه مســائل :

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر فى بعضها .

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة .

الخامســة : قوله : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر » بسبب نزول النعمة .

---

(١) الواقعة : ٨٢
(٢) الواقعة : ٧٥
(٣) الواقعة : ٨٢

السادسة : التفطن للايمان فى هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر فى هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله : « لقد صدق نوء كذا وكذا » .

التاسعة : اخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها ، لقوله : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

العاشرة : وعيد النائحة .

* * *

بـاب

قول الله تعالى : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله »**(١) الآية . وقوله : **« قل ان كان آباؤكم وابناؤكم »** الى قوله : **« احب اليكم من الله ورسوله »**(٢) لآية .

عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجاه .

ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » وفى رواية « لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى .. » الى آخره .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : من أحب فى الله ، وأبغض فى الله . ووالى فى الله ، وعادى فى الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك . وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على اهله شيئا ، رواه ابن جرير . وقال ابن عباس فى قوله تعالى : **« وتقطعت بهم الأسباب »**(٣) قال : المودة .

---

(١) البقرة : ١٦٥ (٢) التوبة : ٢٤

(٣) البقرة : ١٦٦

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة •

الثانية : تفسير آية براءة •

الثالثة : وجوب محبته صلى الله عليه وسلم (وتقديمها) على النفس والأهل والمال •

الرابعة : أن نفى الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام •

الخامسة : أن للايمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها •

السادسة : أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله الا بها ، ولا يجد أحد طعم الايمان الا بها •

السابعة : فهم الصحابى للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا •

الثامنة : تفسير : « **وتقطعت بهم الأسباب** »⁽¹⁾ •

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا •

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية⁽²⁾ أحب اليه من دينه •

الحادية عشرة : أن من اتخذ ندا تساوى محبته محبة الله ، فهو الشرك الأكبر •

* * *

بـاب

قول الله تعالى : « **انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** »⁽³⁾ •

وقوله : « **انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله** »⁽⁴⁾ الآية .

---

(1) البقرة : ١٦٦

(2) يشير بذلك الى قوله تعالى : « **قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم ...** » التوبة ، ٢٤ •

(3) آل عمران : ١٧٥ (4) التوبة : ١٨

وقوله : « **ومن النـاس من يقول آمنا بالله ، فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** »(١) الآية .

عن أبى سعيد رضى الله عنه مرفوعا : « ان من ضـعف اليقين : أن ترضى الناس بسـخط الله ، وأن تحمـدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، ان رزق الله لا يجـره حـرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره » .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من التمس رضى الله بسـخط الناس ، رضى الله عنـه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسـخط الله ، سـخط الله عليـه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان فى « صحيحه » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت .

الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث(٢) .

السادسة : أن اخلاص الخوف لله من الفرائض

السابعة : ذكر ثواب من فعله .

الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

* * *

---

(١) العنكبوت : ١٠

(٢) يقصد حديث أبى سعيد المتقدم

باب

قول الله تعالى : ((**وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين**))(١) .

وقوله : ((**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم**))(٢) الآية .

وقوله : ((**يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**))(٣)

وقوله : ((**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**))(٤) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ((**حسبنا الله ونعم الوكيل**))(٥). قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : ((**ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**))(٦) .

رواه البخارى والنسائى .

فيه مسائل :

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الايمان .

الثالثة تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية فى آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة(٦) ، وأنها قول ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم فى الشدائد .

* * *

---

(١) المائدة : ٢٣

(٢) الانفال : ٢

(٣) الانفال : ٦٤

(٤) الطلاق : ٣

(٥) آل عمران : ١٧٣

(٦) وهى : ((**حسبنا الله ونعم الوكيل**))

باب

قول الله تعالى : ((افأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون))(١) .

وقوله : ((**ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون**))(٢) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر . فقال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « أكبر الكبائر : الاشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله » رواه عبد الرزاق .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الأعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله .

الرابعة : شدة الوعيد فى القنوط .

* * *

باب

من الايمان بالله الصبر على اقدار الله

وقول الله تعالى : ((**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**))(٣) .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم .

وفى « صحيح مسلم » عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت » . ولهما عن ابن مسعود مرفوعا : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

---

(١) الاعراف : ٩٩ (٢) الحجر : ٥٦

(٣) التغابن : ١١

وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا . واذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط » حسنه الترمذى .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية التغابن .

الثانية : أن هذا من الايمان بالله .

الثالثة : الطعن فى النسب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة ارادة الله بعبده الخير .

السادسة : ارادة الله به الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضى بالبلاء .

* * *

بـاب
ما جـاء فى الرياء

وقول الله تعالى : « **قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد** »(١) الآية .

وعن أبى هريرة مرفوعا : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى غيرى تركته وشركه » . رواه مسلم .

---

(١) الكهف : ١١٠ .

وعن أبي سعيد مرفوعا : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته ، لما يرى من نظر رجل » . رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم في رد العمل الصالح اذا دخله شيء لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب ، أنه تعالى خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله ، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل اليه .

* * *

بـاب

من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : **« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها »** (١) الآيتين .

في « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة(٢) ، تعس عبد الخميلة(٣) ، ان أعطي رضي ، وان لم يعط

---

(١) هود : ١٥ ، ١٦

(٢) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٣) الخميلة : القطيفة ، والثوب المخمل ، كالكساء .

سخط . تعس وانتكس ، واذا شيك فلا انتقش(١) . طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وان كان فى الساقة كان فى الساقة . ان استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع » .

فيه مسائل :

الأولى : ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الانسان المسلم : عبد الدينار والدرهم والخميصة والقطيفة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه ان أعطى رضى ، وان لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : « تعس وانتكس » .

السادسة : قوله : « واذا شيك فلا انتقش » .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

* * *

باب

من اطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما احل الله او تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم اربابا من دون الله

وقال ابن عباس : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟ !

وقال الامام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون الى راى سفيان ، والله تعالى يقول : « **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »(٢) .

---

(١) أى اذا أصابته شوكة فلا يقدر على اخراجها بالمناقيش ، وهى جملة دعائية .

(٢) النور : ٦٣

أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعله اذا رد بعض قوله ان يقع فى قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

عن عدى بن حاتم : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية : « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله** » الآية . فقلت له : انا لسنا نعبدهم قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله ، فتحلونه ؟ » فقلت : بلى ، قال : « فتلك عبادتهم » رواه أحمد ، والترمذى وحسنه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التى أنكرها عدى .

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .

الخامسة : تغير الأحوال الى هذه الغاية ، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال ، وتسمى الولاية . وعبادة الأحبار ، هى العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال الى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين .

* * *

بـاب

قول الله تعالى : « **الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا** »(٢) الآيات .

وقوله : « **واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون** »(٣) .

وقوله : « **ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها**»(٤) الآية .

وقوله : « **افحكم الجاهلية يبغون** »(٥) الآية .

---

(١) التوبة : ٣١

(٢) النساء : ٦٠

(٣) البقرة ١١

(٤) الاعراف : ٥٦

(٥) المائدة : ٥٠

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » قال النووى : حديث صحيح ، رويناه فى كتاب « الحجة » باسناد صحيح .

وقال الشعبى : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : نتحاكم الى محمد — لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة — وقال المنافق : نتحاكم الى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهنا فى جهينة فيتحاكما اليه ، فنزلت : « **الم تر الى الذين يزعمون ..** »(١) الآية .

وقيل : نزلت فى رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : الى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا الى عمر ، فذكر له أحدهما القصة . فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت .

الثانية : تفسير آية البقرة : « **واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض** »(٢) .

الثالثة : تفسير آية الاعراف : « **ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها** »(٣) .

الرابعة : تفسير : « **أفحكم الجاهلية يبغون** »(٤) .

الخامسة : ما قاله الشعبى فى نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثامنة : كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) النساء : ٦٠.
(٢) البقرة : ١١
(٣) الاعراف : ٥٦
(٤) المائدة : ٥٠

باب

من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : ((**وهم يكفرون بالرحمن**))(١) الآية .

وفي ((صحيح البخاري)) قال علي : ((حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟)) .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس : أنه رأى رجلا انتفض ـ لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات ، استنكارا لذلك ـ فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه)) انتهى .

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر : ((الرحمن)) أنكروا ذلك . فأنزل الله فيهم : ((**وهم يكفرون بالرحمن**))(٢) .

فيه مسائل :

الأولى : عدم الايمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحدث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر العلة أنه يفضي الى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يتعمد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك . وأنه هالكه .

* * *

باب

قول الله تعالى : ((**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون**))(٣) .

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي .

---

(١) الرعد : ٣٠
(٢) الرعد : ٣٠
(٣) النحل : ٨٣

وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا .

وقال أبو العباس — بعد حديث زيد بن خالد الذى فيه : « ان الله تعالى قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ... » الحديث ، وقد تقدم — وهذا كثير فى الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف انعامه الى غيره ، ويشرك به .

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وانكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير .

الثالثة : تسمية هذا الكلام انكارا للنعمة .

الرابعة : اجتماع التضدين فى القلب .

* * *

بـاب

قول الله تعالى : « **فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون** »(١) .

قال ابن عباس فى الآية : الأنداد : هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان وحياتى . وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط فى الدار لأتانا اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلانا هذا كله به شرك » رواه ابن أبى حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن رسول لله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بغير الله فقد كفر — أو أشرك — » رواه

---

(١) البقرة : ٢٢

الترمذى وحسنه ، وصححه الحاكم • وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذبا أحب الى من أن أحلف بغيره صادقا •

وعن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داوود بسند صحيح •

وجاء عن ابراهيم النخعى ، أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك • قال : ويقول : لولا الله ثم فلان • ولا تقولوا : لولا الله وفلان •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة فى الأنداد •

الثانية : أن الصحابة رضى الله عنهم يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر •

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك •

الرابعة : أنه اذا حلف بغير الله صادقا ، فهو أكبر من اليمين الغموس •

الخامسة : الفرق بين « الواو » و « ثم » فى اللفظ •

* * *

باب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، ومن حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض • ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن •

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن الحلف بالآباء •

الثانية : الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى •

الثالثة : وعيد من لم يرض •

* * *

بـاب
قـول ما شـاء الله وشـئت

عن قتيلة ، أن يهوديا أتى النبى صلى الله عليه وسـلم فقال : انكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشـئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت • رواه النسائى وصححه •

وله أيضا عن ابن عباس : أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتنى لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » •

ولابن ماجـه عن الطفيل أخى عائشة لأمها قال : رأيت كأنى أتيت على نفر من اليهود ، قلت : انكم لأنتم القـوم ، لولا أنكم تقـولون : عزير ابن الله • قالوا : وأنتم لأنتم القـــوم ، لولا أنكم تقـولون : ما شاء الله وشاء محمد • ثم مررت بنفـر من النصارى فقلت : انكـم القوم ، لولا أنكم تقـولون : المسيـــح ابن الله • قالوا : وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شـاء الله وشـاء محمد • فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبى صلى الله عليـه وسلم فأخبرته • قال : « هل أخبرت بها أحـدا ؟ » قلت : نعم • قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد •• فان طفيلا رأى رؤيا ، أخبر بهـا من أخبر منكم ، وأنكم قلتم كلمـة كان يمنعنى كذا وكذا أن أنهـاكم عنهـا • فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » •

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر •

الثانية : فهم الانسان اذا كان له هوى •

الثالثة : قـــوله صلى الله عليه وسـلم : « أجعلتنى لله ندا » ؟ فكيف بمن قال :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به سـواك ••• والبيتين بعده ؟

الرابعة : أن هـــذا ليس من الشرك الأكبر ، لقـوله : « يمنعنى كذا وكذا » •

الخامسة : أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام •

* * *

بـــاب

من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : ((**وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر**))(١) الآية .

فى ((الصحيح)) عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((قال الله تعالى : يؤذينى ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار)) وفى رواية : ((لا تسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر)) .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن سب الدهر .

الثانية : تسميته أذى لله .

الثالثة : التأمل فى قوله : ((فان الله هو الدهر)) .

الرابعة : أنه قد يكون سابا ولو لم يقصده بقلبه .

* * *

بـــاب

التسمى بقاضى القضاة ونحوه

فى ((الصحيح)) عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((ان أخنع اسم عند الله ، رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك الا الله)) قال سفيان : مثل ((شاهان شاه)) .

وفى رواية : ((أخنع)) يعنى أوضع .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن التسمى بملك الأملاك .

---

(١) الجاثية : ٢٤

الثانية : التفطن للتغليظ فى هذا ونحوه ، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه •

الرابعة : التفطن أن هذا الاجلال لله سبحانه •

* * *

باب
احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبى شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله هو الحكم ، واليه الحكم » ، فقال : ان قومى اذا اختلفوا فى شىء أتونى ، فحكمت بينهم ، فرضى كلا الفريقين • فقال : « ما أحسن هذا ! فما لك من الولد » ؟ قلت : شريح ومسلم وعبد الله • قال فمن أكبرهم ؟ قلت : شريح ، قال : « فأنت أبو شريح » رواه أبو داوود وغيره •

فيه مسائل :

الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه •

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك •

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية •

* * *

باب
من هزل بشىء فيه ذكر الله او القرآن او الرسول

وقول الله تعالى : « **ولئن سالتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب** »(١) الآية .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة — دخل حديث بعضهم فى بعض — : أنه قال رجل فى غزوة تبوك : ما رأينا

---

(١) التوبة : ٦٥

مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء — يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء — فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه . فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله .. انما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب ، نقطع به عنا الطريق . فقال ابن عمر : كأنى انظر اليه متعلقا بنسعة(١) ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الحجارة تنكب رجليه — وهو يقول : انما كنا نخوض ونلعب — فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**))(٢) ما يلتفت اليه وما يزيده عليه .

فيه مسائل :

الأولى : وهى العظيمة ، أن من هزل بهذا فهو كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان .

الثالثة : الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الأعذار ما لا ينبغى أن يقبل .

* * *

بـــاب

ما جاء فى قول الله تعالى : ((**ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى**))(٣) الآية .

قال مجاهد : هذا بعملى وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندى .

---

(١) النسع جمع نسعة : وهو سير عريض تشد به الرحال .

(٢) التوبة : ٦٥ (٣) فصلت : ٥٠

وقوله : « قال انما أوتيته على علم عندى »(١) . قال قتادة : على علم منى بوجوده المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أنى له أهل . وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان ثلاثة من بنى اسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى . فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث اليهم ملكا ، فأتى الابرص ، فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عنى الذى قذرنى الناس (به) قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا . قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الابل — أو البقر — شك اسحاق — فأعطى ناقة عشراء ، وقال بارك الله لك فيها . قال : فأتى الأقرع فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال شعر حسن ، ويذهب عنى الذى قذرنى الناس (به)(٢) فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطى شعرا حسنا . فقال : أى المال أحب اليك ؟ قال : البقر — أو الابل — فأعطى بقرة حاملا ، قال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى ، فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله الى بصرى ، فأبصر به الناس ، فمسحه ، فرد الله اليه بصره ، قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الغنم . فأعطى شاة والدا ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الابل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . قال : ثم انه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بعيرا اتبلغ به فى سفرى ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا ، فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر . فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . قال : وأتى الأقرع فى صورته ،

---

(١) القصص : ٧٨

(٢) كلمة (به) ليست فى « الصحيحين » هنا ولا فيما بعدها ، ولعلها تفسير .

فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . وأتى الأعمى فى صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ، فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك . أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى . فقال : كنت أعمى فرد الله الى بصرى ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله . فقال : أمسك مالك ، فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك ، وسخط على صاحبيك » أخرجاه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى : « **ليقولن هذا لى** »(١) .

الثالثة : ما معنى قوله : « **أوتيته على علم عندى** »(٢) .

الرابعة : ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

* * *

باب

قول الله تعالى : « **فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما** »(٣) الآية .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله ، كعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب(٤) .

وعن ابن عباس فى الآية قال : لما تغشاها آدم حملت ، فأتاهما ابليس فقال : انى صاحبكما الذى أخرجتكما من الجنة ، لتطيعانى أو لأجعلن له قرنى أيل ، فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن — يخوفهما — سمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت ، فأتاهما ، فقال مثل قوله ، وأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت ، فأتاهما ، فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه

---

(١) فصلت : ٥٠ .
(٢) القصص : ٧٨
(٣) الأعراف : ١٩٠ .
(٤) أى لم يتفقوا بل اختلفوا على تحريم هذا الاسم .

عبد الحارث فذلك قوله تعالى : « **جعلا له شركاء فيما آتاهما** » رواه ابن أبى حاتم •

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء فى طاعته ، ولم يكن فى عبادته . وله بسند صحيح عن مجاهد فى قوله : « **لئن آتيتنا صالحا** »(١) •

قال : أشفقا أن لا يكون انسانا ، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما •

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله •

الثانية : تفسير الآية •

الثالثة : أن هذا الشرك فى مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها •

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية ، من النعم •

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك فى الطاعة ، والشرك فى العبادة •

* * *

باب

قول الله تعالى : « **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه** »(٢) الآية .

ذكر ابن أبى حاتم عن ابن عباس : « **يلحدون فى اسمائه** » يشركون • وعنه : سموا اللات من الاله ، والعزى من العزيز ، وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها •

فيه مسائل :

الأولى : اثبات الأسماء •

الثانية : كونها حسنى •

---

(١) الأعراف : ١٨٩

(٢) الأعراف : ١٨٠

الثالثة : الأمر بدعائه .

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة : تفسير الالحاد فيها .

السادسة : وعيد من ألحد .

* * *

باب

لا يقال : السلام على الله

فى « الصحيح » عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا اذا كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده . السلام على فلان ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا السلام على الله ، فان الله هو السلام » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام .

الثانية : أنه تحية .

الثالثة : أنها لا تصلح لله .

الرابعة : العلة فى ذلك .

الخامسة : تعليمهم التحية التى تصلح لله .

* * *

باب

قول : اللهم اغفر لى ان شئت

فى « الصحيح » عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقول أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة ، فان الله لا مكره له » . ولمسلم : « وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شىء أعطاه » .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن الاستثناء فى الدعاء .

الثانية : بيان العلة فى ذلك .

الثالثة : قوله يعزم المسألة .

الرابعة : اعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

* * *

باب
لا يقول عبدى وأمتى

فى « الصحيح » عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضىء ربك . وليقل سيدى ومولاى . ولا يقل أحدكم : عبدى وأمتى . وليقل : فتاى وفتاتى وغلامى » .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن قول : عبدى وأمتى .

الثانية : لا يقول العبد : ربى ، ولا يقال له : أطعم ربك .

الثالثة : تعليم الأول قول : فتاى وفتاتى وغلامى .

الرابعة : تعليم الثانى قول : سيدى ومولاى .

الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ .

* * *

باب
لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن

صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داوود والنسائي بسند صحيح .

فيه مسائل :

الأولى : اعاذة من استعاذ بالله .

الثانية : اعطاء من سأل بالله .

الثالثة : اجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنيعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر الا عليه .

السادسة : قوله : « حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

* * *

باب

لا يسئل بوجه الله الا الجنة

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسئل بوجه الله الا الجنة » رواه أبو داوود .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسئل بوجه الله الا غاية المطالب .

الثانية : اثبات صفة الوجه .

* * *

باب

ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : « **يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا** »(١) .

---

(١) آل عمران : ١٥٤

وقوله : « **الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا** »(١) الآية •

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزن •• وان أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان « لو » تفتح عمل الشيطان » •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران •

الثانية : النهي الصريح عن قول « لو » اذا أصابك شيء •

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان •

الرابعة : الارشاد الى الكلام الحسن •

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله •

السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز •

* * *

باب

النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا الريح ، فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم انا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به ». صححه الترمذي •

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سبب الريح •

---

(١) آل عمران : ١٦٨

الثانية : الارشاد الى الكلام النافع اذا رأى الانسان ما يكره •

الثالثة : الارشاد الى أنها مأمورة •

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر •

* * *

باب

قول الله تعالى : **((يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل ان الأمر كله لله))(١) الآية** . وقوله : **((الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء))(٢) الآية** .

قال ابن القيم فى الآية الأولى : فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وفسر أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بانكار الحكمة ، وانكار القدر ، وانكار أن يتم أمر رسوله ، وأن يظهره على الدين كله • وهذا هو ظن السوء الذى ظنه المنافقون والمشركون فى سورة الفتح ، وانما كان هذا ظن السوء • لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق ، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق ادالة مستقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا •

((فويل للذين كفروا من النار))(٣) •

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك الا من عرف الله وأسماءه وصفاته ، وموجب حكمته وحمده •

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب الى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك : هل أنت سالم ؟

---

(١) آل عمران : ١٥٤

(٢) الفتح : ٦

(٣) سورة ص : ٢٧

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة ، والا فانى لا أخالك ناجيا •

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران •

الثانية : تفسير آية الفتح •

الثالثة : الاخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر •

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك الا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه •

* * *

باب

ما جاء فى منكرى القدر

وقال ابن عمر : والذى نفس ابن عمر بيده : لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ، ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر • ثم استدل بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الايمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم •

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بنى •• انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب • فقال : رب •• وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة » يا بنى •• سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات على غير هذا فليس منى » •

وفى رواية لأحمد : « أن أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » •

وفى رواية لابن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ••• فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » •

وفى « المسند » و « السنن » عن ابن الديلمى قال : أتيت أبى ابن كعب ، فقلت : فى نفسى شىء من القدر ، فحدثنى بشىء لعل الله يذهبه من قلبى ، فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثنى بمثل ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم . حديث صحيح رواه الحاكم فى « صحيحه »(١) .

فيه مسائل :

الأولى : بيان فرض الايمان بالقدر .

الثانية : بيان كيفية الايمان به .

الثالثة : احباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الاخبار بأن أحدا لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .

السادسة : أنه جرى بالمقادير فى تلك الساعة الى قيام الساعة .

السابعة : براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به .

الثامنة : عادة السلف فى ازالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه الشبهة ، وذلك أنهم نسبوا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .

* * *

باب

ما جاء فى المصورين

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة » أخرجاه .

---

(١) أى فى « مستدركه » .

ولهما عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله » .

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها فى جهنم » .

ولهما عنه مرفوعا : « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ » .

ولمسلم عن أبى الهياج قال : قال لى على : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة الا طمستها ، ولا قبرا مشرفا الا سويته .

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ الشديد فى المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة ، وهو ترك الأدب مع الله لقوله : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله : « فليخلقوا ذرة أو شعيرة » .

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذابا .

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة صورها نفسا يعذب بها فى جهنم .

السادسة : أن يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة : الأمر بطمسها اذا وجدت .

* * *

بـــــاب

ما جاء فى كثرة الحلف

وقول الله تعالى : « واحفظوا أيمانكم »[١] .

عن أبى هريرة رضى الله عنـــه قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب » أخرجـــاه .

وعن سلمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : « ثلاثـــة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عـــذاب أليم : أشـــيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشترى الا بيمينـــه ولا يبيع الا بيمينه » رواه الطبرانى بسند صحيح .

وفى « الصحيح » عن عمـــران بن حصـــين رضى الله عنـــه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « خـــير أمتى قـــرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم — قال عمران : فلا أدرى اذكر بعـــد قـــرنه مرتين أو ثلاثا ؟ — ثم ان بعـــدكم قوما يشـــهدون ولا يستشـــهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

وفيه عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خـــير النـــاس قـــرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثـــم يجىء قـــوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » .

قال ابراهيم : كانوا يضربونا على الشـــهادة والعهد ونحن صغار .

فيه مســـائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشترى الا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعى .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثنـــاؤه صلى الله عليـــه وسلم على القـــرون الثلاثة ، أو الأربعة ، وذكر ما يحدث بعدهم .

---

[١] المـــائدة : ٨٩

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون على الشهادة والعهد .

* * *

باب

ما جاء فى ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى : « **وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** »(١) الآية .

عن بريدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، فقال : « اغزوا بسم الله ، فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ؛ فان أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان أبوا فاسألهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه ، واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك . فانك لا تدرى : أتصيب حكم الله فيهم أو لا » ؟ رواه مسلم .

---

(١) النحل : ٩١

فيه مسائل :

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين •

الثانية : الارشاد الى أقل الأمرين خطرا •

الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله فى سبيل الله » •

الرابعة : قوله : « قاتلوا من كفر بالله » •

الخامسة : قوله : « استعن بالله وقاتلهم » •

السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء •

السابعة : كون الصحابى يحكم عند الحاجة بحكم لا يدرى أيوافق حكم الله أم لا ؟

* * *

بـاب

ما جاء فى الاقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان ؟ انى قد غفرت له وأحبطت عملك » رواه مسلم •

وفى حديث أبى هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته •

فيه مسائل :

الأولى : التحذير من التألى على الله •

الثانية : كون النار أقرب الى أحدنا من شراك نعله •

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك •

الرابعة : فيه شاهد لقوله : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ••• » الخ •

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور اليه •

* * *

باب

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. نهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! سبحان الله » فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ويحك ، اتدرى ما الله ؟ ان شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » وذكر الحديث . رواه أبو داوود .

فيه مسائل :

الأولى : انكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغيره تغيرا عرف فى وجوه أصحابه من هذه الكلمة .

الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : « نستشفع بك على الله » .

الرابعة : أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .

* * *

باب

ما جاء فى حماية النبى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير ، قال : انطلقت فى وفد بنى عامر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أبو داوود بسند جيد .

عن أنس رضى الله عنه ، أن ناسا قالوا : يا رسول الله .. يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « يا أيها الناس ..

قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد ، عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد •

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلو •

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا •

الثالثة : قوله : « ولا يستجرينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا الا الحق •

الرابعة : قوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي » •

* * *

بـاب

ما جاء في قول الله تعالى : « **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة** »[1] الآية .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر من الأحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد •• انا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة** » الآية .

وفي رواية لمسلم : « والجبال والشجر على اصبع ، ثم يهزهن فيقول : انا الملك ، أنا الله » وفي رواية للبخاري : « يجعل السموات على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع » أخرجاه •

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا : « يطوى الله السموات يوم القيامة . ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين

---

[1] الزمر : ٦٧

المتكبرون ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون » ؟

وروى عن ابن عباس ، قال : ما السموات السبع والأرضون السبع فى كف الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس ، أنبأنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثنى أبى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما السموات السبع فى الكرسى الا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس » . قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما الكرسى فى العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض » .

وعن ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام ، وبين الكرسى والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شىء من أعمالكم . أخرجه ابن مهدى عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودى عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قاله الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق . وعن العباس ابن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون كم بين السماء والأرض » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء خمسمائة سنة ، وبين السماعة السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شىء من أعمال بنى آدم » أخرجه أبو داوود وغيره(١) .

---

(١) ولكن ذكر ان المسافة بين كل سماء ٧١ أو ٧٢ او ٧٣ سنة ، لا خمسمائة ، رواه احمد بلفظ (خمسمائة) كما فى الكتاب وفى سند الحديث مجهول ، وهو علته ، وليست العلة ابن ابى ثور كما ظن السيد رشيد رضا فانه قد توبع ، كما بينه الشيخ احمد شاكر فى التعليق على المسند ١٧٧٠ و١٧٧١ ، ولكنه خفيت علة الحديث الحقيقية فصححه .

فيه مسائل :

الاولى : تفسير قوله : « **الأرض جميعا قبضته يوم القيامة** »(١) .

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه صلى الله عليه وسلم لم ينكروها ولم يأولوها .

الثالثة : أن الحبر لما ذكرها للنبى صلى الله عليه وسلم صدقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم .

الخامسة : التصريح بذكر اليدين ، وأن السموات فى اليد اليمنى ، والأرضين فى اليد الأخرى .

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله : « كخردلة فى كف أحدكم » .

التاسعة : عظم الكرسى بالنسبة الى السموات .

العاشرة : عظم العرش بالنسبة الى الكرسى .

الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسى والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء الى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والعرش .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسى والماء .

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

---

(١) الزمر : ٦٨

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : أن البحر الذى فوق السموات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علي محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

* * *

الرسالة الحادية عشرة :

حكم موالاة أهل الاشراك

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك لله ان الانسان اذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ، ومداراة لهم ، ومداهنة لدفع شرهم ، فانه كافر مثلهم ، وان كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الاسلام والمسلمين . هذا اذا لم يقع منه الا ذلك ، فكيف اذا كان فى دار منعة ، واستدعى بهم ، ودخل فى طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل ، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعدما كان من جنود الاخلاص والتوحيد وأهله ؟! فان هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستثنى من ذلك الا المكره ، وهو الذى يستولى عليه المشركون فيقولون له : اكفر ، أو افعل كذا ، والا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم ، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان . وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا ، أنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا فى الدنيا ؟!

وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده .

الدليل الأول : قوله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم »(١) .

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى ، وكذلك المشركون ، لا يرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتبع ملتهم ، ويشهد أنهم على حق . ثم قال تعالى : **« قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير »(١)** وفى الآية الأخرى : **« انك اذن لمن الظالمين »(٢)** .

فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يوافقهم على دينهم ظاهرا من غير عقيدة القلب ، لكن خوفا من شرهم ومداهنة ، كان من الظالمين ، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم ؟! فانهم لا يرضون الا بذلك .

---

(١) البقرة : ١٢٠ . (٢) البقرة : ١٤٥

الدليل الثانى : قوله تبارك وتعالى : **((ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون))(١) .**

فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم ان استطاعوا ؛ ولم يرخص فى موافقتهم خوفا على النفس والمال والحرمة ، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد ، فان مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فانه من أهل النار الخالدين فيها ، فكيف بمن وافقهم من غير قتال ؟! فاذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له ، عرفت أن الذين يأتون اليهم يسارعون فى الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال ، أنهم أولى بعدم العذر ، وأنهم كفار مرتدون .

والدليل الثالث : قوله تبارك وتعالى : **((لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة))(٢) .**

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابا من دون المؤمنين وان كانوا خائفين منهم ، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله فى شىء ، أى لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة فى الآخرة ، الا أن تتقوا منهم تقاة ، وهو أن يكون الانسان مقهورا معهم لا يقدر على عداوتهم ، فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالبغضاء والعداوة ، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر ، استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله ، فما جعل الله الخوف منهم عذرا ، بل قال تعالى : **((انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين))(٣) .**

الدليل الرابع : قوله تعالى : **((يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين))(٤) .**

---

(١) البقرة : ٢١٧
(٢) آل عمران : ٢٨
(٣) آل عمران : ١٧٥
(٤) آل عمران : ١٤٩

فأخبر تعالى أن المؤمنين ان أطاعوا الكفار فلابد أن يردوهم على أعقابهم عن الاسلام ، فانهم لا يقنعون منهم بدون الكفر ، وأخبر أنهم ان فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين فى الدنيا والآخرة ، ولم يرخص فى موافقتهم وطاعتهم خوفا منهم ، وهذا هو الواقع ، فانهم لا يقنعون ممن وافقهم الا بشهادة أنهم على حق ، واظهار العداوة والبغضاء للمسلمين ، وقطع اليد منهم . ثم قال : ((**بل الله مولاكم وهو خير الناصرين**))(١) .

فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم ، وهو خير الناصرين ففى ولايته وطاعته غنية وكفاية عن طاعة الكفار ، فياحسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ، ونشأوا فيه ، ودانوا به زمانا ، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين ، وخير الناصرين ، الى ولاية القباب وأهلها ، ورضوا بها بدلا عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء ؟! بئس للظالمين بدلا .

الدليل الخامس : قوله تعالى : ((**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**))(٢) .

فأخبر تعالى أنه لا يستوى من اتبع رضوان الله ، ومن اتبع ما يسخطه ، ومأواه جهنم يوم القيامة . ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها ، وكون الانسان من أهلها ، من رضوان الله ، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله ، فلا يستوى عند الله من نصر توحيده ودعوته بالاخلاص وكان مع المؤمنين ، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات ، وكان مع المشركين . فان قالوا : خفنا . قيل لهم : كذبتم . وأيضا فما جعل الله الخوف عذرا فى اتباع ما يسخطه ، واجتناب ما يرضيه وكثير من أهل الباطل انما يتركون الحق خوفا من زوال دنياهم والا فيعرفون الحق ويعتقدونه ، ولم يكونوا بذلك مسلمين .

الدليل السادس : قوله تعالى : ((**ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم ، وساءت مصيرا**))(٣) .

---

(١) آل عمران : ١٥٠

(٢) آل عمران : ١٦٢

(٣) النساء : ٩٧

أى فى أى فريق كنتم ، أفى فريق المسلمين ، أم فى فريق المشركين ؟ فاعتذروا عن كونهم ليسوا فى فريق المسلمين بالاستضعاف ، فلم تعذرهم الملائكة ، وقالوا لهم : **((ألم تكن أرض الله الواسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا))**(١) •

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين ، وفى فريقهم وجماعتهم هذا مع أن الآية نزلت فى أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة ، فلما خرج المشركون الى بدر أكرهوهم على الخروج معهم ، فخرجوا خائفين ، فقتلهم المسلمون يوم بدر ، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا : قتلنا اخواننا ، فأنزل الله فيهم هذه الآية • فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الاسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم ، ودخلوا فى طاعتهم ، وآووهم ونصروهم ، وخذلوا أهل التوحيد ، واتبعوا غير سبيلهم ، وخطؤوهم ، وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم ، والاستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم فى ثباتهم على التوحيد ، والصبر عليه ، وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعا لا كرها ، واختيارا لا اضطرارا ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحا بالوطن ، وخوفا من الكفار ، وخرجوا فى جيشهم مكرهين خائفين • فان قال قائل : هلا كان الاكراه على الخروج عذرا للذين قتلوا يوم بدر ؟ قيل : لا يكون عذرا ، لأنهم فى أول الأمر لم يكونوا معذورين اذا قاموا مع الكفار ، فلا يعذرون بعد ذلك بالاكراه ، لأنهم السبب فى ذلك قاموا معهم وتركوا الهجرة •

الدليل السابع : قوله تعالى : **((وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذن مثلهم))**(٢) •

فذكر الله تعالى أنه نزل على المؤمنين فى الكتاب أنهم اذا سمعوا آيات الله يكفر بها ، ويستهزأ بها ، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره • وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله ؛ المستهزئين

---

(١) النساء : ٩٧ (٢) النساء : ١٤٠.

بها فى حال كفرهم واستهزائهم ، فهو مثلهم . ولم يفرق بين الخائف وغيره . الا المكره ، هذا وهم فى بلد واحد فى أول الاسلام ، فكيف بمن كان فى سعة الاسلام وعزه وبلاده : فدعا الكافرين بآيات الله ، المستهزئين بها الى بلاده ، واتخذوهم أولياء وأصحابا وجلساء . وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم ، وطرد أهل التوحيد وأبعدهم ؟

الدليل الثامن : قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين »**(١) .

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذهم اليهود والنصارى أولياء . وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم . وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان فهو منهم ، فان جادل مجادل فى أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك ، وأن أهلها ليسوا بمشركين ، بان أمره واتضح عناده وكفره . ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره : بل أخبر تعالى أن الذين فى قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفا من الدوائر . وهكذا حال هؤلاء المرتدين ، خافوا من الدوائر لما فى قلوبهم من عدم الايمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد ، فبادروا وسارعوا الى أهل الشرك ، خوفا أن تصيبهم دائرة . قال الله تعالى : **« فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين »**(٢) .

الدليل التاسع : قوله تعالى : **« ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون »**(٣) فذكر الله تعالى ان موالاة الكفار موجبة لسخط الله ، والخلود فى العذاب بمجردها ، وان كان الانسان خائفا . الا من أكره بشرطه ، فكيف اذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح ، وهو معاداة التوحيد وأهله ، والمعاونة على زوال دعوة الله بالاخلاص ، وعلى تثبيت دعوة غيره ؟!

الدليل العاشر : قوله تعالى : **« ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى .**

---

(١) المائدة : ٥١ (٢) المائدة : ٥٢

(٣) المائدة : ٨٠

وما انزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون »(١) . فذكر تعالى ان موالاة الكفار منافية للايمان بالله والنبى صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه . ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقون ، ولم يفرق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف ، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون ، فجرهم ذلك الى موالاة الكفار ، والردة عن الاسلام ، نعوذ بالله من ذلك .

الدليل الحادى عشر : قوله تعالى : « **وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون »**(٢) . وهذه الآية نزلت لما قال المشركون : تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله ، فأنزل الله هذه الآية . فاذا كان من أطاع المشركين فى تحليل الميتة مشركا من غير فرق بين الخائف وغيره الا المكره . فكيف بمن أطاعهم فى تحليل موالاتهم ، والكون معهم ونصرهم ، والشهادة أنهم على حق ، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم ، والخروج عن جماعة المسلمين الى جماعة المشركين ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال .

الدليل الثانى عشر : قوله تعالى : « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين »**(٣) وهذه الآية نزلت فى عالم عابد فى زمان بنى اسرائيل ، يقال له بلعام ، وكان يعلم الاسم الأعظم .

قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، لما نزل بهم موسى عليه السلام — يعنى بالجبارين — أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : ان موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وأنه ان يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه . قال : انى ان دعوت ذهبت دنياى وآخرتى ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله مما كان عليه . فذلك قوله تعالى : « **فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين** » .

وقال ابن زيد : كان هواه مع القوم ، يعنى الذين حاربوا موسى وقومه ، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله ، بعد أن أعطاه

---

(١) المائدة : ٨١ (٢) الأنعام : ١٢١

(٣) الأعراف : ١٧٥

الله اياها . وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها . أى ترك العمل بها ، وذكر فى انسلاخه منها ما معناه أنه مظاهرة المشركين ومعاونتهم برأيه : والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه . أن يردهم الله عن قومه خوفا على قومه وشفقة عليهم ، مع كونه يعرف الحق ، ويشهد به ، ويتعبد . ولكن صده عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه واخلاده الى الأرض ؛ فكان هذا انسلاخا من آيات الله تعالى . وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين ، وأعظم . فان الله أعطاهم آياته التى فيها الأمر بالتوحيد ، ودعوته وحده لا شريك له ، والنهى عن الشرك به ودعوة غيره ، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم ، والاعتصام بحبل الله جميعا ، والكون مع المؤمنين ، والأمر بمعاداة المشركين ، وبغضهم وجهادهم وفراقهم ، والأمر بهدم الأوثان ، وازالة القحاب(١) واللواط والمنكرات ، وعرفوها وأقروا بها ؛ ثم انسلخوا من ذلك كله ، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هم مثله .

الدليل الثالث عشر : قوله تعالى : ((**ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**))(٢) .

فذكر تعالى أن الركون الى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسيس النار ؛ ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره الا المكره . فكيف بمن اتخذ الركون اليهم دينا ورأيا حسنا ، وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأى ، وأحب زوال التوحيد وأهله ، واستيلاء أهل الشرك عليهم ؟! فان هذا أعظم الكفر والركون .

الدليل الرابع عشر : قوله تعالى : ((**من كفر بالله من بعد ايمانه الا من آكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين**))(٣) فحكم تعالى حكما لا يبدل أن من رجع عن دينه الى الكفر ، فهو كافر ، سواء كان له عذر خوفا على نفس أو مال أو أهل ، أم لا ، وسواء كفر بباطنه أم بظاهره

---

(١) القحاب : جمع قحبة ، وهى البغى الفاجر .

(٢) هود : ١١ (٣) النحل : ١٠٦ ، ١٠٧

دون باطنه ، وسواء كفر بفعاله ومقاله ، أو بأحدهما دون الآخر ، وسواء كان طامعا فى دنيا ينالها من المشركين أم لا . فهو كافر على كل حال ، الا المكره ، وهو فى لغتنا : المغصوب ، فاذا أكره الانسان على الكفر وقيل له : اكفر والا قتلناك أوضربناك ، أو أخذه المشركون فضربوه ، ولم يمكنه التخلص الا بموافقتهم ؛ جاز له موافقتهم فى الظاهر ، بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالايمان ، أى ثابتا عليه ، معتقدا له فأما ان وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرها .

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه فى الصورة الأولى لا يكون مكرها حتى يعذبه المشركون ، فانه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض ، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ، فما زال يعتذر ويقول حديث عمار . وقال الله تعالى : **« الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »**(١) ، فقلب أحمد وجهه الى الجانب الآخر ، فقال يحيى : لا يقبل عذرا .

فلما خرج يحيى قال أحمد : يحتج بحديث عمار ، وحديث عمار : مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربونى وأنتم قيل لكم : نريد أن نضربكم ، فقال يحيى : والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه فى دين الله تعالى منك .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد وان كانوا يقطعون على الحق ويقولون : ما فعلنا هذا الا خوفا ، فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك ، أو الجهل بالتوحيد ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وانما سببه أن له فى ذلك حظا من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين وعلى رضى رب العالمين . فقال : **« ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين »**(٢) . فكفرهم تعالى . وأخبر انه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا ، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة ، هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وأنهم هم الغافلون .

---

(١) النحل : ١٠٦ (٢) النحل : ١٠٧

ثم أخبر خبرا مؤكدا محققا أنهم فى الآخرة هم الخاسرون .

الدليل الخامس عشر : قوله تعالى عن اهل الكهف : « **انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذن ابدا** »(١) فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم ان ظهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين : اما ان يرجموكم ، أى يقتلوكم شر قتلة بالرجم ، واما أن يعيدوكم فى ملتهم ودينهم ، ولن تفلحوا اذن أبدا ، أى ان وافقتموهم على دينهم بعد ان غلبوكم وقهروكم ، فلن تفلحوا اذن أبدا ، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه ، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد ، وأجابهم الى ما طلبوه من غير غلبة ولا اكراه ، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون ؟!

الدليل السادس عشر : قوله تعالى : « **ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان اصابه خير اطمان به ، وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** »(٢) .

فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف ، أى على طرف « **فان اصابه خير** » اى نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية ونحو ذلك ــ « **اطمان به** » ــ اى ثبت وقال : هذا دين حسن ما رأينا فيه الا خيرا ــ « **وان اصابته فتنة** » ــ اى خوف ومرض وفقر ونحو ذلك ــ « **انقلب على وجهه** » ــ اى ارتد عن دينه ورجع الى أهل الشرك .

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم فى هذه الفتنة ، ويعبدون الله على حرف ، أى على طرف ، ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات ، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقة المشركين وأعطوهم الطاعة ، وخرجوا عن جماعة المسلمين الى جماعة المشركين ، فهم معهم فى الآخرة ، كما هم معهم فى الدنيا ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين هذا مع أن كثيرا منهم فى عافية ، ما آتاهم من عدو ، وانما ساء ظنهم بالله ، فظنوا أنه يديل الباطل وأهله على الحق وأهله ، فأرداهم سوء ظنهم بالله ، كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء : « **وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين** »(٣)

---

(١) الكهف : ٢٠

(٢) الحج : ١١

(٣) فصلت : ٢٣

وأنت يا من من الله عليه بالثبات على الاسلام ، احذر أن يدخل فى قلبك شىء من الريب ، أو تحسين أمر هؤلاء المرتدين ، أو أن موافقتهم للمشركين واظهار طاعتهم رأى حسن ، حذرا على الأنفس والأموال والمحارم ، فان هذه الشبهة هى التى أوقعت كثيرا من الأولين والآخرين فى الشرك بالله ، ولم يعذرهم الله بذلك ، والا فكثير منهم يعرفون الحق ، ويعتقدونه بقلوبهم ، وانما يدينون بالشرك للأعذار الثمانية التى ذكرها الله فى كتابه ، فلم يعذر بها احدا ولا ببعضها ، فقال : ((**قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين**))(١) .

الدليل السابع عشر : قوله تعالى : ((**ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم . ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم أسرارهم . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم . ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم**))(٢) فذكر تعالى عن المرتدين على أدباهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم ، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة ، وغرهم الشيطان بتسويله . وتزيين ما ارتكبوه من الردة ، وهكذا حال هؤلاء المرتدين فى هذه الفتنة غرهم الشيطان ، وأوهمهم أن الخوف عذر لهم فى الردة ، وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه ، ونسوا أن كثيرا من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به ، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا ، وخوفا على الأنفس والأموال ، والمآكل والرئاسات .

ثم قال تعالى : ((**ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر**))(٣) فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة ، وتسويل الشيطان ، واملائه لهم ، هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم فى بعض الأمر ، فاذا كان من وعد المشركين الكارهين لما

---

(١) التوبة : ٢٤
(٢) محمد : ٢٥ — ٢٨
(٣) محمد : ٢٦

أنزل الله بطاعتهم فى بعض الأمر كافرا ، وان لم يفعل ما وعدهم به ، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما انزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات ، وأظهر أنهم على هدى ، وأن أهل التوحيد مخطئون فى قتالهم ، وأن الصواب فى مسالمتهم ، والدخول فى دينهم الباطل ؟! فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم فى بعض الأمر ، ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت ، ثم قال ((**ذلك**)) الأمر الفظيع عند الوفاة ((**بانهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم**))(١) ، ولا يستريب مسلم أن اتباع المشركين ، والدخول فى جملتهم ، والشهادة أنهم على حق ، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ، ونصرة القباب والقحاب واللواط من اتباع ما يسخطه الله ، وكراهة رضوانه ، وان ادعوا أن ذلك لأجل الخوف ، فان الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين ، بل نهى عن خوفهم فأين هذا ممن يقول : ما جرى منا شىء ونحن على ديننا .

الدليل الثامن عشر : قوله تعالى : ((**الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا أبدا ، وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون**))(٢) فعقد تعالى الاخوة بين المنافقين والكفار ، واخبر أنهم يقولون لهم فى السر : ((**لئن أخرجتم لنخرجن معكم**)) ، اى لئن غلبكم محمد صلى الله عليه وسلم وأخرجكم من بلادكم ((**لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا**)) اى لا نسمع من أحد فيكم قولا ، ولا نعطى فيكم طاعة . ((**وان قوتلتم لننصرنكم**)) ، اى ان قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم لننصرنكم ونكون معكم ، ثم شهد تعالى أنهم كاذبون فى هذا القول ، فاذا كان وعد المشركين فى السر بالدخول معهم ونصرهم ، والخروج معهم ان أجلوا ، نفاقا وكفرا وان كان كذبا ، فكيف بمن أظهر ذلك صادقا ، وقدم عليهم ، ودخل فى طاعتهم ، ودعا اليها ، ونصرهم وانقاد لهم ، وصار من جملتهم ، وأعانهم بالمال والرأى ، هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك الا خوفا من الدوائر كما قال تعالى : ((**فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة**))(٣) .

---

(١) محمد : ٢٨ (٢) الحشر : ١١ (٣) المائدة : ٥٢

فكذا حال كثير من المرتدين فى هذه الفتنة ، فان عذر كثير منهم هو هذا العذر الذى ذكر الله عن الذين فى قلوبهم مرض ولم يعذرهم به . قال الله تعالى : ((**فعسى الله ان ياتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم ، حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين**))(١) .

ثم قال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين**))(٢)

فأخبر تعالى انه لابد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين ، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين والعزة والغلظة والشدة على الكافرين ، بضد من كان تواضعه وذله ولينه لعباد القباب ، وأهل القحاب واللواط ، وعزته وغلظته على أهل التوحيد والاخلاص ؛ فكفى بهذا دليلا على كفر من وافقهم وان ادعى أنه خائف . فقد قال تعالى: ((**ولا يخافون لومة لائم**))(٣) ، وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفا من المشركين ، ثم قال تعالى : **يجاهدون فى سبيل الله**))(٤) . أى فى توحيده ، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هى العليا . ولا يخافون لومة لائم ، أى لا يبالون بمن لامهم وآذاهم فى دينهم ، بل يمضون على دينهم ، يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا لرضاه ، انما همهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم ، والهرب من سخطه .

وهذا بخلاف من كان همه وغاية مطلوبه رضى عباد القباب ، وأهل القحاب واللواط ورجاءهم ، والهرب مما يسخطهم ، فان هذا غاية الضلال والخذلان .

ثم قال تعالى : ((**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**)) فاخبر تعالى ان هذا الخير العظيم ، والصفات الحميدة لأهل الايمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن ؛ ليس بحولهم ولا بقوتهم ، وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ،

---

(١) المائدة : ٥٢ ، ٥٣

(٢) المائدة : ٥٣

(٣) المائدة : ٥٤

(٤) المائدة : ٥٤

ثم قال : ((**انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**))(١) .

فاخبر تعالى خبرا بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين — وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين . ولا يخفى أي الحزبين أقرب الى الله ورسوله — واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة فالمتولي لضدهم ، واضع للولاية في غير محلها ، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب . ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم فقال : ((**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون**))(٢) .

الدليل التاسع عشر : قوله تعالى : ((**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم**))(٣) الآية . فاخبر تعالى انك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الاخر يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، وأن هذا مناف للايمان ، مضاد له ؛ لا يجتمع هو والايمان الا كما يجتمع الماء والنار .

وقد قال تعالى في موضع آخر : ((**يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**))(٤) . ففي هاتين الآيتين البيان الواضح انه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفا على الأموال والآباء والابناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس ، اذا كان لم يرخص لأحد في موادتهم ، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفا منهم ، وايثارا لمرضاتهم ، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحابا ، وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفا على بعض الأمور ومحبة لها ؟ ! ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له ، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام .

الدليل العشرون : قوله تعالى : ((**يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة**)) الى قوله : ((**ومن يفعله**

---

(١) المائدة : ٥٥

(٢) المائدة : ٥٦

(٣) المجادلة : ٢٢

(٤) التوبة : ٢٣

منكم فقد ضل سواء السبيل »(١) . فاخبر تعالى ان من تولى اعداء الله وان كانوا أقرباء ، فقد ضل سواء السبيل ، أى أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه الى الضلالة .

فأين هذا ممن يدعى أنه على الصراط المستقيم ، لم يخرج عنه ؟ فان هذا تكذيب لله ، ومن كذب الله فهو كافر ، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار ، ومن استحل محرما فهو كافر .

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال : « **لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير** »(٢) .

فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليهم ومشقة مفارقتها ، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ، ولا تغنى من عذاب الله شيئا ، كما قال فى الآية الأخرى : « **فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** »(٣) .

الدليل الحادى والعشرون : من السنة ما رواه أبو داود وغيره ، عن سمرة بن جندب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جامع المشرك وسكن معه ، فانه مثله » . فجعل صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث من جامع المشرك — أى اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم ، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم ؟ فان قالوا : خفنا ، قيل لهم : كذبتم .

وأيضا فليس الخوف بعذر ، كما قال تعالى : « **ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** »(٤) .

فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف ، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف ؟ ! وانما جاءوا الى الباطل محبة له وخوفا من الدوائر .

والأدلة على هذا كثيرة وفى هذا كفاية لمن أراد الله هدايته .

---

(١) الممتحنة : ١

(٢) الممتحنة : ٣

(٣) المؤمنون : ١٠١

(٤) العنكبوت : ١٠

وأما من أراد الله فتنته وضلالته ، فكما قال تعالى : **((ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم))(١)** .

ونسأل الله الكريم المنان أن يحيينا مسلمين ، وأن يتوفانا مسلمين وأن يلحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، برحمته إنه هو أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم آمين .

* * *

---

(١) يونس : ٩٦ ، ٩٧

الرسالة الثانية عشرة :

هذا كتاب

بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك

جمع شيخنا احمد بن على بن عتيق النجدى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما بلا اعوجاج ، وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه فى الاحتجاج ، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بايضاح الشرعة والمنهاج ، والصلاة والسلام على محمد الذى مزق الله ظلام الشرك بما معه من السراج ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الكفر وباينوهم من غير امتزاج .

أما بعد .. فانى قد كنت تكلمت وشددت فى النهى عن موالاة المشركين ، ودعوت من حولى من المسلمين الى عداوة الكافرين . ثم كتبت فى ذلك بعض الآيات الدالة عليه ، مع كلمات قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين ، وكنت اظن أن من قرأ القرآن ، وآمن أنه كلام الله ، وأن الله تعبدنا بالعمل به ، والقيام ، اذا سمع ذلك أذعن له وانقاد ، وبادر الى السمع والطاعة لحكمه ، لقول الله تعالى : ((**اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون**))(١) . وقال تعالى : ((**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**))(٢) .

وقال تعالى ((**فاما ياتينكم منى هدى فمن أتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**))(٣) .

---

(١) الأعراف : ٣ (٢) النساء : ٦٥

(٣) طه : ١٢٣ — ١٢٦

فحصل من بعض الجاهلين والمعاندين انكار لذلك ، وجحدوا لما أوجب الله الاقرار به والقيام : فصار المنتسبون الى العلم المدعون انهم من طلبته فى ذلك على أقسام :

طائفة منهم استحسنت المعارضة الجاهلة الضالة ورضيتها ، وان لم تصرح بذلك ؛ فانه ظاهر على وجوهها .

وطائفة كرهت المعارضة ، واستجهلت صاحبها ، لكنها لم تفعل ما أوجب الله عليها من رد ذلك ، والانكار على سالكه ، ولولا ما وقع لهؤلاء ، لما كان المعارض مساويا لمن يجاوبه .

فلأجل ذلك كتب شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة مفيدة فى الرد على هذا المعارض ، نقض فيها أقواله نقضا بديعا ، وهى كافية فى الرد عليه ، فصار شيخنا هو امام الطائفة ، الراد لأقوال أهل الباطل المنكرة لها ؛ والله ناصر دينه ، ومظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . ثم انى — كتبت — ان شاء الله — كلمات فيها بيان لأشياء وقع الغلط فيها ممن ينتسب الى العلم : لقول الله تعالى : **« ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »**(١) .

وقوله تعالى : **« واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون »**(٢) .

منها وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم ؛ ومنها ما يصير به الرجل مرتدا ، ومنها ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ، ويظهر الطاعة لهم ، ومنها مسألة اظهار الدين . ومنها مسألة الاستضعاف ، ومنها وجوب الهجرة ، وأنها باقية ، وسميت هذا الكتاب « سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك » وأسأل الله تعالى أن يجعله مبنيا على الاخلاص ، وأن ينفع به من قرأه طلبا للنجاة والخلاص .

* * *

---

(١) البقرة : ١٥٩ (٢) آل عمران : ١٨٧

فصــــل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ، بعث محمــــدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ؛ فبين للناس ما نزل اليهم ، فمــا من خير الا دلهم عليه ، وعرفهم الطرق الموصلة اليــه ؛ وما من شر الا حــذرهم منـــه ؛ وسد عليهم أبوابه المفضية اليه . ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم أن الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ .

وأخبرهم بظهور الفتن التي كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ، ويمسي كافرا ، ويمسي كافرا ويصبح مؤمنا ؛ يبيع دينــه بعرض من الدنيا ، فكان وقوع هذا لمــا وقع ، هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله .

ومما أخبر به أن أمته تقــاتل الترك ؛ (و) وصفهم بأنهم صغــار العيون ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجــان المطــرقة . ومعنى ذلف الأنوف ، أنها قصار مبطحة .

والمجان : جمع مجن . وهو الترس ، أراد وجوههم مستديرة ناتئـــة وجنتها . هذا معنى كلام البغوي في « شرح السنة » فكان من حكمــة الله وعــدله أن سلطهم ، لمــا ظهرت فيهم الملة الحنيفيـــة ، ودعــوا الى الطريقة المحمدية ، ولكن حصل من بعضهم ذنوب بها تسلطت هذه الدولة الكفرية . فجرى ما هو ثابت في الأقدار الأزلية ، وان كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية . والله تعــالى : « **لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون** »(١) .

وامتحن أهل الاسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعــالى في حادثة ظهور التتار في زمنــه ، وهم بادية الترك ، فناسب أن نذكر بعض كلامه .

قال رحمه الله تعالى : فان هذه الفتنة التي ابتلى بها المســلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الاسلام ، قد جرى فيها شبه بمــا جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رســول الله صلى الله عليه وســلم في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيه والمؤمنين ، مما هو أســوة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخــر ، وذكــر الله كثيرا الى يوم

---

(١) الأنبيــاء : ٢٣

القيامة ، فان نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، تتناول عموم الخلق بالعموم اللفظي . وبالعموم المعنوى وعهود الله فى كتابه وسنته ، تتناول آخر هذه الأمة كما نالت أولها .

وانما قص الله علينا قصص من قبلنا من الامم ، لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها فيكون للمؤمن من المستأخرين شبه بما كان للمؤمن من المستقدمين . ويكون للكافر والمنافق من المستأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المستقدمين .

كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة ، وأجمل ذكر قصص الأنبياء ((**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب**))(١) .

وقال لما ذكر قصة فرعون : ((**فأخذه الله نكال الآخرة والأولى . ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى**))(٢) .

وقال فى محاصرة بنى النضير : ((**هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم**)) الى قوله : ((**فاعتبروا يا أولى الأبصار**))(٣) .

فأمر أن نعتبر بأحوال المستقدمين علينا من هذه الأمة وممن قبلنا ، وذكر فى غير موضع ، أن سنته فى ذلك مطردة وعادة مستمرة ، فقال تعالى : ((**لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين اين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**))(٤) .

وقال تعالى : ((**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا . سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا**)))(٥) .

وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين ، كدأب الكافرين من المستقدمين .

فينبغى للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه فى عباده ودأب الأمم وعاداتهم ، لا سيما فى مثل هذه الحادثة العظيمة التى طبق الخافقين خبرها ، واستطار فى جميع الديار شررها ، وأطلع فيها النفاق ناصية

---

(١) يوسف : ١١١

(٢) النازعات : ٢٥ : ٢٦

(٣) الحشر : ٢

(٤) الاحزاب : ٦٠ — ٦٢

(٥) الفتح : ٢٢ ، ٢٣

رأسه ، وكثر فيها الكفر عن أنيابه واضراسه ، وكاد فيها عمود الكتاب ان يجتث ويخترم ، وحبل الايمان ان ينقطع ويصطلم ، وعقير دار المؤمنين أن يحل بها البوار ، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وظن ، « **واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا** »(١) •

ان لن ينقلب حزب الله ورسوله الى أهليهم ابدا ، وزين ذلك فى قلوبهم ، وظنوا ظن السوء وكانوا قوما بورا •

ونزلت فتنة تركت الحليم حيران ، وأنزلت الرجل الصادق منزلة السكران •

وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوساوس ليس بالنائم ولا اليقظان ، وتناكرت فيها قلوب المعارف والاخوان ، حتى ان الرجل بنفسه شغل عن ان يغيث اللهفان ، وميز الله فيها أهل البصائر والايقان من الذين فى قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف ايمان • ورفع بها أقواما الى الدرجات العالية ، كما خفض بها أقوامها الى المنزلة الهاوية ، وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها مختصرة من القيامة الكبرى •

فان الناس تفرقوا فيها ما بين شقى وسعيد ، كما يتفرقون كذلك فى اليوم الموعود ، ولم ينفع المنفعة الخالصة من البلوى الا الايمان والعمل الصالح ، والبر والتقوى ، وبليت فيها السرائر ، وظهرت الخبايا التى تكنها الضمائر ، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يكون صاحبه أحوج ما كان اليه فى المآل ، وذم سادته وكبراءه من أطاعهم فأضلوه السبيلا ، كما حمد ربه من صدق فى ايمانه واتخذ مع الرسول سبيلا وبان صدق ما جاءت به الأخبار النبوية من الاخبار بما يكون ، وواطأتها قلوب الذين هم فى هذه الأمة محدثون — أى ملهمون — كما تواطأت عليها المبشرات التى أريها المؤمنون ، وتبين أنها الطائفة المنصورة الظاهرة ، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم الى يوم القيامة ، حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب : حزب مجتهد فى نصرة الدين ، وآخر خاذل له ، وآخر

---

(١) الاحزاب : ١٢

خارج عن شريعة الاسلام ، وانقسم الناس بين مأجور ومغرور ، وآخر قد غره بالله الغرور وكان هذا الامتحان تمييزا من الله وتقسيما . **« ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين أن شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما »**(١) .

قلت : وما ذكره من الافتتان قد رأينا ما هو نظيره . أو أعظم منه فى هذه الأزمان ، وكذلك انقسم الناس أقساما .

أحدها : ناصر لدين الاسلام ، وساع فى ذلك بكل جهده . وهم القليلون عددا ، الأعظمون عند الله أجرا .

القسم الثانى : خاذل لأهل الاسلام ، تارك لمعونتهم .

القسم الثالث : خارج عن شريعة الاسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم . وقد روى الطبرانى عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أعان صاحب باطل ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة نبيه »(٢) .

* * *

فصل

وهذا أوان الشروع فى المقصود ، فأما معاداة الكفار والمشركين . فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك ، وأكد ايجابه ، وحرم موالاتهم وشدد فيها ، حتى أنه ليس فى كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده ، قال الله تعالى : **« واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون »**(٣) .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : فأهل النفاق مفسدون فى الأرض بمعصيتهم ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم فى دينه الذى لا يقبل من أحد التصديق الا به ، والايقان بحقيقته ، وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم ، غير ما هم عليه مقيمون من

---

(١) الأحزاب : ٢٤

(٢) رواه الطبرانى فى المعاجم الثلاثة . وفى اسناد « الكبير » حنش وهو متروك ، وفى اسناد الصغير والاوسط : سعيد بن رحمة وهو ضعيف

(٣) البقرة : ١١

الشك والتكذيب ، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، ان وجدوا الى ذلك سبيلا .

قال ابن كثير : وهذا الذى قاله حسن ، فان من الفساد فى الأرض، اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء . كما قال تعالى : ((**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**))(١) .

فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، كما قال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين**)) (٢) الآية .

وقوله : ((**انما نحن مصلحون**)) أى نريد أن نداری الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ونصلح مع هؤلاء وهؤلاء . يقول الله : ((**الا انهم هم المفسدون**))(٣) .

يقول : ألا ان هذا الذى يعتمدون ويزعمون أنه اصلاح ، هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون أنه فساد . ا . هـ . وهذا الذى ذكره ، قد والله سمعناه ورأينا أهله اذا قيل لهم ، ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد ؟ قالوا : نريد أن نصلح أحوالنا ونستخرج دنيانا منهم ، ويكون (لنا) يد عندهم . وبعضهم اذا ظن بالله ظن السوء من (ايذاء) أهل الباطل ، ورأى من له اتصال بهم ، وتوصل اليهم ، اتخذه صديقا ، ورضى به ، قائلا بلسان حاله : ((**نخشى أن تصيبنا دائرة**))(٤) . ((**ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**))(٥) .

وقال تعالى : ((**بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا**))(٦) الى قوله : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا**))(٧) .

قال ابن كثير : ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعنى معهم فى الحقيقة ، يوالونهم ويسرون اليهم بالمودة ، ويقولون لهم اذا خلوا بهم : ((**انا معكم انما نحن مستهزئون**))(٨) .

---

(١) الأنفال : ٧٣

(٢) النساء : ١٤٤

(٣) البقرة : ١٢

(٤) المائدة : ٥٢

(٥) البقرة : ١٢

(٦) النساء : ١٣٨ ، ١٣٩

(٧) النساء : ١٤٤

(٨) البقرة : ١٤

أي بالمؤمنين في اظهارنا لهم الموافقة • قال الله تعالى منكرا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين : **« أيبتغون عندهم العزة »**(١) •

ثم أخبر أن العزة كلها له وحده لا شريك له ؛ ولمن جعلها له . كما قال تعالى في الآية الأخرى : **« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا »**(٢) • وقال تعالى : **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »**(٣) الآية •

والمقصود من هذا : التهييج على طلب العزة من جانب الله تعالى • والالتجاء الى عبوديته ، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد •

قال : فاذا كانت موالاة الكافرين من أفعال المنافقين • فهذا كاف في تحريمها والنهي عنها ، وقال تعالى : **« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء »**(٤) •

فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين ، ثم قال : **« ومن يفعل ذلك »** •

أي ومن يوال الكافرين ، فليس من الله في شيء ، أي فقد برىء من الله ؛ وبرىء الله منه • وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ؛ حفظا للاسلام والتوحيد •

وقال تعالى : **« ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون • ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيرا منهم فاسقون »**(٥) •

قال شيخ الاسلام : فبين سبحانه (أن) الايمان بالله والنبي وما أنزل اليه ، ماتزم بعدم ولايتهم • فثبوت ولايتهم يوجب عدم الايمان ؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم •

قال : رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه ؛ والخلود في العذاب . وأخبر أن ولايتهم لا تحصل الا ممن ليس بمؤمن . وأما أهل

---

(١) النساء : ١٣٩
(٢) فاطر : ١٠
(٣) المنافقون : ٨
(٤) آل عمران : ٢٨
(٥) المائدة : ٨٠ ، ٨١

الايمان بالله وكتابه ورسوله ، فانهم لا يوالونهم ، بل يعادونهم كما أخبر الله عن ابراهيم والذين معه من المرسلين ، كما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى . وقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان ياتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى انفسهم نادمين »**(١) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى .

وذكر أن من تولاهم فهو منهم . أى من تولى اليهود فهو يهودى . ومن تولى النصارى فهو نصرانى .

وقد روى ابن أبى حاتم ، عن محمد بن سيرين . قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » الى قوله : **« فانه منهم »**(٢) **الآية** .

وكذلك المشرك ، فهو مشرك ، ومن تولى الأعاجم فهو أعجمى ، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار .

ثم أخبر تعالى أن الذين فى قلوبهم مرض ، أى شك فى الدين وشبهة ، يسارعون فى الكفر قائلين : **« نخشى أن تصيبنا دائرة »**(٣) .

أى اذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين . قالوا : نخشى أن تكون الدولة لهم فى المستقبل ، فيتسلطوا علينا ، فيأخذوا أموالنا ، ويشردوننا من بلداننا .

وهذا هو ظن السوء بالله الذى قال فيه : **« الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا »**(٤) .

---

(١) المائدة : ٥١ ، ٥٢

(٢) المائدة : ٥١

(٣) المائدة : ٥٢

(٤) الفتح : ٦

ولهذا قال تعالى فى هـذه الآية : ((**فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين**))(١) .

وعسى من الله واجب والحمد لله الذى أتى بالفتح . فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا فى أنفسهم نادمين . وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين**))(٢) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين وغيرهم من الكفار وبين أن موالاتهم تنافى الايمان . وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون . قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين**))(٣) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه ــ اللذين هما أقرب الناس اليه ــ اذا كان دينهما غير الايمان ، وبين أن الذى يتولى أباه وأخاه اذا كانا كافرين فهو ظالم فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه ؟! أفلا يكون هذا ظالما ؟ بلى والله انه لمن أظلم الظالمين .

ثم بين تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذرا فى موالاة الكافرين ، فليس لأحد أن يواليهم خوفا على أبيه ، أو أخيه ، أو بلاده ، أو ماله ، أو مشحته بعشيرته ، أو مخافته على زوجاته ، فان الله قد سد على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بعذر . فان قيل : قد قال كثير من المفسرين : ان هذه الآية نزلت فى شأن الجهاد ، فالجواب من وجهين :

أحدهما أن نقول : اذا كانت هذه الثمانية ، ليس بينها عذرا فى ترك الجهاد الذى هو فرض على الكفاية ، فكونها لا تكون عذرا فى ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى .

---

(١) المائدة : ٥٢ (٢) المائدة : ٥٧

(٣) التوبة : ٢٣ ، ٢٤

الوجه الثانى : أن الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا • كما دلت على الجهاد ، فانه قال : ((**أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله**))(١) •

فمحبة الله ورسوله توجب ايثار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية ، وتقديمها عليها • كما أن محبة الجهاد توجب ايثاره عليها • وبالله التوفيق •

وهذا اذا سمعه المنصف يكون (عنده) ظاهرا • وأما من أعمى الله بصيرته بسبب تعصبه ، كما قال تعالى : ((**ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون • ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**))(٢) •

وقال تعالى : ((**والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا**))(٣) •

ثم قال : ((**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**))(٤) •

فأخبر أن الكافرين اذا لم يوال بعضهم بعضا بأن ينحازوا عن المسلمين ، ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم ، والا وقعت الفتنة والفساد الكبير ، فتبين أن موالاة المسلم للكافر سبب الافتتان فى الدين بترك واجباته ، وارتكاب محرماته ، والخروج عن شرائعه ، وسبب الافتتان فى الأديان والأبدان والأموال • فأين هذا من أقوال المفسدين : أن موالاة المشركين صلاح وعافية وسلامة . وقال تعالى : ((**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله ، فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا**))(٥) •

فأخبر تعالى عن الكفار ، أنهم يودون كفر المسلمين كما كفروا ، ثم نهى أهل الايمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الاسلام وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء**

---

(١) التوبة : ٢٤
(٢) يونس : ٩٦ ، ٩٧
(٣) الأنفال : ٧٢
(٤) الأنفال : ٧٣
(٥) النساء : ٨٩

تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ، ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالمودة وانا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل • ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون • لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير • قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير)) . الى قوله : ((**انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون))** . الى قوله : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور))(١) •**

وقد ثبت فى «الصحاح» أن هذه السورة نزلت فى رجل من الصحابة لما كتب الى أهل مكة يخبرهم بمسير النبى صلى الله عليه وآله وسلم اليهم عام الفتح ، فأنزل الله هذه الآيات يخبر (عن) هذا الكتاب •

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فى أثر المرأة التى ذهبت بالكتاب ، فوجده فى عقيصة رأسها ، فجاء الرجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يعتذر ويحلف أنه ما شك ، ولكنه ليس له من يحمى (من وراءه) من أهله بمكة وأنه أراد بهذا يدا عند قريش ، واستأذن بعض الصحابة فى قتاله . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » • فلولا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل لهذا الكتاب •

ففى هذه السورة مع سبب نزولها ، من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم أدلة كثيرة ، فنهى تعالى أهل الايمان عن اتخاذ

---

(١) الممتحنة : ١ ـ ٤ ، ٩ ، ١٣

عدوه وعدوهم • وهـذا تهييج على عداوتهم ، فان عداوة المعادى لربك باعثة وداعية الى عداوتك ، ولنضرب لذلك مثلا ، ولله المثل الأعلى ، فقدر نفسك مملوكا لانسان هو سيدك ، والسبب فى حصول مصالحك ومنع مضارك ، وسيدك له عدو من الناس ، فهل يصح عندك ويجوز فى عقلك أن تتخذ عدو سيدك وليا ، ولو لم ينهك عن ذلك ؟! فكيف اذا نهاك عن ذلك أشد النهى ، ورتب على موالاتك له أن يعذبك ، وأن يسخط عليك ، وأن يوصل اليك ما تكره ، ويمنع عنك ما تحب ؟! فكيف اذا كان هذا العدو ، لسيدك ، عدو لك ؟! فاذا واليته مع ذلك كله ، انك اذن لمن الظالمين الجاهلين •

ثم قال : **« تلقون اليهم بالمودة »**(١) وهـذا كاف فى ابطال شبهة المشبهين • فانه اذا أنكر عليهم موالاة المشركين وموادتهم قالوا : لم يصدر منا ذلك ، وهم مع ذلك يعينون أهل الباطل بأموالهم ، ويذبون عنهم بألسنتهم ، ويكاتبونهم بعورات المسلمين •

فأين هذا من الكتاب الذى نزلت فيه هذه السورة ؟ وقد سماه الله القاء بالمودة ، وهذا ظاهر جدا •

ثم قال : **« وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم »**(٢) •

فذكر ما يدعو الى عداوتهم وهو كفرهم بالحق الذى جاء من عند الله ، واخراجهم النبى صلى الله عليه وسلم وأهل الاسلام لأجل الايمان بالله •

ثم حذر تعالى من موالاتهم ، بأنه يعلم السر والعلانية ، وهذا تهديد شديد •

ثم قال : **« ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل »**(٣) اى من يتولى أعداء الله ويلقى اليهم بالمودة ، ويسر اليهم ، فقد أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عن طريق الصواب •

ثم قال : **« ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء »**(٤) الآية . فبين

---

(١) الممتحنة : ١ (٢) الممتحنة : ٢

أنهم ان قدروا على المسلم واستولوا عليه ، ساموه سوء العذاب ، **« ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم »**(١) بالضرب والقتل ، وبالكلام الغليظ ولو كان يواليهم ويكاتبهم فى حال بعده عنهم ، فانهم لا يرضون عنه و (لا) يسلمونه من شرهم ، حتى يكون دينه دينهم ولهذا قال : **«وودوا لو تكفرون »**(٢) كما قال : **« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم »**(٣) .

ثم قال : **« لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم يوم القيامة »**(٤) الآية : فبين أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين ، لا يبيح له موالاتهم كما اعتذر هذا الرجل بأن له فى مكة أرحاما وأولادا ، فلم يعذره الله تعالى . فانه يجب على الانسان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ولا يحصل الايمان حتى يكون الرسول أحب الى الانسان من ولده ووالده والناس اجمعين . فقوله : **« لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة »** اى : لن ينجوكم من عذاب الله ، فكيف تقدمونهم على مراد الله ، ولأجلهم توالون أعداء الله ! والله تعالى مطلع عليكم بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم .

ثم بين أن هذا الذى دلهم عليه من موالاة المؤمنين ، ونهاهم عنه من موالاة الكافرين ، ليس هو أمرا لهم وحدهم ، بل هو الصراط المستقيم الذى عليه جميع المرسلين . فقال : **« قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه »** من المرسلين **« اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده »**(٥) .

فقوله : **« قد كانت لكم أسوة حسنة »** كقوله تعالى : **« ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا »**(٦) .

فأمرنا سبحانه أن نتأسى بابراهيم الخليل ومن معه من المرسلين فى قولهم لقومهم **« انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله »** الى آخره . فإذا كان هذا واجبا علم المسلم أن يقول هذا لقومه الذى

---

(١) الممتحنة : ٢
(٢) البقرة : ١٢٠
(٣) الممتحنة : ٣
(٤) الممتحنة : ٤
(٥) النحل : ١٢٣
(٦) النحل : ١٢٣

هو بين أظهرهم ، فكونه واجبا مع الكفار الأبعدين عند المخالفين له فى جميع الأمور أبين وأبين .

وهاهنا نكتة بديعة فى قوله : ((**انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله**)) وهى أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله ، لأن الأول أهم من الثانى ، فانه من يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه . وأما اذا تبرأ من المشركين ، فان هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم . وهذا كقوله تعالى : ((**واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى عسى الا اكون بدعاء ربى شقيا**))(١) فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم . وكذا قوله : ((**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله**))(١) وقوله : ((**واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله**))(٢) فعليك بهذه النكت ، فانها تفتح بابا الى عداوة أعداء الله فكم من انسان لا يقع منه الشرك ، ولكنه لا يعادى أهله ، فلا يكون مسلما بذلك اذا ترك دين جميع المرسلين .

ثم قال : ((**كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده**))(٣) فقوله : ((وبدا)) أى ظهر وبان . وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية ، فان الانسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ، ولابد أيضا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين .

واعلم أنه وان كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فانها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين . وأما اذا وجدت الموالاة والمواصلة ، فان ذلك يدل على عدم البغضاء فعليك بتأمل هذا الموضع فانه يجلو عنك شبهات كثيرة .

ثم قال : ((**انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**))(٤) . فذكر سبحانه وتعالى أفعالا تدعو الى مقاطعتهم ،

---

(١) مريم : ٤٨ ، ٤٩
(٢) الكهف : ١٦
(٣) الممتحنة : ٤
(٤) الممتحنة : ٩

وترك موالاتهم وهى أنهم يقاتلون فى الدين — أى من أجل — يعنى أن الذى حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم . وأيضا يخرجون المؤمنين من ديارهم ، ويعاونون على اخراجهم ، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين .

وفى هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان على أن موالاتهم محرمة منافية للايمان . وذلك انه قال : ((**انما ينهاكم الله**)) فجمع بين لفظة ((انما)) المفيدة للحصر ، وبين النهى الصريح ، وذكر الخصال الثلاث ، وضمير الحصر وهو لفظة ((هم)) .

ثم قال : **((يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور))(١)** .

فنهى سبحانه أهل الايمان عن موالاة الذين غضب الله عليهم ، فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالى من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر ، فان موالاته له تنافى الايمان بالله تعالى .

* * *

فصل

وهاهنا أمور يجب التنبيه عليها ، وتعيين الاعتناء بها ليتم لنا علمها مجانبة دين المشركين .

الأمر الأول : ترك اتباع أهوائهم ، وقد نهى الله تعالى عن اتباعها قال تعالى : **((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)) قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير))(٢)** .

قال شيخ الاسلام : فانظر كيف قال فى الخبر ((ملتهم)) ، وقال فى النهى : ((أهواءهم)) . لأن القوم لا يرضون الا باتباع الملة مطلقا ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم فى قليل أو كثير ، وقال تعالى لموسى وهارون : **((فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون))(٣)** **((وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل**

---

(١) الممتحنة : ١٣ (٢) البقرة : ١٢٠

(٣) يونس : ٨٩

المفسدين))(١) وقال تعالى : **((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ، وساءت مصيرا))**(٢) وقال تعالى : **((وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق))**(٣) الى قوله : **((ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك))**(٤) وقال تعالى : **((ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر ، فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون • انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ، والله ولى المتقين))**(٥) •

وقال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنعم على بنى اسرائيل بنعم الدين والدنيا ، وأنهم اختلفوا بعد مجىء العلم بغيا من بعضهم لبعض ، ثم جعل محمدا صلى الله عليه وسلم على شريعة شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون وقد دخل فى الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته ، واهواءهم ما يهوونه •

قال : فاذا كان اتباع أهواء جميع الكفار وسلوك ما يحبونه منهيا عنه [illegible] ، فهذا هو المطلوب • وما ذاك الا خوفا من اتباعهم فى أصل دينهم الباطل •

وقال تعالى : **((وكذلك انزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق))**(٦) •

فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه حكما عربيا ، ثم (ذكر) توعده على اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد •

وقال تعالى : **((ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين**

---

(١) الأعراف : ١٤٢
(٢) النساء : ١١٥
(٣) المائدة : ٤٨
(٤) المائدة : ٤٩
(٥) الجاثية : ١٦ — ١٩
(٦) الرعد : ٣٧

لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون »(١) الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين ، وتحريم اتباعهم وأنه من أعظم القوادح في الدين .

الأمر الثاني : معصيتهم فيما أمروا به ، فان الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين . وأخبر أن المسلمين ان اطاعوهم ردوهم عن الايمان الى الكفر والخسارة ، فقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين »**(٢) وقال تعالى : « **ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا »**(٣) .

وقال تعالى : « **وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون »**(٤) قال تعالى : « **وان تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون »**(٥) وقال تعالى : « **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا »**(٦) . وقال تعالى : « **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم »**(٧) وقال تعالى : « **يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيما »**(٨) . وقال تعالى اخبارا عمن اطاع رؤساء الكفر : « **وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا »**(٩) وقال تعالى : « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون »**(١٠) .

وفسر النبي صلى الله عليه وسلم اتخاذهم أربابا أنها طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام ، فاذا كان من اطاع الأحبار وهم العلماء والرهبان ، وهم العباد في ذلك ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، فمن اطاع الجهال والفساق في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل

---

(١) الأنعام : ١٥٠
(٢) آل عمران : ١٠٠
(٣) الكهف : ٢٨
(٤) الأنعام : ١٢١
(٥) الأنعام : ١١٦
(٦) الفرقان : ٥١ ، ٥٢
(٧) التوبة : ٧٣
(٨) الأحزاب : ١
(٩) الأحزاب : ٦٧
(١٠) التوبة : ٣١

ما حرم الله ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، بل ذلك أولى وأحرى •

الأمر الثالث : ترك الركون الى الكفرة والظالمين •

وقد نهى الله عن ذلك . فقال : **((ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون))(١)** •

فنهى سبحانه وتعالى عن الركون الى الظلمة ، وتوعد على ذلك بمسيس النار ، وعدم النصر ، والشرك وهو أعظم أنواع الظلم كما قال تعالى : **((ان الشرك لظلم عظيم))(٢)** فمن ركن الى أهل الشرك ، أى مال اليهم ورضى بشىء من أعمالهم ، فانه مستحق لأن يعذبه الله بالنار ، وأن يخذله فى الدنيا والآخرة •

وقال تعالى : **((ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا))(٣)**

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تثبيته لرسوله صلى الله عليه وسلم ، لركن الى المشركين شيئا قليلا ، وأنه لو ركن اليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفا ، ولكن الله ثبته فلم يركن اليهم ، بل عاداهم وقطع اليد منهم ، ولكن اذا كان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم مع عصمته ، فغيره أولى بلحوق هذا الوعيد به •

الأمر الرابع : ترك موادة أعداء الله ، قال الله تعالى : **((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم))(٤)** •

قال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، ولا يوجد مؤمن يواد كافرا ، فمن واد كافرا فليس بمؤمن •

قلت : فاذا كان الله قد نفى الايمان عمن واد أباه وأخاه وعشيرته اذا كانوا محادين الله ورسوله ، فمن واد الكفار الأبعدين عنه ، فهو أولى بأن لا يكون مؤمنا •

---

(١) هود : ١١٣
(٢) لقمان : ١٣
(٣) الاسراء : ٧٤ ، ٧٥
(٤) المجادلة : ٢٢

الأمر الخامس : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة ، لأنها تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن . كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة . حتى ان الرجلين اذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في در غربة ، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم . وان كانا في مصرهما ، لم يكونا متعارفين ، أو كانا متهاجرين ، وذلك لأن الاشتراك نوع وصف به اختصاص عن بلد الغربة . بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب ، فكانت بينهما مشابهة في العمامة ، أو الثياب ، أو الشعر ، أو المركب ، ونحو ذلك ، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما ، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضا ما لا يألفون غيرهم ، حتى ان ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة ، أما على الدين ، فتجد الملوك من الرؤساء وان تباعدت ديارهم وممالكهم ، بينهم مناسبة تورث مشابهة وحماية من بعضهم لبعض ، وهذا كله موجب الطباع ، ومقتضاها ، الا أن يمنع من ذلك دين أو غرض حاضر ، فاذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم ، فكيف بالمشابهة في أمور دينية ؟! فان افضاءها الى نوع من الموالاة أكثر وأشد . هذا كلام شيخ الاسلام ابن تيمية .

قلت : فاذا كانت مشابهة الكفار في الأفعال الظاهرة انما نهي عنها لأنها وسيلة وسبب يفضي الى موالاتهم ، ومحبتهم بالنهي عن هذه الغاية ، والمحذور أشد والمنع منه وتحريمه أوكد ، وهذا هو المطلوب ، ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركين ، روى أبو داوود في « سننه » عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » . قال شيخ الاسلام : اسناده جيد . وأقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم ، وان كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم . كما في قوله تعالى : **«ومن يتولهم منكم فانه منهم »**(١) وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « من بنى بأرض المشركين ، وصنع نيروزهم ، ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة » .

---

(١) المائدة : ٥١

وقد ثبت عن عائشة أنها كرهت الاختصار فى الصلاة(١) . وقالت : « لا تشبهوا باليهود » .

وروى البيهقى باسناد صحيح عن عمرو بن دينار ، قال : قال عمر بن الخطاب : « لا تعلموا رطانة الأعاجم ، ولا تدخلوا على المشركين فى كنائسهم يوم عيدهم ، فان السخط ينزل عليهم » .

وروى باسناد صحيح عن أبى أسامة ، قال : حدثنا عوف عن أبى المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « من بنى ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ، حشر معهم يوم القيامة » .

فهذا عمر نهى عن تعلم لسانهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم (فكيف بمن) يفعل بعض أفعالهم ، أو فعل ما هو من مقتضيات دينهم ؟! أليست موافقتهم فى العمل أعظم من الموافقة فى اللغة ؟ أو ليس عمل بعض أعمالهم ــ أى أعمال عيدهم ــ أعظم من مجرد الدخول عليهم فى عيدهم ؟! واذ كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم ، فمن يشركهم فى العمل أو بعضه ، أليس قد تعرض الى العقوبة ؟

وأما عبد الله بن عمرو فصرح : أنه من بنى ببلادهم ، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم ، وهذا يقتضى أنه جعله كافرا بمشاركتهم فى مجموع هذه الأطوار ، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار ، وان كان الأول ظاهر لفظه ، فتكون المشاركة فى بعض ذلك معصية ، لأنه لو لم يكن مؤثرا فى استحقاق العقوبة لم يجز جعله جزءا من المقتضى ، اذ المباح لا يعاقب عليه ، وليس الذم على بعض ذلك مشروطا ببعض ، الا أن أبعاض ما ذكره يقتضى الذم منفردا .

وعن عمرو بن ميمون الأودى ، قال : قال عمر رضى الله عنه : كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، ويقولون : أشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبى صلى الله عليهم وسلم ، وأفاض قبل طلوع الشمس ، وقد روى فى هذا الحديث فيما أظنه أنه قال : « خالف هدينا هدى المشركين » وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب

---

(١) أى وضع اليدين على الخص أثناء الصلاة .

الشمس ، فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم . فالافاضة بعد الغروب •

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين . فقال : « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها » رواه مسلم ، نهى عن لبسها بأنها من ثياب الكفار •

وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عتبة بن فرقد : « واياك وزى أهل الشرك » ، وهو في « الصحيحين » •

وروى الخلال عن محمد بن سيرين : أن حذيفة أتى بيتا ، فرأى فيه شيئا من زى العجم ، فخرج وقال : من تشبه بقوم فهو منهم •

وقال على بن أبى صالح السواق : كنا في وليمة . فجاء أحمد ابن حنبل ، فلما دخل نظر الى كرسى في الدار عليه فضة . فخرج . فلحقه صاحب الدار ، فنفض يده في وجهه وقال : زى المجوس ، زى المجوس !!

وعن قيس بن أبى حازم قال : دخل أبو بكر رضى الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها : زينب ، فرآها لا تتكلم فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجة مصمتة • فقال لها : تكلمي فان هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين • قالت : أى المهاجرين ؟ قال : من قريش • قالت : من أى قريش ؟ قال : انك لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم • قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومكم رؤساء وأشراف يأمرونكم فتطيعونهم ؟ قالت : بلى • قال : فهم أولئك على الناس • رواه البخارى في « صحيحه » •

فأخبر أبو بكر رضى الله عنه : أن الصمت المطلق لا يحل ، وعقب ذلك بقوله : هذا من عمل الجاهلية ، قاصدا بذلك عيب هذا العمل وذمه وتعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة ، فدل على أن كونه من عمل الجاهلية ، وصف يوجب النهى عنه ، والمنع منه •

وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى المسلمين المقيمين ببلاد فارس : اياكم وزى أهل الشرك •

وهذا النهى منه للمسلمين من كل ما كان من زى المشركين ، وفي

كتابه الى عتبة بن فرقد : اياكم والتنعم ، وزى أهل الشرك ، ولبوس الحرير .

وروى أحمد فى « المسند » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال حماد بن سلمة : فحدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم قال : سمعت عمر رضى الله عنه يقول لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال : ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة ، وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر رضى الله عنه : ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم الى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، فكنس الكناسة فى ردائه ، وكنس الناس . فعاب رضى الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ، أى مشابهتها فى مجرد استقبال الصخرة ، لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية ، وان كان المسلم لا يقصد أن يصلى اليها .

وقد كان لعمر رضى الله عنه فى هذا الباب من السياسات المحكمة ما هى مناسبة لسائر سيرته المرضية ، فانه رضى الله عنه هو الذى استحالت ذنوب الاسلام فى يده غربا ، فلم يفر عبقرى فريه حتى صدر الناس بعطن ، فأعز الاسلام ، وأذل الكفر وأهله ، وأقام شعار الدين الحنيفى . ومنع من كل أمر فيه تذرع الى نقض عرى الاسلام ، مطيعا فى ذلك لله ولرسوله ، وقافا عند كتاب الله ، ممتثلا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محتذيا حذو صاحبه ، مشاورا فى أموره السابقين الأولين ، حتى ان العمدة فى الشروط على أهل الكتاب على شروطه ، وحتى منع من استعمال كافر ، وائتمانه على الأمة واعزازه بعد اذلاله ، أى (بعد أن) أذله الله .

وحتى روى أنه حرق الكتب العجمية ، وهو الذى أمر بأهل البدع أن ينفوا وألزمهم ثوب الصغار .

وروى الخلال عن عكرمة عن ابن عباس أنه سأل رجل : أأحتقن ؟ قال : لا تبد العورة ولا تستن بسنة المشركين .

فقوله : لا تستن بسنة المشركين ، عام .

ورى أبو داوود عن أنس ، أنه دخل عليه غلام وله قرنان — أو قصتان — فقال : احلقوا هذين — أو قصوهما — فان هذا زى

اليهود . علل النهى عنهما بأن ذلك زى اليهود . وتعليل النهى بعلة يوجب أن تكون العلة مكروهة ، مطلوبا عدمها . نقل ذلك شيخ الاسلام ، وقال أيضا عند قوله صلى الله عليه وسلم : « هل بها عيد من أعياد الجاهلية » ؟

وهذا نهى شديد عن أن يفعل شيء من أعياد الجاهلية على أى وجه كان . وأعياد الكفار من الكتابيين والأميين فى دين الاسلام من جنس واحد ، كما أن كفر الطائفتين سواء فى التحريم . وان كان بعضه أشد تحريما ، واذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية تدنس المسلم بشيء من أمر الكفار الذى يئس الشيطان أن يقيم أمرهم فى جزيرة العرب ، فالخشية من تدنسه بأوضاع الكتابيين الباقين أشد ، والنهى عنه أوكد ، الى أن قال : وقد بالغ صلى الله عليه وسلم فى أمر أمته بمخالفتهم فى كثير من المباحات وصفات الطاعات ، لئلا يكون ذريعة الى موافقتهم فى غير ذلك من أمورهم ، ولتكون المخالفة فى ذلك حاجزا ومانعا عن سائر أمورهم ، كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل الجحيم ، كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم .

فليس بعد حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته ، ونصحه لهم غاية ، وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قلت : فاذا كانت مبالغته صلى الله عليه وسلم فى أمر أمته بمخالفة الكفار ، انما هى خوفا من أن تكون مشابهتهم فى الهدى الظاهر مؤدية وجارة الى الموافقة والموالاة ، فما بال كثير ممن يدعى الاسلام قد وقع فى المحذور بعينه ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟!

وروى أبو داوود فى « سننه » وغيره من حديث هيثم ، وأخبرنا أبو بشر ، عن أبى عمير بن أنس ، عن عمومة له من الأنصار ، قال : اهتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم (للصلاة) كيف يجمع الناس لها فذكروا له شبور اليهود ، فلم يعجبه ذلك وقال : « هو من أمر اليهود » قال : فذكروا له الناقوس ، فقال : « هو من أمر النصارى » . الحديث . قال فى « القاموس » : شبور كتنور : البوق الذى ينفخ فيه ويزمر ، انتهى .

والغرض أنه صلى الله عليه وآله وسلم . لما ذكر بوق اليهود المنفوخ بالفم ؛ وناقوس النصارى المضروب باليد . علل هذا بأنه من أمر اليهود ؛ وعلل هذا بأنه من أمر النصارى . لأن ذكر الوصف عقب الحكم يدل على أنه علة له .

وهذا يقتضى نهيه عما هو من أمر اليهود والنصارى ويقتضى كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقا فى غير الصلاة أيضا ، لأنه من أمر اليهود والنصارى . فالنصارى يضربون بالنواقيس فى أوقات متعددة ، غير أوقات عباداتهم ، وانما شعار الدين الحنيف الأذان المتضمن للاعلان بذكر الله سبحانه وتعالى ، الذى به تفتح أبواب السماء ، ويهرب الشياطين ، وبه تنزل الرحمة . وقد ابتلى كثير من هذه الأمة من الملوك وغيرهم بهذا الشعار اليهودى والنصرانى ، وهذه المشابهة لليهود والنصارى ، والأعاجم من أهل الشرك والفرس ، لما غلب على ملوك المشرق ؛ هى وأمثالها مما خالفوا به هدى المسلمين ، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله ؛ سلط عليهم أهل الشرك الموعود بقتالهم ، حتى فعلوا فى العباد والبلاد ما لم يجر فى دولة الاسلام مثله . وذلك تصديق قوله صلى الله عليه وسلم : « لتركبن سنن من كان قبلكم » انتهى من « الاقتضاء » .

وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدى المسلمين بتسليط أهل الشرك على ما ذكره شيخ الاسلام ، وقع نظيره فى هذه الأزمان . فان المنتسبين الى الاسلام سلكوا كثيرا من هدى اليهود والنصارى ، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم ، أعداء الله ، وتشبهوا بهم فى كثير من الأمور ، سلط عليهم أهل الشرك ، الخارجون عن شرائع الاسلام ، فجرى على الاسلام محن عظيمة وأمور كبيرة ، حتى أنهم يذلون الرئيس ، ويمتهنون الشيخ الكبير ، ولا يرحمون العاجز ، ولا الضعيف ، فأفسدوا الأديان ، وخربوا البلدان ، وأهانوا الأبدان ، وذلك بحكمة الديان ، عقوبة على الظلم والعصيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان . ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول ، ويأبى الله الا اظهار دين الرسول : **« يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون : هو الذى ارسل رسوله**

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »(١) .

فاذا محص الله أهل الايمان ، وانتهى ما عاقبهم به على العصيان ، وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران ، وظنوا أن الدولة لهم فى غابر الأزمان ، أظهر الله عليهم شمس الايمان والاسلام . فمزقهم بها فى أقرب أوان ، وشردهم الى أقصى البلدان .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ناصر دينه وكتابه   ورسوله فى سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حزبه   ذا حكمة مذ كانت الفئتان

وقال أيضا :

والحق منصور وممتحن فلا   تعجب فهذه سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حزبه   ولأجل ذاك الناس طائفتان

وقال شيخ الاسلام فى الكلام على شروط أهل الذمة : وذلك يقتضى اجماع المسلمين عن التمييز عن الكفار ظاهرا ، وترك التشبه بهم ، ولقد كان أمراء الهدى مثل العمرين وغيرهما يبالغون فى تحقيق ذلك بما يتم به المقصود .

وقد روى أبو الشيخ الأصبهانى أن عمر رضى الله عنه كتب أن لا تكاتبوا أهل الذمة فتجرى بينكم وبينهم المودة ، ولا تكنوهم ، وأذلوهم ، ولا تظلموهم . ثم قال : ومن جملة الشروط ما يعود باخفاء منكرات دينهم ، وترك اظهارها ومنها ما يعود باخفاء شعار دينهم . فاتفق عمر رضى الله عنه ، والمسلمون معه ، وسائر العلماء ، وبعدهم من وفقه — الله عز وجل — من ولاة الأمر ، على منعهم من أن يظهروا فى الاسلام شيئا مما يختصون به مبالغة فى أن لا يظهر فى دار الاسلام خصائص المشركين ، فكيف اذا عملها المسلمون وأظهروها ؟!

ومنها ما يعود بترك اكرامهم والزامهم الصغار الذى شرعه الله تعالى . ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة ، فيها نوع من نوع اكرامهم ، فانهم يفرحون بذلك ويسرون به ، كما يغتمون باهمال أمر دينهم الباطل .

---

(١) التوبة : ٣٢ ، ٣٣

قال الشيخ ايضا : وقال تعالى : **« ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء »**(١) وذلك يقتضى تبريه منهم فى جميع الأشياء ، ومن تابع غيره فى بعض أموره فهو منه فى ذلك الأمر لأن قول القائل : أنا من هذا وهذا منى . أى أنا من نوعه وهو من نوعى لأن الشخصين لا يتحدان الا بالنوع ، كما فى قوله : **« بعضهم من بعض »**(٢) ، وقوله عليه السلام لعلى : « انت منى وانا منك » وقول القائل : لست من هذا فى شىء ، أنا متبرىء من جميع أموره . واذا كان الله ورسوله قد برىء من جميع أمورهم ، فمن كان متابعا لرسوله صلى الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئا لتبريه ، ومن كان موافقهم كان مخالفا للرسول صلى الله عليه وسلم بقدر موافقته فان الشخصين المختلفين من كل وجه ، كلما شابهه أحدهما خالفه الآخر .

وقال تعالى : **« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء »**(٣) الآية ، وقال تعالى : **« الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم »**(٤) . يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود ، الى قوله : **« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر »**(٥) الى آخر السورة . وقال تعالى : **« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »**(٦) الى آخر السورة . فعقد سبحانه وتعالى الموالاة بين المهاجرين والأنصار ، وبين من آمن منهم وهاجر وجاهد الى يوم القيامة ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والجهاد باق الى يوم القيامة . وقال تعالى : **« انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا »**(٧) الآيتين . ونظائر هذا فى غير موضع من القرآن . ويأمركم سبحانه بموالاة المؤمنين حقا ، الذين هم حزبه وجنده ، ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكفار ولا يوادونهم . والموالاة والمودة وان كانت متعلقة بالقلب ، لكن المخالفة فى الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين .

---

(١) الأنعام : ١٥٩
(٢) التوبة : ٦٧ وأولها **« المنافقون والمنافقات »** .
(٣) المائدة : ٥١ (٤) المجادلة : ١٤
(٥) المجادلة : ٢٢ (٦) الأنفال : ٧٢
(٧) المائدة : ٥٥

ومباينتهم ومشاركتهم فى الظاهر • أن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا الى نوع ما من الموالاة والمودة ، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة ، مع انها تدعو الى نوع ما من المواصلة كما تحب الطبيعة ، وتدل عليه أبعاده • ولهذا كان السلف رضى الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم فى الولايات •

فروى الامام أحمد باسناد صحيح ، عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قلت لعمر رضى الله عنه : ان لى كاتبا نصرانيا • قال لى : مالك ؟! قاتلك الله . أما سمعت قول الله : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليا »**(١) الا اتخذت حنيفا ؟! قال : قلت : يا أمير المؤمنين •• لى كتابته ، وله دينه • قال : لا أكرمهم اذ أهانهم الله • ولا أعزهم اذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله • وكما دل عليه معنى الكتاب ، جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنة خلفائه الراشدين التى أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم ، وترك التشبه بهم ، ففى « الصحيحين » عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » أمر بمخالفتهم ، وذلك يقتضى أن يكون جنس مخالفتهم أمرا مقصودا للشارع ، لأنه ان كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود ، وان كان الأمر بالمخالفة فى الشعر فقط ، فهو لأجل ما فيه من المخالفة ، فالمخالفة أما علة مفردة ، أو علة أخرى ، أو بعض علة ، وعلى التقديرات تكون مامورا بها ، مطلوبة من الشارع ، فقال تعالى : **« والذين لا يشهدون الزور »**(٢) . قال الضحاك : الزور : عيد المشركين ، رواه أبو الشيخ وباسناده عنه الزور : كلام الشرك ، وباسناده عن مرة : لا يسالئون أهل الشرك على شركهم ، ولا يخالطونهم ، وباسناده عن عطاء بن يسار ، قال : قال عمر : اياكم ورطانة الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم فى كنائسهم • وقول هؤلاء التابعين انه أعياد الكفار ليس مخالفا لقول بعضهم أنه شرك أو صنم كان فى الجاهلية ؛ ولقول بعضهم : أنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم : أنه الغناء ، لأن عادة السلف فى تفسيرهم ، هكذا يذكر الرجل نوعا من أنواع المسمى لحاجة المستمع (اليها) ، أو للتنبيه على الجنس • ووجه تفسير التابعين تارة بما

---

(١) المائدة : ٥١

(٢) الفرقان : ٧٢

يظهر حسنه لشبهة ، أو لشهوة ، فالشرك ونحوه يظهر حسنه لشبهة والغنى ونحوه يظهر حسنه لشهوة ، واما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة ، وهى باطلة ، اذ لا منفعة فيها فى الدين ، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها الى ألم ، فصارت زورا ، وشهودها محظورا . واذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذى هو مجرد الحضور برؤية أو سماع ، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذى هو عمل الزور لا مجرد شهوده ؟!

واعلم أنا لو نعلم أن موافقتهم قد أفضت الى هذه القبائح ، (لما وافقت) الطباع عليه ، واوثق استدلال (على ذلك) بأن اصول الشريعة توجب النهى عن هذه الذريعة . فكيف وقد رأيناه من المنكرات التى أفضت اليها المشابهة ما قد يوجب الخروج عن الاسلام بالكلية ؟! وسر هذا أن المشابهة تفضى الى كفر أو معصية غالبا ، أو تفضى اليهما فى الجملة ، وما أفضى الى ذلك كان محرما .

فهذا بعض ما جاء من الأدلة فى النهى عن مشابهة المشركين والكفار ، ولكن رحم الله من تنبه لسر الذى سبق الكلام لاجله ، وهو أن المشابهة فى الظاهر انما نهى عنها لأنها تورث نوع مودة وموالاة فى الباطن ، وتفضى أيضا الى كفر أو معصية ، وهذا هو السبب فى جريها والنهى عنها . فاذا علمت ذلك ، وتبين لك ما وقع فيه كثير من الناس أو أكثرهم من موالاة الكفار والمشركين ، التى انما نهى عن هذه الأمور خوفا من الوقوع فيها ، تبين لك أنهم وقعوا فى نفس المحذور ، وتوسطوا مفازة المهلكة ، والله الهادى الى سواء الصراط .

* * *

فصل

فى ذكر جوابات عن ايرادات أوردها بعض المسلمين على أولاد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، فأجابوا عنها رحمهم الله وعفا عنهم فمن ذلك : ما قولكم فى رجل دخل هذا الدين وأحبه ، لكن لا يعادى المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم ، أو قال : أنا مسلم ولكن (لا أستطيع أن) أكفر أهل لا اله الا الله ولو لم يعرفوا معناها ؟ ورجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن يقول : لا أتعرض القباب ، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا أتعرضها ؟

فالجواب : أن الرجل لا يكون مسلما الا اذا عرف التوحيد ، ودان به ، وعمل بموجبه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، واطاعه فيما نهى عنه وأمر به ، وآمن به وبما جاء به فمن قال : لا أعادى المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم • أو قال : لا أتعرض أهل لا اله الا الله ولو فعلوا الكفر والشرك ، وعادوا دين الله • أو قال : لا أتعرض القباب ، فهذا لا يكون مسلما ، بل هو ممن قال الله : **« ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا • اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا »(١)** • والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ، ومنابذتهم وتكفيرهم • فقال : **« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او اخوانهم او عشيرتهم »(٢)** • وقال تعالى : **« ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين »(٣)** . وقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول »(٤)** الآيات . والله اعلم •

نقل من جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخيه عبد الله ، وفى أجوبة أخرى : ما قولكم فى الموالاة والمعادة هل هم من معنى لا اله الا الله ، أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال والله أعلم : حسب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم وأوجب عليهم محبة المؤمنين وموالاتهم •

وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم •

وأما كون ذلك من معنى لا اله الا الله ، أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وانما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه وأوجب العمل به ، فهذا الفرض والحتم الذى لا شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها ، فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما اذا كان الجدال فى ذلك

---

(١) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ (٢) المجادلة : ٢٢

(٣) المائدة : ٥١ (٤) الممتحنة : ١ .

والمنازعة فيه مما يفضى الى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين ، الذين قاموا بواجبات الايمان ، وجاهدوا فى الله ، وعادوا المشركين ، ووالوا المسلمين ، والسكوت عن ذلك متعين . وهذا ما ظهر لى على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله أعلم .

فهذه بعض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار والمشركين ، وهي المسألة الأولى .

وأما المسألة الثانية وهي : الأشياء التى يصير بها المسلم مرتدا : فأحدها : الشرك بالله تعالى ، وهو أن يجعل لله ندا من مخلوقاته ، يدعي كما يدعى الله ، ويخافه كما يخاف الله ، أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله ، أو يصرف له شيئا من عبادات . فاذا فعل ذلك كفر وخرج من الاسلام ، وان صام النهار وقام الليل . والدليل على ذلك قول الله تعالى : **« واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا ، انك من اصحاب النار »**(١) .

وقوله تعالى : **« ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون »**(٢) .

وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله تعالى فى عبادته مخلوقا من المخلوقين ، فقد كفر وخرج من الاسلام ، وحبطت أعماله . كما قال الله تعالى : **« ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون »**(٣) .

الثاني : اظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم ، والدليل قوله تعالى : **« ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر ، والله يعلم اسرارهم . فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم . ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم »**(٤) .

وذكر الفقيه سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد

---

(١) الزمر : ٨
(٢) المؤمنون : ١١٧
(٣) الأنعام : ٨٨
(٤) محمد : ٢٥ — ٢٨

ابن عبد الوهاب فى هذه المسألة عشرين آية من كتاب الله ؛ وحديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استدل بها أن المسلم اذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير اكراه ، أنه يكون بذلك مرتدا خارجا من الاسلام . وان كان يشهد أن لا اله الا الله ، ويفعل الأركان الخمسة أن ذلك لا ينفعه .

وقال شيخ الاسلام المذكور امام هذه الدعوة الحنيفية فى كلامه على آخر سورة « الزمر » . الثانية : أن المسلم اذا أطاع من أشار عليه فى الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، فانهم لم يريدوا من النبى صلى الله عليه وسلم تغيير عقيدته . ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب الى الاسلام فى اظهار الموافقة للمشركين خوفا منهم ، وبطن أنه لا يكفر اذا كان قلبه كارها له .. الى أن قال : الثالثة : أن الذى يكفر به المسلمين ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فان هؤلاء الذين ذكرهم الله ، لم يريدوا منه صلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم ، بل اذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله ، مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم ، فهذا كافر، لا من أكره .. الى أن قال: ولكن رحم الله من تنبه لسر الكلام وهو المعنى الذى نزلت فيه هذه الآيات ، من كون المسلم يوافقهم فى شيء من دينهم الظاهر . مع كون القلب بخلاف ذلك ، فان هذا هو الذى أرادوه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فافهمه فهما حسنا ، لعلك تعرف شيئا من دين ابراهيم عليه السلام ، بادأ أباه وقومه بالعداوة عنده ، وقال فى سورة « الكهف » .

التاسعة : المسألة المشكلة على أكثر الناس : أنه اذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقتهم ، فقد كذب فى قول : لا اله الا الله . واتخذ الهين اثنين ، وما أكثر الجهل بهذه والتى قبلها !

العاشرة : أنه لو يصدر منهم ، أعنى موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك ، فهو قوله شطط ، والشطط : الكفر .

واعلم أن اظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتى فى المسألة الثالثة ان شاء الله تعالى .

الأمر الثالث مما يصير به المسلم مرتدا : موالاة المشركين والدليل

قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين »(١)** . وقوله تعالى : **« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء »(٢)** . فذكر فى الآية الأولى : أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ، وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم . ذكر معناه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وقد تقدم قول عبد الله بن عتبة عند قوله : **« ومن يتولهم منكم فانه منهم »** : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر . وقال ابن جرير فى قوله : **« فليس من الله فى شىء »** . يعنى فقد برىء من الله وبرىء الله منه لارتداده عن دينه . وأما قوله **« الا أن تتقوا منهم تقاة »(٣)** . فهى كقوله : **« الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان »(٤)** وسيأتى ذلك ان شاء الله تعالى .

الأمر الرابع : الجلوس عند المشركين فى مجالس شركهم من غير إنكار والدليل قوله تعالى : **« وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، إنكم اذن مثلهم ، أن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا »(٥)** .

وفى أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى : سئلوا عن هذه الآية ، وعن قوله صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله » قالوا : الجواب أن الآية على ظاهرها ، أن الرجل اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فهو كافر مثلهم ، وان لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضا بالكفر ، والرضا بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضى بالذنب ، كفاعله ، فان ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه ، لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر ، فيكون كافرا .

---

(١) المائدة : ٥١ (٢) آل عمران : ٢٨

(٣) النحل : ١٠٩ (٤) النساء : ١٤٠

ولهذا لما وقعت الردة وادعى أناس منهم « أنهم » كراهوا ذلك . لم يقبل منهم الصحابة ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، الا من أنكر بلسانه . وكذلك قوله فى الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فهو مثله ، على ظاهره ، وهو ان الذى يدعى الاسلام ، ويكون مع المشركين فى الاجتماع والنصرة والمنزل ، بحيث يعده المشركون منهم ، فهو كافر مثلهم وان ادعى الاسلام ، الا أن يكون يظهر دينه ، ولا يتولى المشركين . انتهى .

وقلت : ويأتى مخاطبة خالد لمجاعة ، وفيه : يا مجاعة ! تركت اقرارا له الى آخره .

وتقدم قول عبد الله بن عمرو . من بنى ببلاد المشركين ، فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة . وقال تعالى : « **ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدى القوم الكافرين** »(١) .

الأمر الخامس : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله . والدليل على ذلك قوله تعالى : « **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ، ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين** »(٢) .

واعلم أن الاستهزاء على نوعين :

أحدهما : الاستهزاء الصريح كالذى نزلت الآية ، فيه ، وهو قولهم . ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين ، كقول بعضهم : دينكم هذا دين خامس ، وقول الآخر : دينكم أخرق . وقول الآخر ، اذا رأى الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر : جاءكم أهل الديك — بالكاف بدل النون — ، وقول الآخر اذا رأى طلبة العلم : هؤلاء الطلبة — بسكون اللام — ، وما أشبه ذلك مما لا يحصى الا بكلفة ، مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية .

النوع الثانى غير الصريح : وهو البحر الذى لا ساحل له ، مثل

---

(١) النحل : ١٠٦ ، ١٠٧ (٢) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

الرمز بالعين • واخـراج اللسان . ومد الشـفة ، والغمـزة باليد عند كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

الأمر السادس : ظهور الكراهـة والغضب عند الدعـوة الى الله ، وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكـر • والدليل على ذلك قول الله تعالى : « **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعـرف فى وجـوه الذين**

[illegible]

« اللهم أنت حسنت خلقى ، فحسن خلقى » •

« اللهم كمـا حسنت خلقى فأحسن خلقى ، وحـرم وجهى على النار • الحمد لله الذى سوى خلقى وأحسن صورتى وزان منى ما شان من غيرى • الحمد لله الذى سـوى خلقى فعدله ، وصـور صورة وجهى فأحسنها وجعلنى من المسلمين » •

باب اسم الله الأعظم

« اللهم انى أسألك بانك أنت الله لا اله الا أنت ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد •

اللهم انى أسألك بأن لك الحمد ، لا اله الا أنت الحنان المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا حى يا قيوم أسألك ، والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم • الم • الله لا اله الا هو الحى القيوم • لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » •

باب أسماء الله تعالى

« هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » •

* * *

باب الاستعاذة

اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء » •

« اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال » •

« اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم ، وعذاب القبر » •

« اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها . أنت وليها ومولاها » .

« اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع . ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .

« اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك » .

« اللهم انى أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل » .

« اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت » .

« اللهم انى أعوذ بعزتك ، لا اله الا أنت ، أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت ، والجن والانس يموتون » .

« اللهم انى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم » .

« اللهم انى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق » .

« اللهم انى أعوذ بك من الجوع ، فانه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » .

« اللهم انى أعوذ بك من البرص ، والجذام ، والجنون ، ومن سيىء الأسقام » .

« اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والاهواء » .

« اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى ، وشر لسانى وشر قلبى وشر منيى » .

« اللهم انى أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من التردى ، ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبرا ، وأعوذ بك من أن أموت لديغا » .

« اللهم انى أعوذ بك من طبع يهدى الى طمع » .

« اللهم ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى » .

« اللهم انى أسألك الجنة » — ثلاث مرات .

« اللهم انى استجيرك من النار » — ثلاث مرات .

« أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت

منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، وأعوذ بالله من الكفر والدين » .

باب جامع الدعاء

« اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى » .

« اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى ، وكل ذلك عندى » .

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شىء قدير » .

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر » .

« اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم اهدنى وسددنى » .

« اللهم اغفر لى وارحمنى ، واهدنى وعافنى وارزقنى » .

« اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . رب أعنى ولا تعن على ، وانصرنى ولا تنصر على ، وامكر لى ولا تمكر على ، واهدنى ويسر الهدى لى ، وانصرنى على من بغى على : رب اجعلنى لك شاكرا ، لك ذاكرا ، لك راهبا ، لك مطواعا ، لك مخبتا ، اليك أواها منيبا ، رب تقبل توبتى ، واغسل حوبتى ، وأجب دعوتى ، وثبت حجتى ، وسدد لسانى ، واهد قلبى ، واسلل سخيمة صدرى » .

« اللهم انى أسألك العفو والعافية . رب انى أسألك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة » .

« اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك » .

« اللهم ما رزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب » .

« اللهم ما زويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب » .

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا . ولا تجعل

مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » •

« اللهم انفعني ما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وزدنى علما ، الحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار » •

« اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » •

« اللهم انى أسألك حبك وحب من يحبك . والعمل الذى يبلغنى حبك » •

« اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى ومالى وأهلى ، ومن الماء البارد » •

« اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحينى ما علمت الحياة لى خيرا لى ، وتوفنى اذا علمت الوفاة خيرا لى » •

« اللهم أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب ، وأسألك القصد فى الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضى بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك فى غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة » •

« اللهم زينا بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهديين » •

« اللهم اجعلنى أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك ، وأتبع نصحك ، وأحفظ وصيتك » •

« اللهم انى أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق ، والرضى بالقدر » •

« اللهم طهر قلبى من النفاق ، وعملى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعينى من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور » •

« اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى ، واجعل علانيتى صالحة » •

« اللهم انى أسألك من صالح ما تؤتى الناس من الأهل والمال والولد غير الضال ولا المضل » •

باب الدعاء عند المنام

« اللهم باسمك أموت وأحيا ، باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، ان امسكت نفسى فارحمها ، وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » •

« اللهم أسلمت نفسى اليك ، ووجهت وجهى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت » •

« الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى » •

« سبحان الله » — ثلاثا وثلاثين •

« الحمد لله » — ثلاثا وثلاثين •

« الله أكبر » — أربعا وثلاثين •

« اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شىء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته • أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء : اقض عنى الدين ، واغننى من الفقر ، بسم الله وضعت جنبى لله » •

« اللهم اغفر ذنبى ، وأخسىء شيطانى ، وفك رهانى ، واجعلنى فى الندى الأعلى » •

« الحمد لله الذى كفانى وآوانى وأطعمنى وسقانى ، والذى منّ على فأفضل ، والذى اعطانى فأجزل •• الحمد لله على كل حال » •

« اللهم رب كل شىء ومليكه ، واله كل شىء ، أعوذ بك من النار » •

« اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما اضلت ، كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد منهم ، وأن يبغى ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا اله غيرك ، لا اله الاأنت » •

« اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك » — ثلاث مرات •

« اللهم انى أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات ، من شر ما أنت آخذ بناصيته » •

« اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم » •

« اللهم لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، سبحانك وبحمدك • أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه » — ثلاث مرات •

« الله لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين

أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وهو العلى العظيم »(١) .

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنها واغفر لنا وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »(٢) .

« قل هو الله أحد .. » ــ السورة .

« قل أعوذ برب الفلق .. » ــ السورة .

« قل أعوذ برب الناس .. » ــ السورة .

« حم . والكتاب المبين . انا انزلناه فى ليلة مباركة ، انا كنا منذرين ... »(٣) ــ السورة .

« الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ... »(٤) .

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير »(٥) .

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد »(٦) ــ السورة .

« قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين »(٧) .

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب .. »(٨) ــ الى آخر السورة .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٥

(٢) البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٣) الدخان : ١ ــ ٣

(٤) السجدة : ١ ، ٢

(٥) الملك : ١

(٦) سورة الكافرون .

(٧) سورة الاخلاص .

(٨) آل عمران : ١٩٠ ــ ٢٠٠

الخاتمة وفيها خمسة فصول :

الفصــــل الأول

فى ذكر الله عز وجل

« لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

« مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه ، مثل الحى والميت » .

« ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا » .. الحديث .

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وارفعهـــا فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعنـــاقهم ، ويضربوا أعنـــاقكم » ؟ قالوا : بلى ، قال « ذكر الله » .

« طوبى لمن طال عمره ، وحسن عمله » .

قال : يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « أن تفـــارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله » .

« من قعد مقعـــدا لم يذكر الله فيه كانت عليــــه من الله ترة ، ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة » .

« ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان عليهم حسرة » .

« كل كـــلام ابن آدم عليــــه لا له ، الا أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله » .

« لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فان كثرة الكلام بغـــير ذكر الله قسوة للقلب ، وان أبعد الناس من الله القلب القاسى » .

أى المـــال تتخذ ؟ قال : « لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وزوجـــة مؤمنة تعينه على ايمانه . لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله » .

أى العبـــاد أفضـــل وارفع درجـــة عند الله يوم القيـــامة ؟ قال : والذاكرون الله كثيرا والذاكرات » .. الحديث .

« الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فاذا ذكـــر الله خنس ، واذا غفل وسوس » .

« ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين » .. الحديث .

« ما عمل العبد عملا أنجي له من عذاب الله من ذكر الله » .

« ان الله تعالى يقول : أنا مع عبدى اذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه » .

« لكل شيء صقالة ، وصقالة القلوب ذكر الله » .. الحديث .

* * *

الفصل الثانى

فى فضل تلاوة القرآن وفضائل سوره

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

« الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » .

« لا حسد الا على اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار » .

« المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة » .

« ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » .

« لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ان الشيطان ينفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة » .

« اقرأوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » .

« اقرأوا الزهراوين : البقرة ، وسورة آل عمران ، فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان — أو غيابتان ، أو فرقان — من طير صواف تحاجان عن أصحابهما » .

« اقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » .

« يا أبا المنذر : اتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم » ؟ قلت : « **الله لا اله الا هو الحى القيوم** » ؟

قال : فضرب صدرى وقال : « ليهنك العلم يا أبا المنذر » .

« ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته » .

« من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال » .

« انى أحب هذه السورة : « **قل هو الله أحد** » .

قال : « ان حبك اياها أدخلك الجنة » .

« ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : « **قل أعوذ برب الفلق** » . « **قل أعوذ برب الناس** » .

« يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فان منزلك عند آخر آية تقرؤها » .

« ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » .

« يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

« من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

« من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا » ؟

« من قرأ القرآن فاستظهره ، فأحل حلاله ، وحرم حرامه ، أدخله الله الجنة ، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار » .

« ان لكل شىء قلبا ، وقلب القرآن (يس) ، ومن قرأ (يس) : كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات »(١) .

« **تبارك الذى بيده الملك** » ، « **اذا زلزلت** » تعدل نصف القرآن ، و « **قل هو الله أحد** » . تعدل ثلث القرآن ، و « **قل يا أيها الكافرون** » . تعدل ربع القرآن .

« من قرأ كل يوم مائتى مرة : « **قل هو الله أحد** » . محى عنه ذنوب خمسين سنة ، الا أن يكون عليه دين » .

(كان) يتعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « **قل أعوذ برب الفلق** » و « **قل أعوذ برب الناس** » . ويقول يا عقبة ! تعوذ بهما ، فما تعوذ متعوذ بمثلهما » .

« قراءة القرآن فى الصلاة أفضل من قراءة القرآن فى غير الصلاة وقراءة القرآن فى غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير » .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث غريب .

« قراءة الرجل القرآن فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضعف على ذلك الى ألفى درجة » .

« ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد اذا أصابه الماء » . قيل : يارسول الله .. وما جلاؤها ؟ قال : « كثرة ذكر الموت . وتلاوة القرآن » .

« فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء » .

« من قرأ سورة (آل عمران) يوم الجمعة صلت عليه الملائكة الى الليل » .

« اقرأوا سورة (هود) يوم الجمعة » .

« من قرأ سورة (الكهف) فى يوم الجمعة ، أضاء له النور ما بين الجمعتين » .

« من قرأ (يس) ابتغاء وجه الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه . فاقرأوها عند موتاكم » .

« ان لكل سناما ، وأن سنام القرآن سورة (البقرة) » .

« وان لكل شىء لبابا ، وان لباب القرآن المفصل » .

« لكل شىء عروس ، وعروس القرآن (الرحمن) » .

(كان يحب هذه السورة : **((سبح اسم ربك الأعلى))**) .

« ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم » ؟ قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ ! قال : « أما يستطيع أحدكم ان يقرأ **((ألهاكم التكاثر))** ؟ .

« من قرأ : **((قل هو الله احد))** عشر مرات ، بنى له قصر فى الجنة ومن قرأ عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ، ومن قرأ ثلاثين مرة بنى له بها ثلاثة قصور فى الجنة » . فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله .. اذن لنكثرن قصورنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أوسع من ذلك » .

« اذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن » .

* * *

الفصل الثالث

فى فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

« أفضل الكلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

« سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب (الى) مما طلعت عليه الشمس » .

« من قال : سبحان الله وبحمده .. في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » .

« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الي الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

« يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة » فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : « يسبح مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة » .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الكلام أفضل ؟ قال : « ما اصطفى الله لملائكته : سبحان الله وبحمده » .

« لقد قلت بعدك أربع كلمات — ثلاث مرات — لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » .

« من قال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير في يومه مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » .

« من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة » .

« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » .

« أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الحامدون ، الذين يحمدون الله فى السراء والضراء » .

« قال موسى : يا رب .. علمنى شيئا أذكرك به — أو أدعوك به — . فقال : يا موسى .. قل : لا اله الا الله . فقال : يا رب .. كل عبادك يقولون هذا ، انما أريد شيئا تخصنى به . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع وضعن فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمالت بهن لا اله الا الله » .

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها حجاب دون الله تخلص اليه » .

« ما قال عبد : لا اله الا الله مخلصا قط الا فتحت له أبواب السماء ، حتى يفضى الى العرش ما اجتنب الكبائر » .

« ان الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وانها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » .

« عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، واعقدن بالأنامل ، فانهن مسئولات مستنطقات ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة » .

« قل : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان رب العالمين ، لا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم » . قال : هؤلاء لربى فما لى ؟ فقال : « قل : اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى » .

« ان الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، تساقط ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة » .

« أكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله ، فانها من كنز الجنة » .

قال مكحول : فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله ولا منجى من الله الا اليه ، كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفقر .

« لا حول ولا قوة الا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم »

« سبحان الله هى صلاة الخلائق ، والحمد لله كلمة الشكر ، ولا اله الا الله كلمة الاخلاص . والله أكبر تملأ ما بين السموات والأرض ، واذا قال العبد : لا حول ولا قوة الا بالله ، قال الله تعالى : أسلم واستسلم » .

* * *

الفصل الرابع

فى فضل الاستغفار والتوبة

« والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » .

« يا أيها الناس توبوا الى الله ، فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة »

« ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .

« ان العبد اذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه » .

« من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه » .

« لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان (على)

راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ، اذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » .

« ان عبدا أذنب فقال : رب .. أذنبت ذنبا فاغفره . فقال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى » الحديث .

« قال الله تعالى : يا ابن آدم .. انك (ان) دعوتنى ورجوتنى ، غفرت لك ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم .. انك لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة » .

« قال الله تعالى : من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالى ، ما لم يشرك بى شيئا » .

« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

« ما أصر من استغفر ، وان عاد فى اليوم سبعين مرة » .

« كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

« ان المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فان تاب واستغفر صقل قلبه ، وان زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلكم الران الذى ذكر الله تعالى : « **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** »(١) .

« ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .

« ان الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال الرب عز وجل : وعزتى وجلالى وارتفاعى (فى) مكانى ، لاأزال أغفر لهم ما استغفرونى : « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا** »(٢) ولا يبالى » .

« يقول : رب أغفر لى . وتب على ، انك أنت التواب الغفور » . مائة مرة .

« من قال : أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ، غفر له وان كان قد فر من الزحف » .

« ان الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة ، فيقول : يا رب .. أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » .

« ما الميت فى القبر الا كالغريق المتغوث ، ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق ، فاذا لحقته كان أحب اليه من الدنيا وما فيها ،

---

(١) المطففين : ١٤ (٢) الزمر : ٥٣

وان الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال . وان هدية الأحياء الى الأموات الاستغفار لهم » .

« طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفار كثيرا » .

« اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا ، واذا أساءوا استغفروا » .

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »

* * *

الفصل الخامس

فضل الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم

« من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا » ..

« من صلى على صلاة واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » .

« أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » .

« ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى من أمتى السلام » .

« ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام»

انى أكثر الصلاة عليك ، فكم اجعل لك من صلاتى ؟ فقال : « ما شئت » . قلت : الربع ؟ قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قلت : النصف ؟ قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قلت : فالثلثين ؟ قال :« ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قلت : اجعل لك صلاتى كلها ؟ قال : « اذن تكفى همك ، ويكفر لك ذنبك » .

« البخيل الذى من ذكرت عنده فلم يصل على » .

« من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على غائبا أبلغته » .

« من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة » .

« ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة ، فان شاء عذبهم ، وان شاء غفر لهم » .

« أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فانه مشهود تشهده الملائكة ، وما من أحد يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » .

« من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ..

محتويات الكتاب

الصفحة
شيخ الاسلام احمد بن تيمية ٣
شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ٥

الرسالة الأولى

(٧ — ٥٧)

الصفحة
العبادة — انواع التوحيد ٧
انواع الشرك : اكبر ، أصغر ، وخفى ٨
انواع الكفر : كفر التكذيب كفر الاباء ، كفر الشك ، كفر الاعراض ، كفر النفاق ١٠
الكفر بالطاغوت والايمان بالله ١٢
معنى الطاغوت ١٢
الاصول الثلاثة : الرب ، الدين ، النبى ١٤
أركان الاسلام ١٥
أربعة من قواعد الدين ١٧
عبادة الكفار للاصنام ، والأنبياء ، والصالحين ١٨
الجامع لعبادة الله — انواع العبادة التى لا تصلح الا لله ١٩
انواع المحبة الأربعة ٢٢
معرفة الانسان لربه ولنفسه ٢٣
نواقض الاسلام العشرة ٢٩
شروط الصلاة — اركان الصلاة — مبطلات الصلاة ٣٣
موجبات الصلاة — فرائض الوضوء ٣٣
شروط الوضوء — نواقض الوضوء ٣٤

الصفحة
اصل الدين ، الاسلام ٣٤
اعتزال الشرك واهله ٣٥
الانذار عن الشرك فى عبادة الله — العبادة ٣٦
الفتنة — المخالف ٣٧
الاخلاص فى محبة الله ٣٨
عدم التكفير الا بعد البيان والاصرار ٤١
اهل التوحيد والسنة ٤٠
القدر أصل من أصول الايمان ٤١
معنى القضاء فى القرآن
وصف الله بما وصف به نفسه ٤٢
علو القدر وعلو القهر وعلو الذات ٤٣
معنى استواء الرحمن على العرش ٤٣
حكم السفر الى بلاد المشركين للتجارة ٤٧
الرضا بالكفر كفر ٤٨
حكم من أظهر علامات النفاق ٤٩
لا تلازم بين اطلاق النفاق ظاهرا وباطنا ٥٠
لا يجوز اطلاق النفاق على المسلم بالهوى ٥٠
عنوان السعادة — فساد العبادة بالشرك ٥١

الصفحة
قتال الرسول لمن يعبد غير الله ٥٢
عبادة المشركين للصالحين وللملائكة والأنبياء . . ٥٢
عبادتهم للاشجار والاحجار ٥٣
معنى الرب بمعرفة الله بآياته ومخلوقاته . . ٥٤
الصفحة
الايمان بالله والكفر بالطاغوت ٥٤
الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية . . ٥٥
أصول الايمان والاحسان . ٥٦
دليل موت الرسول صلى الله عليه وسلم . . . ٥٦

الرسالة الثانية : مسائل الجاهلية
لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
(٥٨ — ٦٩)

عبادة اهل الجاهلية غير الله ٥٨
التفرق فى الدين . . ٥٩
الاغترار بالكثرة ولو على باطل الاحتجاج بالمتقدمين ٦٠
اتباع الهوى والظن .. ٦١
تحريف كتاب الله . . . ٦٢
كفرهم بالحق — التعبد بكشف العورات — التعبد بتحريم الحلال . . ٦٣
معارضة شرع الله بقدره . ٦٤
تحريف الكلم عن مواضعه ٦٥
التعبد بترك الطيبات من الرزق ٦٦

الرسالة الثالثة : كشف الشبهات
للامام محمد بن عبد الوهاب
(٧٠ — ٨٧)

التوحيد دين الرسل جميعا ٧٠
الفرح بفضل الله ورحمته ٧٢
الغلبة لجند الله . . . ٧٣
الرد على أهل الباطل . ٧٤
الشفاعة كلها لله . . . ٧٧
تحريم الالتجاء الى الصالحين ٧٧
شرك الأولين واهل زماننا ٧٨
الكفر ببعض الكتاب والسنة كفر بهما جميعا . . ٨٠
كفر من جحد التوحيد . ٨٠
كفر من وضع شخصا فى مرتبة الله . . . ٨١
كفر المستهزىء بآيات الله . ٨٢
كفر من اتخذ مع الله اندادا ٨٣
قتل من تبين كفره . . ٨٣
الاستغاثة بغير الله شرك . ٨٤
التوحيد يكون بالقلب واللسان والعمل . . ٨٥
لا عذر فى اظهار الكفر الا للمكره ٨٦
كفر من آثر الدنيا على الآخرة ٨٧

الرسالة الرابعة : الواسطة
لشيخ الاسلام ابن تيمية
(٨٨ — ١٠٤)

معنى الواسطة بين الله وبين عباده ٨٨
لا يضل ولا يشقى من قرأ القرآن وعمل به . . ٨٨

الصفحة
الرسل وسائط بين الله وبين عباده لتبليغ الرسالة . ٨٩
لا واسطة بين الله وبين عباده ٩٠
الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر — اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ٩١
العلماء وسائط بين الرسول وأمته لتبليغ الاسلام فقط ٩٣
تشبيه أنبياء الله بحجاب الملك كفر — الوسائط بين الملوك والناس على ثلاثة أوجه . . . ٩٣
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ٩٤
نفى الشفاعة والدعاء للمشركين ٩٦
مشروعية دعاء الأعلى للأدنى والعكس أيضا . . ٩٨
طلب الرسول الدعاء من أمته — انتفاع الداعي والمدعو له بالدعاء . . . ٩٨
النعمة الحقيقية نعمة الدين ٩٦
اتخاذ الأحبار والرهبان من دون الله كفر ١٠٠
التوحيد : رجاء الله والتوكل عليه . . . ١٠١

الرسالة الخامسة : هدية طيبة
للشيخ محمد بن عبد الوهاب
(١٠٥ — ١٠٨)

لا اله الا الله ونفى الألوهية عما سواه . . . ١٠٥
كفر من ترك توحيد الألوهية ١٠٦
الاستغاثة بغير الله شرك . ١٠٦
التمسك بأصل الدين والكفر بالطواغيت . . . ١٠٧

الرسالة السادسة : أوثق عرى الايمان
للشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب
(١٠٩ — ١٢٢)

الحب فى الله والكره فى الله ١٠٩
النهى عن موالاة الكافرين واتخاذهم بطانة . . ١١٠
صفة المؤمنين . . . ١١١
الكفار بعضهم أولياء بعض ١١٣
المرء على دين خليله . . ١١٥
نهى الله عن موالاة الكفار ١١٦
من شك فى كفر الكفار فهو كافر ١٢١

الرسالة السابعة : جواب عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبى بطين
(١٢٣ — ١٣٢)

تعريف العبادة . . . ١٢٣
المحبة والخضوع ركنان للعبادة ١٢٤
العبادة معناها التوحيد . ١٢٤
اخلاص العبد فى القول والفعل والنية . . ١٢٦
شرط الاخلاص فى الأعمال والأقوال . . . ١٢٦

الصفحة
الاله والالوهية . . . ١٢٨
التوحيد يتوارثه الانبياء واتباعهم . . . ١٢٩
حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها — الطاغوت ١٣٠
الطاغوت هو الشيطان ويشمل كل معبود . ١٣١

الرسالة الثامنة : أسباب نجاة السول من السيف المسلول

(١٣٣ — ١٤٥)

لا اله الا الله ، كلمة الاسلام ١٣٣
البراءة من كل معبود سوى الله ١٣٤
عظمة شأن كلمة لا اله الا الله ١٣٦
معنى كلمة « الاله » لغة . ١٣٦
حكمة الجهاد فى سبيل الله ١٣٨
ما يعصم به دم الانسان وماله ١٣٩
هل يلزم الرجل اتباع مذهب معين ١٤١
انواع الاتباع والاقتداء . ١٤١
اتخاذ الكفار أحبارهم أربابا من دون الله . . ١٤٢
اختلاف العلماء فى تقليد الائمة ١٤٣

الرسالة التاسعة : فى مقادير فىء الزوال

(١٤٦ — ١٤٧)

الرسالة العاشرة : التوحيد الذى هو حق الله على العبيد

لشيخ الاسلام احمد بن تيمية

(١٤٨ — ٢٢٨)

حق الله على العباد وحق العباد على الله . . ١٤٨
كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت ١٤٩
فضل التوحيد . . . ١٥٠
سعة فضل الله وكثرة ثوابه ١٥١
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب . ١٥٢
الخوف من الشرك . . ١٥٤
الدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله — الدعوة الى الله والاخلاص فيها . . ١٥٥
تفسير التوحيد . . . ١٥٨
تعليق التمائم شرك . . ١٥٩
ما جاء فى الرقى والتمائم . ١٦١
التبرك بالحجر أو الشجر ضلال ١٦٢
باب ما جاء فى الذبح لغير الله ١٦٤
لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ١٦٦
النذر لغير الله شرك . . ١٦٧
الاستعاذة بغير الله شرك . ١٦٧
الاستغاثة بغير الله شرك . ١٦٨
سبب نزول قوله تعالى : « ليس لك من الأمر شىء » ١٧٠
انذاره صلى الله عليه وسلم لأقاربه ١٧١
باب الشفاعة . . . ١٧٤
الهدى هدى الله . . ١٧٥

الصفحة

سبب الشرك الغلو في الصالحين . . . ١٧٧
التغليظ على من عبد الله عند قبر رجل صالح . . ١٧٩
لعن الله من اتخذ قبور الأنبياء مساجد . . ١٨١
سد كل طريق يؤدي الى الشرك ١٨٢
ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان . . ١٨٣
ما جاء في السحر . . ١٨٥
بيان شيء من أنواع السحر ١٨٦
ما جاء في الكهان . . ١٨٧
ما جاء في النشرة . . ١٨٩
ما جاء في التطير . . ١٨٩
ما جاء في التنجيم . . ١٩١
ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ١٩٢
توعد من يتخذ من دون الله أندادا ١٩٣
علامة المؤمن خوفه من الله . ١٩٤
فضيلة التوكل على الله . ١٩٦
من الايمان بالله الصبر على قدر الله ١٩٧
ما جاء في الرياء . . . ١٩٨
من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا . . . ١٩٩
التحذير من التحاكم الى الطاغوت ٢٠١
من جحد شيئا من الأسماء والصفات ٢٠٣
انكار نعمة الله ٢٠٣

الصفحة

((فلا تجعلوا لله اندادا)) . ٢٠٤
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله ٢٠٥
قول : ما شاء الله وشئت . ٢٠٦
من سب الدهر فقد آذى الله ٢٠٧
التسمى بقاضي القضاة ونحوه ٢٠٧
احترام أسماء الله تعالى . ٢٠٨
من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن او الرسول ٢٠٨
لا يقال : السلام على الله . ٢١٣
قول : اللهم اغفر لي ان شئت ٢١٣
لا يقول : عبدي وأمتي . ٢١٤
لا يرد من سأل بالله . . ٢١٤
لا يسئل بوجه الله الا الجنة ٢١٥
ما جاء في اللهو . . . ٢١٥
النهي عن سب الريح . ٢١٦
يظنون بالله غير الحق . ٢١٧
ما جاء في منكري القدر . ٢١٨
ما جاء في المصورين . . ٢١٩
ما جاء في كثرة الحلف . ٢٢١
ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ٢٢٢
ما جاء في الاقسام على الله ٢٢٣
لا يستشفع بالله على خلقه ٢٢٤
ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسد طرق الشرك ٢٢٤
ما جاء في قوله تعالى : ((وما قدروا الله حق قدره)) ٢٢٥

الرسالة الحادية عشرة : حكم موالاة اهل الشرك

(٢٢٩ — ٢٤٣)

الرسالة الثانية عشرة : بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك

(٢٤٤ ــ ٢٩١)

الصفحة
النهى عن موالاة المشركين . ٢٤٤
معاداة الكفار والمشركين .. ٢٤٩
موالاة المسلم للكافر . ٢٥١
مجانبة دين المشركين . ٢٥٩
الرجل لا يكون مسلما الا اذا عرف التوحيد . . ٢٧٢
حالات اظهار الموافقة للمشركين . . . ٢٨٢
مسألة الاستضعاف . . ٢٨٦
وجوب الهجرة . . . ٢٨٨

الرسالة الثالثة عشرة : بيان المحجة فى الردة على اللجة

لشيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(٢٩٢ ــ ٣٥٢)

الكلام على قصيدة البردة ٢٩٢
نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاطراء . . ٢٩٣
النهى عن اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا . . ٢٩٦
التحريم والتحليل لله وحده ٢٩٧
اخلاص الدعاء لله وحده . ٢٩٧
الدعاء هو العبادة . . ٣٠٠
العلم بالكليات والجزئيات لله وحده . . . ٣٠١
الشفاعة التى نفاها القرآن ٣٠٤
التوسل بدعاء الرسول وغيره ٣٠٧
لا يعلم الغيب الا الله . . ٣٢٣
كلام ابى حيان فى الزمخشرى وتفسيره . ٣٢٦
أول من فارق الجماعة فى عهد الصحابة . . . ٣٢٨
ظهور البدع . . . ٣٣٠
ما ورد فى فضل الشام واليمن ٣٣٢
معنى سورة الاخلاص . ٣٣٥
الاستعانة بالله والتوكل عليه وحده . . . ٣٣٧
لعن الله زوارات القبور . ٣٤١
عدم اتخاذ القبور مساجد ٣٤٣
الشفاعة لله وحده . . ٣٤٨

الرسالة الرابعة عشرة : قاعدة جليلة فى العبادة

(٣٥٣ ــ ٤٢١)

ما هى العبادة . . . ٣٥٣
العبادة لله هى الغاية المحبوبة له . . . ٣٥٤
الطاعة لله ولرسوله . . ٣٥٧
الاستغفار للذنب . . ٣٦٢
البدع ٣٦٨
طعم الايمان . . ٣٦٩
التوكل هو الاستعانة وهى من العبادة . . . ٣٧٥
الرزق من عند الله . . ٣٧٩
اذا سألت فاسأل الله . ٣٨٠
عبودية القلب . . . ٣٨٣
حلاوة العبودية لله . ٣٨٤
صلاح القلب . . . ٣٨٩
النهى عن الكبر . . . ٣٩٠
معنى العبودية . . . ٣٩٦

الصفحة
حلاوة الايمان ٣٩٨
الفنـاء ٤٠٧
الصفحة
العبادة والخشية والتقوى لله ٤٢٠

الرسالة الخامسة عشرة : الفرقان

لشيخ الاسلام ابن تيمية

(٤٢٢ — ٥٣٢)

صفاء أولياء الله تعالى . ٤٢٤
معنى الولاية والولى . . ٤٢٥
ضلال اليهود والنصارى ومشركى مكة . . ٤٢٧
اعلى شعب الايمان قول لا اله الا الله ٤٣٥
أولياء الله على طبقتين : ٤٣٧
صفة الأبرار وأصحاب اليمين . ٤٤٠
المقتصدين والسابقين . ٤٤٢
لا يخلد فى النار احد من أهل التوحيد . . ٤٤٣
تفاضل الناس فى ولاية الله حسب أعمالهم . . ٤٤٤
الايمان المجمل والايمان المفصل ٤٤٥
ليس للاولياء شىء يتميزون به ٤٥٠
افضل الأعمال ، الايمان بالله والجهاد فى سبيله وحج مبرور ٤٥٣
التكليف بحسب الطاقة . ٤٥٦
مناقب عمر بن الخطاب . ٤٥٧
فضل أبى بكر على عمر . ٤٥٨
تفسير قوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » ٤٦١
كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل . . ٤٦٢
الحث على النظافة . . ٤٦٥
أوصاف أولياء الرحمن . ٤٦٦
افضل الأمم أمة محمد . ٤٧٠
سيدنا محمد سيد ولد آدم ٤٧٢
مفهوم العقل عند المسلمين والفلاسفة . . . ٤٧٧
تمثل الشياطين لبعض من يدعى نزول الوحى عليه ٤٨٢
الله تعالى ليس كمثله شىء ٤٩٠
الله تعالى رب كل شىء ومليكه ٤٩١
التوبة من الذنب . . ٤٩٢
سيد الاستغفار ٤٩٧
المراد بالقضاء الدينى . ٥٠٢
الأدعية التى تحفظ قائلها ٥٠٥
معجزات الرسول . . ٥٠٨
كرامات الصحابة . . ٥٠٩
كرامات التابعين . . . ٥١٢
النهى عن اتخاذ القبور مساجد ٥١٩
حال الصحابة عند قراءة القرآن ٥٢٣
السماع المحدث المذموم — اغواء الشيطان لبعض الجهلة ٥٢٤
العمل بما فى القرآن . . ٥٢٧
آيات فى أوصاف الجن . ٥٢٨
اتصال الانس با لجن محمود ومذموم ٥٣٠

الرسالة السادسة عشرة : الحزب المقبول من أحاديث الرسول

(٥٣٣ ـ ٥٦٧)

الصفحة

الدعاء هو العبادة . . ٥٣٣
فى آداب الدعاء . . . ٥٣٤
أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب . . . ٥٣٥
أوقات قبولية الدعاء .. ٥٣٧
الدعاء عند القيام من النوم ٥٣٨
الدعاء عند افتتاح صلاة الليل ٥٣٩
القنوت فى الوتر . . ٥٤٠
اجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان ـ الدعاء بعد ركعتى الفجر . . ٥٤١
الدعاء بعد الخروج من البيت ـ الدعاء عند دخول المسجد . . . ٥٤٢
الدعاء والذكر عند صلاة الصبح والمغرب ـ الدعاء والذكر عند صلاة الصبح والمساء ٥٤٣
الدعاء عندالخروج من المسجد ٥٤٧
الدعاء عند دخول البيت ـ الدعاء عند الأكل والشرب ـ الدعاء عند دخول الخلاء وخروجه ـ الدعاء قبل الوضوء وبعده . ٥٤٨
الدعاء عند التكبيرة الأولى ـ الدعاء فى الركوع وبعده وفى السجود وبين السجدتين . . . ٥٤٩
التشهد والصلاة على النبى ٥٥٠
الدعاء والذكر بعد الصلاة ٥٥١

الصفحة

الدعاء عند عيادة المريض ـ الدعاء والذكر عند حضرة الموت ـ الدعاء فى صلاة الجنازة ودفنها . . ٥٥٢
الدعاء عند زيارة القبور . ٥٥٣
دعاء الاستخارة ـ دعاء الحاجة ـ خطبة الحاجة كالنكاح وغيره وما يتعلق به ـ الدعاء عند دخول السوق . . . ٥٥٤
الدعاء عند الكرب والغضب ـ الدعاء عند صياح الديك ونهيق الحمار ـ الدعاء فى السفر ومشايعة المسافر ٥٥٥
الدعاء عند الاحرام والتلبية ـ دعاء الطواف والمقام والصفا والمروة ـ دعاء عرفة بعرفة . . . ٥٥٧
الدعاء عند رؤية الهلال ـ دعاء الافطار . . . ٥٥٩
الدعاء فى ليلة القدر ـ الدعاء عند لبس الثوب الجديد ـ دعاء كفارة المجلس ـ دعاء حفظ القرآن ـ الدعاء اذا رأى مبتلى ـ دعاء قضاء الدين ٥٦٠
دعاء الاستسقاء ـ دعاء الرياح والرعد والمطر ـ دعاء التوبة ـ صلاة التسبيح ـ الدعاء عند رؤية الثمار الجديدة ـ الدعاء عند رؤية المرآة ٥٦١

الصفحة

اسم الله الأعظم ـ أسماء الله تعالى ـ باب الاستعاذة . . . ٥٦٢

جامع الدعاء . . . ٥٦٤

الدعاء عند النوم . . ٥٦٥

الخاتمة وفيها خمسة فصول

(٥٦٨ ـ ٥٧٥)

الفصل الأول فى ذكر الله عز وجل . . . ٥٦٨

الفصل الثانى فى فضل تلاوة القرآن وفضائل سوره ٥٦٩

الفصل الثالث فى فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير . ٥٧١

الفصل الرابع فى فضل الاستغفار والتوبة . ٥٧٣

الفصل الخامس فى فضل الصلاة والسلام على النبى ٥٧٥

محتويات الكتاب ٥٧٦

* * *